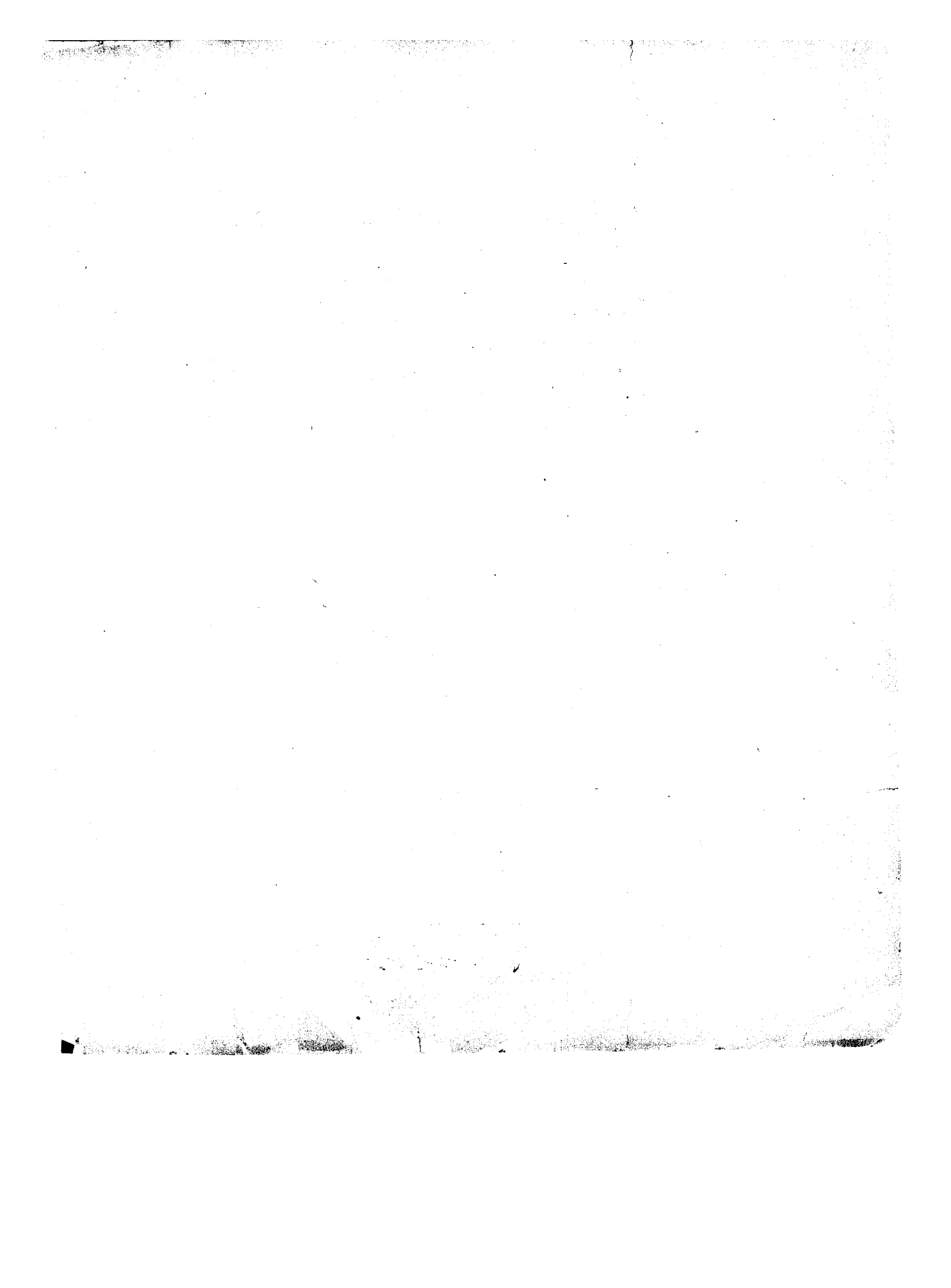
التفسير الاسلامي للفكر البشرى

الاسلام والفلسفات القديمة

الإسلام في مواجهة الفلسفات المعاصرة لظهوره

أنور الجندى

دار الاعتصام



بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل إلى البحث

منهجان لا ثالث لهما يتحرك فيهما الفكر الإنساني فى هذا العصر :

أحد هذه المناهج هو المنهج الفلسفى بشطريه : أما الشطر الأول فيعتمد على العقل وظواهر العلم ومقايسات المنطق وهذا يقف عند المحسوسات وحدها لا يتعداها وينظر إلى ما وراء ذلك نظرة الإنكار والتجهيل وطريقه النظرة المادية الخاصة،أما شطره الثانى فيعتمد على القوى الغيبية كالقلب والبصيرة والروح والوجدان يعتبرها وسيلة المعرفة ويتخذ النسك والزهاده منطلقها العملى .

أما المنهج الثانى فهو المنهج القرآنى الربانى القائم على التوحيد والجامع لأسلوب المعرفة العقلى والروحى معاً والمستمد كيانه كلية من منهج القرآن .

ولقد كان المنهج الفلسفى قائما قبل ظهور الإسلام يحاول أن يفسر الحياة والكون والخالق والإنسان وفق المنطلق العلمى أو المنطلق الوجدانى . ومن ثم نشأت الفلسفتان الوثنيتان : الهلينية الغربية والغنوصية الشرقية. وقد جرت كلاهما شوطا طويلا بين إنكار الله أو ثنائيته أو تعدده من ناحية أو تصوره وفق مفهوم وحدة الوجود والحلول .

ثم جاء المنهج القرآنى حاسماً . بعد أن استشرى الصراع بين شطرى المذهب الفلسفى : العقلى والوجدانى - وكان فى هديه ملتمسا أصول الفطرة

وقائما على الوحدانية ومقرراً طوابع الطبيعة البشرية وتركيب الإنسان ودوافعه الجسمية والنفسية والروحية وقابلا لتحقيقها وممارستها بعيدا عن الزهادة والنسك أو الانحراف والتحلل وفى حدود ضوابط أساسية للتسامى واتقاء الأخطار فى نفس الوقت .

ومنذ وضع الإسلام هذا المنهج الواضح الصريح المتكامل ، فقد تحدد الموقف فاصلا قاطعاً بين الفكر البشرى وبين الفكر القرآنى الذى لم يكن فى أصوله العامة جديداً على البشرية إذ جاء عصارة رسالات الأنبياء والرسل المتجددة على مدى التاريخ رسالة بعد رسالة ، والذى امتد ولم يتوقف حتى ختم بالإسلام ، مصححاً على حين فترة وجيل وعصر ، كل ما تضطرب فيه البشرية أو تحرفه من الفكر الربانى المصدر، الانسانى المفهوم ، حين تسلم نفسها إلى أهوائها ومطامعها وقصورها من أجل إقامة منهج بشرى متحرر من هدى النبوات والرسل .

ومنذ ذلك اليوم الذى أتم الله فيه رسالته الخاتمة فقد قام ذلك الفيصل الواضح الصريح الذى أنشأ خطاً عريضاً بين الفكر البشرى والفكر القرآنى ومن ثم أصبح للإسلام تفسيره المميز لمختلف ظواهر الفكر البشرى ، كما أصبح له رأيه الحاسم فى مقرراته وعناصره .

ولقد سارت البشرية مع رسالة التوحيد خطوة أو خطوات ثم عادت فابتعثت فكرها القديم وأخذت تصارع به فكر القرآن ، وأقامت له فى عديد من أقطار الشرق والغرب دعاة يحملون لوائه ويدافعون عنه ويجددونه فى صور وقوالب براقة ، أغرت الكثيرين فاعتنقوه ، دون أن يجدوا فى طاقتهم القدرة على المراجعة والمقارنة ، أو لأنهم خضعوا عن طريق الضعف البشرى لما فى الفكر البشرى من دعوة إلى التحلل والتحرر من القيود والضوابط والحدود التى أقامها الله لعباده ، ورغبوا فى فك عرى القيم الإنسانية والأخلاقية

والاندفاع وراء الأهواء بأفكار الغيب كله ، ربا وأديانا وكتبا وبعثا وجزاء ، وهي قرارة ما ذهب إليه الفكر البشرى وحاول التبشير به وجمع الناس عليه .

ثم جاء الوقت الذى استطاع الفكر البشرى فيه أن يغلب بالاستعمار والصهيونية والشعوبية وأن يطرح نفسه فى أرض الأديان وأن يصارع عقائد السماء فى ظل غزو القوى المتغلبة .

ومن هنا فقد تشتت وجهات النظر ومذاهب الفكر بين قوم دعاة إلى اعتناق الفكر البشرى والسير مع الأمم القوية التى سارت به ، وبين من رأى أن يقبل من الفكر الإسلامى تفسيره فلسفياً أو عقلياً أو نسكياً على أساس واحد من هذه المناهج السائرة، سواء منها مناهج التماس المحسوس وإنكار الغيب أو إقامة مايسمى بسلطان العقل ، أو التماس منهج البصيرة والوجدان والاشراق وكلها محاولات تخرج خروجا صريحاً وكاملا على (التفسير الإسلامى) الذى يقوم على منهج متكامل : مصدره التوحيد وقوامه الإيمان بعالم الغيب جامعاً بين العقل والقلب فى وحدة متكاملة .

ولا ريب أن التماس الفكر الإسلامى لأى من هذه المناهج هو خروج عن طبيعته ، ذلك أن للإسلام منطلقه الخالص وذاتيته المطبوعة بطابع الفطرة والتوحيد والأخلاق المستمد من القرآن الكريم ، أساساً ومنهجاً وأسلوبا للعرض والتفسير .

فإذا ما أريد اخضاعه لمنهج آخر غير منهجه ، تعرض لفقدان ذاتيته وطبيعته ، وقد جرت المحاولات لإخضاعه طويلا ولكنه كان قادراً على مقاومة التبعية والتماس آصالته ، والعودة إلى المنابع كلما اضطربت الأجواء من حوله أو قامت التحديات والأخطار، سواء بالغزو العسكرى أو الفكرى جميعاً .

ولقد كان التماس منهج القرآن هو منطلق التصحيح والتحرر واليقظة ، فى

كل مراحل تاريخ المسلمين وتاريخ الإسلام ، ولا ريب أن منهج القرآن هو غاية الغايات التى تسعى إليها دعوات الإصلاح والتجدد والبعث والنهضة جميعاً ، وانها المنطلق الوحيد كلما غلب أسلوب الفكر البشرى واستشرى فى حالة غياب منهج القرآن .

ولقد وجه الإسلام أنظار معتنقيه إلى ضرورة التماس هذا الأسلوب وحده ووردت عن رسول الله ﷺ كلمات تكشف عن أهمية هذا الإتجاه وضرورة الاصرار عليه وخطر التهاون فيه ، بما يفتح الباب أمام استشراء الأسلوب البشرى ، وقد جاءت هذه البينات على نحو يفهم منه أن ما جاء فى القرآن هو وحده أسلوب المسلمين فى عقائدهم وحياتهم ، وانه يفضل كل أسلوب وتصور ومفهوم سابق له أو لاحق به .

(٢)

حقائق أساسية

فى سبيل القاء أضواء صريحة على الروابط والفواصل التى تربط بين الفكر الإسلامى والفكر البشرى أو تفصل بينه نضع هذه الحقائق الأساسية بين يدى البحث .

والمعروف أن البشرية كانت قد استجمعت قبل نزول القرآن من عندالله بمنهج الاسلام (عقيدة ومنهج حياة) حصيلة ضخمة من النظريات والمفاهيم والقيم التى حاولت استخلاصها خلال العصور ، وقد تضارب خلال هذه الحصيلة بعض أصول الفكر الذى جاءت به الكتب المنزلة مختلطا بالفكر البشرى الذى هو نتاج عقليات الفلاسفة .

وقد تعددت وجهات هذه الحصيلة على نحو خطير من التدافع والتضاد

وحملت معها عصارات الأهواء والمطامع والرغبات التى صدرت عن العقول والغرائز والعواطف على مدى العصور على اختلاف البيئات ، واختلطت معها منطلقات الحس والغريزة والإشراق والزهد ، على الجبهة الجغرافية من الهند إلى اليونان مروراً بفارس والعراق والشام ومصر ، فقد كانت هذه المناطق تضطرم بعشرات المذاهب والمدارس والدعوات من ثنائية وتثليث وتعطيل وزندقة .

فلما جاء الإسلام ، والعالم يضطرب بهذا الركام ، وقف منه موقفاً صريحاً واضحاً وكشف عن كل جوانب الزيف والشبهات والأهواء وجلى الحق واضحاً صريحاً إذ قدم بالقرآن للمسلمين منهجاً واضحاً صريحاً كاملا فى مختلف جوانب العقيدة والشريعة والأخلاق . وصور العلاقة الصحيحة القائمة بين الإنسان من ناحية وبين الله سبحانه وتعالى والكون والحياة .

ومن هنا ونحن على منطلق البحث فى هذا كله فقد وجب أن نضع هذه الحقائق الأساسية بمثابة أضواء كاشفة تهدى إلى الطريق :

(أولا) ليس الإسلام بمجرد دين قائم على العبادة ، على أساس الصلة بين الله والإنسان بل هو طريق فى الحياة ومنهج كامل يربط الإنسان بالله ويربطه بالإنسان والمجتمع ولذلك فقد أقام نظاماً كاملا يستوعب حياة الفرد والجماعة من مختلف أقطارها الاجتماعية والسياسية والتربوية والقانونية والدينية وهو فى صميمه منهج أخلاق يربط الحياة الدنيا بالآخرة ، ويقرر إرادة الفرد والتزامه بالمسئولية الأخلاقية والجزاء . كما يربط العلم بالعمل .

وقد أكد الإسلام قيمة الإنسان بصرف النظر عن لونه وديانته ، وقد قدم الإسلام للبشرية (عقيدة ومنهج حياة) تقوم على أساس التوحيد الخالص وتحسم الرأى فى مختلف القضايا والمعضلات التى تشغل العقل والنفس فى مجال

المعرفة والعقيدة ونظام الحياة ، وهو فى مجموعه إنما يمثل المنهج الربانى المنزل على الناس من رب العالمين بواسطة أنبيائه منذ خلق الإنسان والذى تبلور فى صورته النهائية والحاسمة فى دين الإسلام .

(ثانياً) أن منهج الفكر الإسلامى كان قد تشكل وتكامل قبل ترجمة الفلسفة اليونانية وأن الفلسفة التى ترجمت لم تكن هى الفلسفة اليونانية بل هى مفاهيم السريان المسيحية التى أرادوا إدخالها والتبشير بها ولا ريب أن هناك تعارض بين مفهوم الإسلام ومفهوم الفلسفة اليونانية فى التوحيد والأخلاق .

فضلا عن تعارض الإسلام مع المذهب العبودى الذى هو حجر الأساس فى الفلسفة اليونانية بعامة .

كذلك فإن الفكر الشرقى الهندى الفارسى المجوسى يتعارض مع فكر الإسلام، ويختلف من حيث الأساس فى المسئولية الفردية والالتزام الأخلاقى والبعث والجزاء .

(ثالثاً) جاء الإسلام بعد خمسة قرون ونصف قرن من ظهور المسيحية التى كانت رسالة سماوية أنزلت على السيد المسيح لتصحيح رسالة موسى التى سبقتها بخمسة عشر قرناً وكان الفكر البشرى عند ظهور الإسلام قد مر بأطوار كثيرة أبرز مقوماتها التوحيد الذى دعت إليه جميع الأديان السماوية ثم جاءت الفلسفات فطرحت على الأمم والمجتمعات مفاهيم مختلفة بل ومتعارضة ، بين التوحيد والوثنية ، فكانت فى مواجهة الإسلام عند ظهوره فلسفات ثلاث كبرى :

هى : الفلسفة الغنوصية الشرقية والفلسفة الإغريقية والفلسفة اليهودية المسيحية الغربية التى تشكلت خلال القرون الخمسة السابقة للإسلام .

ولما كان الإسلام ديناً ومنهج حياة ، ونظاماً متكاملا للفرد والمجتمع والعقل

والقلب فقد كان من الضرورى وقد انطلق فى طريقه يزحف كالإعصار تجاه المدن القديمة ويواجه الحضارات الفرعونية والفارسية والهندية والرومانية وفكرها ، كان لابد أن يقف موقفاً واضحاً من الفلسفات الشرقية والغربية على السواء ، ليكشف عن جوهره الأصيل ومفهومه الحق ، فى مختلف القضايا والمسائل التى يطرحها العقل الإنسانى فى كل العصور .

وهذه هى المحاولة التى نريد أن تحققها هذه الدراسة : أى بعبارة مختصرة أن نضع هذه الفلسفات القديمة جميعاً فى ضوء الإسلام ثم ننتقل بعد ذلك إلى المرحلة الثانية ، تلك هى مرحلة الدور الذى قام به الإسلام فى بناء الفكر الإنسانى ثم كيف صدر عنه الفكر الغربى الحديث بمذاهبه وفلسفاته ونظرياته.

وما هو موقف الإسلام اليوم من هذا الفكر الفلسفى الحديث والمعاصر[١] .

(رابعاً) جاء الإسلام بعد أن تشكلت للوثنية المادية فلسفة ومنهج وإيدلوجيا كاملة واستفاقت على يد طائفة لها تراث عرف منذ الموجة الأولى، وقد كان التحريف تحدياً حقيقياً لرسالة التوحيد التى نزلت على جميع الأنبياء والرسل .

وقد جاء القرآن تصحيحاً لكل المفاهيم والقيم التى احتوتها النبوات ، وقد ظلت رسالة الإسلام منذ نزوله إلى اليوم — وإلى قيام الساعة — هى تحرير البشرية من زيف الفكر البشرى القائم على الوثنية والهوى والضعف الإنسانى.

ولقد يبدو فى بعض العصور أن المادية الوثنية تسيطر سيطرة عامة على مختلف وجوه الفكر والرأى ومن خلال المدرسة والصحافة والثقافة ، بينما

---

(١) الحلقة التالية من هذه الدراسة عن الاسلام والفلسفات الحديثة .

يبدو فكر التوحيد فى غير مكان الصدارة ، كما يحدث فى عصرنا هذا ، ولكن أصالة هذا الفكر وصلابته وربانية مصادره تعمل جميعها على أن تثبيت قوائمه فى الارض ، وتجعل النفس البشرية فى تطلع دائم إليه استمداداً من فطرتها الأصلية . ومايزال دعاة الإسلام يعملون على تحرير الفكر البشرى من أخطائه وأوهامه وزيفه ويدحضون شبهاته ويصححون المفاهيم لا يتوقفوا عن ذلك ولايتراجعوا مهما أدلهم الخطب واستشرى الانحراف والزيف مؤمنين بأن تحرير القيم وإنقاذها من ضباب الوثنية وزيف المادية وردها إلى الحق هو أول الطريق إلى ضياء الحقيقة ، وأول الخطو إلى الطريق الأصيل ، وأول علامة على دخول حركة اليقظة إلى مرحلة الرشد الفكرى : وما الرشد الفكرى إلا الإيمان بالله .

(خامساً) أبرز ما يمثل الفلسفة اليونانية : جمهورية أفلاطون القائمة على النظام العبودى ، ورأى أرسطو فى الرق ومفهوم سقراط الأخلاق القائم على الإباحية وهذه الأصول الأساسية تكشف عن التعارض الكامل بين الفلسفة اليونانية والإسلام ، من حيث دعوة الإسلام إلى تحرير الفرد وأخلاقية الحياة والقضاء على الرق والعبودية .

فضلا عن هذا فقد عرف الإسلام (التجريب) بينما احتقر اليونان التجربة والتجريب .

وقد كان منطق أرسطو أكبر معبر عن روح اليونان، أما القرآن فقد أعطى المسلمين منهجاً مباينا ومنطقاً مختلفاً فى كل خصائصه عن منطق أرسطو فضلا عن أنه أعطاهم تصوراً ميتافيزيقيا كاملا يكفيهم مؤونة البحث العقلى الذى لا يستطيع الوصول إلى حقيقة ما وراء الكون الظاهر .

(سادساً) رفض المسلمون التسليم بمنطق اليونان وأقاموا منهجاً خاصاً من

القرآن الكريم وأعلنوا فى صراحة ووضوح أن منطق أرسطو يقوض أساس الفكر الإسلامى ويهدم ما تبناه المسلمون من أحكام ولا سيما فى نطاق الإلهيات .

ويعتبر ابن تيمية فى رده على منطق اليونان ومن تابعه أكبر ممثل لروح الإسلام تجاه الفلسفة اليونانية ، وبذلك أيضاً أصبح ابن تيمية رائداً لكل الاتجاهات الحديثة فى نقد منطق أرسطو من ارجانون فرنسيس باكون إلى المنطقية الوضعية وقد واجه الفكر الاسلامى منطق أرسطو بالدراسة وسرعان ما مزقه تمزيقاً وأنشأ بدلا منه منهجاً مختلفا يعبر عن خصائصها هو المنهج التجريبى .

ودحض ابن تيمية اتهامات التبعية وكشف عن أن الفكر الاسلامى لم يكن تابعاً لأى فكر وإنما كانت له ذاتيته الخاصة .

وقد رفض ابن تيمية القول بالكليات والمفاهيم العامة المجردة ، وجعل من المحسوسات والجزئيات أساساً للمعرفة .

وبالجملة فقد رفض الفكر الاسلامى المنطق الأرسطى الذى يقوم على القياس والاستدلال النظرى وأقام منطقاً جديداً أكثر تعبيراً عن خصائصه هو المنطق الحسى التجريبى فالفكر الاسلامى فكر تجريبى أصلا .

واعتبر الكندى والفارابى وابن سيناء مجرد امتداد للروح الهلينية فى العالم الاسلامى وإن علماء المسلمين هم علماء الأصول والفقهاء وعلماء الكيميا والطبيعة والطب .

وهكذا استطاع الفكر الاسلامى أن يتخطى منطق أرسطو ويتجاوزه وأن يستوعب آفاقاً من التجربة البشرية يقصر دونها المنطق الشكلى[١] .

---

(١) عن أبحاث الدكتور على سامى النشار .

(سابعاً) عارض التفسير الإسلامى قول الفلاسفة بقدم العالم وقدم المادة وأن العالم أزلى وكشف عن أن العالم حادث مخلوق خلقه الله تبارك وتعالى من العدم بإرادته واختياره فى الزمن الذى أراده وعلى الهيئة التى أرادها، وأن الله خلق الزمان والحركات أيضاً وليس العالم أزلياً (قديماً) ولكن الله يستطيع أن يبقى العالم إلى الأبد إذا شاء ويستطيع أن يفنيه إذا شاء. وعارض التفسير الاسلامى قول الفلاسفة بأن الله يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات وكشف عن أن الله يعلم الكليات والجزئيات وأدق الجزئيات وعارض التفسير الاسلامى القول بإنكار حشر الأبدان، وأعلن أن الحشر والبعث والنشور حقيقة واقعة مرتبطة بالحياة الدنيا وبالمسئولية والجزاء.

وكشف التفسير الاسلامى عن وجود المعجزة بأسباب يعرفها هو وليست مرتبطة بالأسباب الظاهرة التى نقيس عليها الأمور.

(ثامناً) كشف خطر الفلسفة والفلاسفة حين أرادوا أن يزنوا كل شىء بميزان العقل، بينما العقل شطر من منهج المعرفة فى الإسلام وهو نظراً للدائرة المحدودة التى يتحرك فيها لا يستشرف النظرة الكلية إلى الكون أو الحياة.

ثم كانت الفلسفة والفلاسفة خطراً على الدين والأخلاق، عندما اعتقد الفلاسفة فى أنفسهم التميز على أترابهم ونظرائهم فرفضوا فرائض الاسلام والعبادات واحتقروا شعائر الدين واستهانوا بالشرع وحدوده.

أما خطر الفلاسفة على الأخلاق فيرجع إلى أنهم أهملوا أحكام الشريعة فشربوا الخمر وأعرضوا عن الصلاة وقالوا مع ذلك أنهم أدركوا حقيقة النبوة وعلموا أن حاصلها يرجع إلى الحكمة والمصلحة فاذا ما ترفع الإنسان عن طبقة العوام سقط عنه التكاليف وكشف عنه الغطاء.

ومن هنا كانت حملة الغزالى وابن تيمية وقد أعلن الغزالى أن الفلاسفة عجزوا

فى الإلهيات عن الوفاء بالبراهين التى اشترطوها فى المنطق ، وكان هدم آرائهم مؤكدا عجز العقل وحده عن حقيقة المعرفة فى مسائل مابعد الطبيعة ومع ذلك فقد أعلن أن أحكام العقل صادقة فى مسائل الرياضيات والطبيعيات ، أما فى مسائل مابعد الطبيعة فالعقل المحض قاصر عن الوصول إلى اليقين[١].

ومن هنا يتقرر أن التصورات الفلسفية ، سواء العقلية منها أو الصوفية ليست هى التفسير الإسلامى الربانى القرآنى الأصيل .

(تاسعاً) لم تصل فلسفة ما إلى ماوصل اليه الإسلام من تحرير عقل الإنسان وتحطيم الأغلال الموروثة ، فهو يخاطب العقل والقلب معا وقد أكد وحدانية الله وكرامة الإنسان . « والقرآن يدعو إلى أسهل العقائد وأقلها غموضاً وأبعدها عن التعقيد بالمراسم والطقوس وأكثرها تحررا من الوثنية الكهنوتية فقد أبطل القرآن سلطان الأحبار والرهبان والوسطاء بين العبد والرب ولم يفرض على الإنسان قربانا يسعى به إلى المحراب بشفاعة من ولى . فلاترجمان بين الله وعباده يملك التحليل والتحريم والغفران ويقضى بالحرمان أو بالنجاه » .

« فالخطاب إنما يتجه فى القرآن إلى عقل الإنسان حراً طليقاً من سلطان الهياكل والمحاريب وسلطان كهنتها وسدنتها وكل هذا من شأنه أن ينمى فى الفرد الإحساس بالمسئولية ويفتح فى ضميره منفذا واسعا إلى الألوهية ويربطه بها ربطاً مباشراً محكما يرفع كل حجر على وجدانه » .

ولقد علم القرآن أتباعه أن يواجهوا الحياة بواقعية ورباطة جأش لامثيل

---

(١) الندوى — رجال الدعوة والفكر .

(٢) الفلسفة اليونانية دكتور محمد عبد الرحمن مرحبا .

لها من الأديان الأخرى وحثهم على الاقبال عليها والزهد بها فى آن واحد فى توازن مدهش لاتفريط فيه ولا افراط :

شعاره الدين والدنيا » .

« وليس فى الكتب التى توصف بالقداسة وتنسب إلى السماء كتاب كالقرآن يدعو أتباعه على الدوام أن يكونوا أعزة أقوياء ولم يصلح فى هذه الدعوة كتاب آخر كما أفلح القرآن » .

الكتاب الأول

ما قبل الاسلام

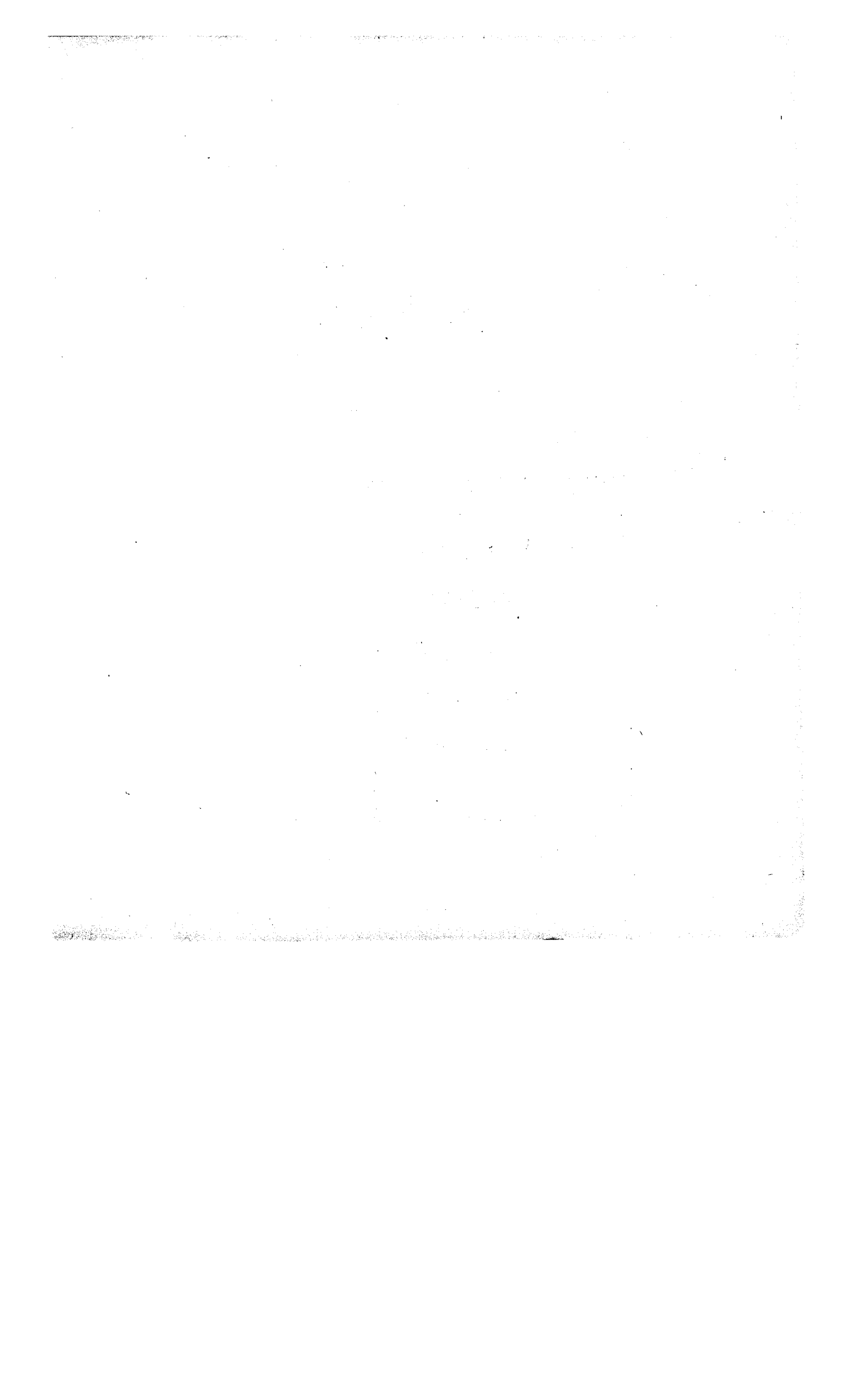
الفكر اليهودى

الفلسفة اليونانية

الفلسفة الغنوصية

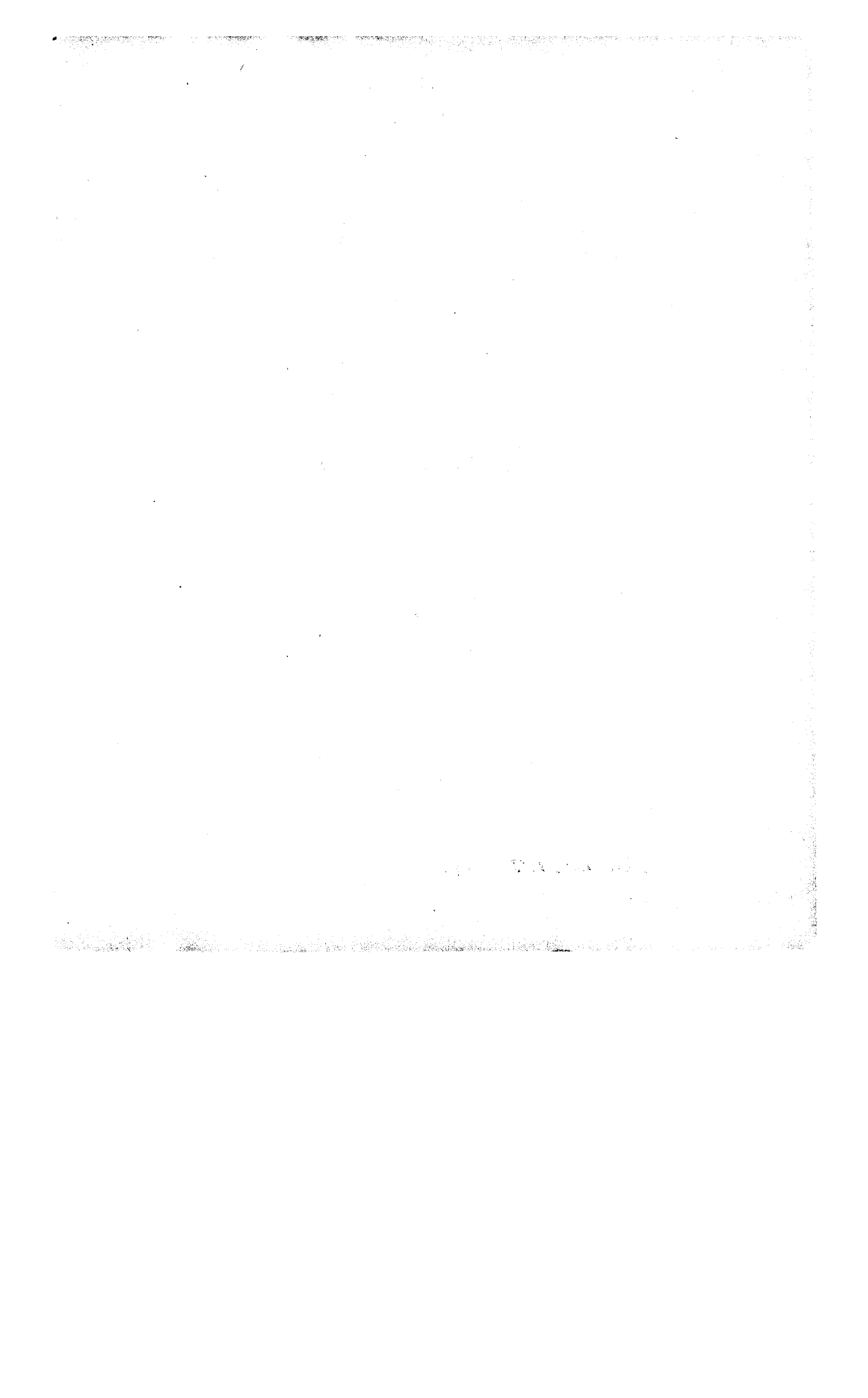
الفلسفة الغربية المسيحية

الوثنية العبرية .



الباب الأول

ما قبل الاسلام



الفصل الأول

ماقبل الإسلام

كى ندرس الفكر البشرى فى تطوره وامتداده على العصور قبل الاسلام لابد أن نضع خريطة تحدد المراحل التى مر بها هذا الفكر من ثنايا الأديان المنزلة .

ذلك أن الحقيقة التى لم يعد هناك ريب فى صدقها أن البشرية بدأت موحدة وأن الإنسان الأول فيها كان نبيا وأنها ظلت على مدى العصور تنتقل بين التوحيد والشك،وبين الإيمان والإلحاد ، وبين مفهوم السماء والمفهوم البشرى.

وليس صحيحا ماتذهب اليه دراسات الأديان المقارنة المعاصرة ، وجلها تقوم على أساس تأكيد غاية واحدة معروفة لخدمة الفكر البشرى واعلائه على الفكر الأصيل المتصل برسالات السماء.

وأمامنا نقط أربعة مضيئة على طريق طويل : هى الحنيفية دين إبراهيم ، واليهودية دين موسى والنصرانية دين عيسى والإسلام دين محمد وفيما بينها تحرك الفكر البشرى حركته التى نشأت عنها مختلف المذاهب والدعوات ، التى حملت مختلف الشبهات والتحديات التى عادت فطرحت نفسها مرة أخرى وبقوة فى وعاء الاسلام بعد أن جاء حاسما وقاطعا وفاصلا بين عهدين : عهد الفكر البشرى باضطرابه وتضاربه وخلطه بين الحقائق والأباطيل ، والهدى والزيف وبين عهد الفكر القرآنى الربانى الخالص الذى بسط مختلف الحقائق ورسم

منهجا كاملا للعقيدة والمجتمع وأعطى الإنسانية دستوراً كاملا واضحاً مجيباً عن كل الأسئلة الحائرة والشبهات المضببة حول القضايا الكبرى التى شغلت وماتزال تشغل الإنسان :

الحقيقة الإلهية : حقيقة الكون : حقيقة الحياة : حقيقة الإنسان وعلاقة هذه الحقائق بعضها ببعض .

لقد كشفت الأديان المنزلة عن هذه الحقائق وقدمت للانسان إجابات صريحة واضحة وساطعة فى هذا المجال بعد أن وضعت أمامه تفسيراً صحيحاً لمدى مقدرته فى فهم عالم الغيب عن طريق عقله وحواسه ووجدانه ، وبذلك أعفته من جهد لاطائل تحته فى مجال الميتافيزيقا كلها ، ووجهته إلى مجال الحياة والبناء والإنشاء وحشدت له كل جهده وعقله .

ولكن « الإنسان » لم يشأ أن يتقبل هذا المنهج الربانى تقبلا كاملا ، وأباح لنفسه الحق فى أن يصل عن طريق أدواته القاصرة إلى فهم هذه الحقائق فنشأ بذلك هذا (الفكر البشرى) الذى تجاوز كثيراً حدود قدراته وحدود معطياته التى قدمتها له الأديان المنزلة .

ولقد كان فى استطاعة العقل البشرى اهتداءاً بالوحى ورسالات السماء أن يصل إلى ماقررته هذه الأديان وأن يجد مااستطاع استخلاصه مطابقاً لما جاء به الرسل والأنبياء . ولكن الأسلوب الذى سلكه الانسان : ببشريته واهوائه ومطامعه وعجزه عن التحرر من عواطفه وغرائزه ، لم يصل به إلى الحقيقة وانما وصل به إلى محاولات للتحرر من حدود الله ، والتخلص من الضوابط التى وضعها منشىء الإنسان لتكون قوة له ، وحماية لوجوده ، ودفعا له إلى الطريق الأسمى ، طريق التقدم ماديا وروحيا ، لتحقيق الهدف الأسمى من وجوده على الأرض خليفة لله وسيداً للكون ومسيطراً على كل هذه المعطيات تحت حكم الله وفى إطار شريعته .

ولكى ننطلق من مدخل واضح ، فان علينا أن نبدأ من نقطة مقدمة : هو بعثة نبى الله إبراهيم عليه السلام بحسبانها ملتقى الديانات الثلاث الكبرى التى مازال قائمة فى العالم اليوم وبوصفه أبى اليهود والمسيحيين والمسلمين : وأبى الأمم القائمة فى هذه المطلقة كلها ومن بينها العرب .

وفيما بين دعوة إبراهيم : « الحنيفية السمحة » وبين رسالة الاسلام الخاتمة على يد محمد صلى الله عليه وسلم نجد المرحلة الحافلة بالأديان السماوية من ناحية وبالفكر البشرى من ناحية أخرى ونجد ذلك الخلط والإضافة والحذف والتزيق والتشكيل .

فابراهيم (أولا) هو نقطة الارتكاز التى ارتبط بها الاسلام واعتبر نفسه متصلا بها ومكملا لها .

(قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينـا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) .

فابراهيم هو أبى التوحيد الخاص فى أمة تشكلت بين العراق حيث ولد وفلسطين ومصر حيث رحل والجزيرة العربية حيث رفع القواعد من البيت واسماعيل وأنشأ أمة العرب العدنانية القرشية الهاشمية التى أنبتت محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء .

ومن ابراهيم : جاء اسماعيل جد العرب والمسلمين واسحق جـد اليهود والنصارى . وفى هذه الأمة جميعاً نزلت رسالات السماء ولأمر ما أصبحت هذه المنطقة التى تحرك فيها ابراهيم بين العراق والشام ومصر والحجاز هى أرض الأديان فى الشمال نزلت اليهودية والنصرانية وفى الجزيرة نزل الدين الخاتم : الإسلام :

وما تزال اليهودية والنصرانية والإسلام هى الأديان الكبرى ذات الصلة بالسماء القائمة على الأرض بينما كل ما سواها هو من أديان الأرض وفلسفاتها وعقائدها البشرية .

وإذا كانت اليهودية والنصرانية قد أصابها من الغير ما انحرف بدعاتها عن الحقيقة الأصيلة أو اختفت كتبها السماوية أو اضطربت مفاهيمها فانما جاء ذلك نتيجة إتصالها بالجذور الوثنية والاثنينية والمعددة من فلسفات الهند واليونان ومصر القديمة أى الفكر الشرقى ذى الجذور الغنوصية والفكر الهلينى ذى الجذور المادية والمعددة مما أخرجهما عن طابعهما الربانى الذى جاء به موسى وعيسى عليهما السلام .

وقد أشار القرآن إلى ظاهرة التحريف والخروج على الأصول التى جاءت بها الأديان من علم ، ووصف هذا التحريف بالبغى حين جاءهم العلم بغياً بينهم ومن هنا نشأ الفكر البشرى .

ولقد تجمعت هذه القوى الضارية من الفكر البشرى مرة أخرى بعد الإسلام واقتحمت حرمه وحاولت أن تدمره وأن تخرجه عن آصالته وربانيته وتوحيده وشكلت فى أعماقه بضع وسبعين فرقة ، غير أن خاصية الإسلام كانت قد صيغت صياغة خاصة تحميها من الزيف وترد عنها الدخيل وتحميها من الإحتواء ، وتجعل له القدرة على أن تدفع عن نفسها وتتجدد من داخلها وتعيد تشكيل نفسها بالتماس جذورها وينابيعها الأولى وظهر على خلال المدى الطويل عشرات من مجددى الإسلام ومصححى مفاهيمه والأئمة الهداة الذى صادموا هذا الفكر الدخيل ودمروا قوائمه وكشفوا عن زيفه ومزقوه شر ممزق .

وكانت جولة ضخمة عاصفة ثم لم يلبث الإسلام من خلال فترة ضعف

شديدة وأزمة عنيفة ان واجه نفس الحملة الضارية فى عصرنا هذا ومنذ قرن أو يزيد ومايزال الإسلام قادراً على أن يكشف جوهره ويزيل عن نفسه كل زيف ويدفع عن حقيقته المضيئة المشرقة الغبار والسحب والشبهات .

(٢)

كان نبى الله ابرهيم علامة على المرحلة التى بدأت به وختمت برسول الله محمد وكان علامة على المنطقة والأمة وأرض الأديان :

ولا ريب أن دين إبراهيم والأنبياء من أبنائه جميعاً كانوا يحملون أصول الفكر الإنسانى المنزل من السماء والموحى به من عند الله والقائم على الحق والعدل ، هذا الفكر الذى تبلور من بعد فى صورة عالمية ـ بعد إن كانت قومية ـ وفى صورة كاملة ، فى الإسلام خاتم الرسالات السماوية وحفظها القرآن خاتم الكتب السماوية وجاء بها محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين .

ولا ريب أن هذه الأديان الأرضية والفلسفات والعقائد والمذاهب المتعددة التى ظهرت بين اليهودية والمسيحية وبين المسيحية والإسلام قد استمدت خير مافيها وأصدقه وأقرب إلى الفطرة والتوحيد والعدل من رسالات السماء . غير أنها ـ أى هذه الأديان الأرضية والفلسفات قد شابها اضطراب كثير ودخل عليها زيف كثير ، شكل منها ما أطلق عليه اسم « الفكر البشرى » : وهو ما تعارض فى بعض أصوله وفروعه مع الفكر القرآنى الذى يعد بمثابة الصورة النهائية للوحى الربانى ، والذى يحمل فى تضاعيفه « المنهج الإنسانى الأمثل » : للحياة والكون والمجتمع : عقيدة وشريعة وأخلاقا .

لقد اصطرعت البشرية طويلا من خلال فكرها قبل الإسلام ، فلما جاء بالحق وضع الحدود والفواصل ، ورسم النقاط على الحروف ، وأجاب

على كل الأسئلة وشفى الصدور من كل زيغ وإنحراف وخطأ وقدم للنفس الإنسانية فطرتها الخالصة القائمة على التوحيد والأخلاق والإيمان بالغيب .

غير أن الفكر البشرى لم يستسلم إزاء هذه الموقعة الفاصلة بين عهدين فى تاريخ البشرية ، عهد جاهليتها وعهد إسلامها لله . لم يستسلم الفكر البشرى بوثنيته واثلينيته وتعدده وإلحاده وإباحيته وعاد يتجمع من جديد ليضرب الإسلام والفكر القرآنى فى أعماقه فظهرت عشرات الفرق والدعوات والمذاهب من داخل الاسلام تحاول من خلال إطار زائف أن تحتضن هذه الفلسفات والوثنيات وتزاحم بها منهج التوحيد الخالص وتتخذ من أسلوبى المنطق العقلى أو الالهام الروحى سبيلا إلى إعلاء مفاهيم التحلل والاباحة والخروج عن حدود الله وإطراح الأخلاق والتوحيد والاندفاع إلى زيف ما أطلق عليه إسقاط التكليف أو إلغاء البعث والجزاء إلى غير ذلك مما حملته الفلسفتين اليونانية والغنوصية إلى الفكر الاسلامى من حطام الشكوك وركام الأوهام .

وإذا كان الفكر « القرآنى الاسلامى » قد استطاع أن يدافع هاتين الفلسفتين فان لوناً آخر من ركام الفكر البشرى قد حاول أن يلتمس له مكاناً داخل الاسلام .

ذلك هو فكر الأديان البشرية ويتمثل فى جماع إنحرافات الأديان السماوية وتحللها من أصولها الأصيلة وامتزاجها بالفلسفات الهيلنية والغنوصية على السواء والذى تشكل من بعد فى بيئة الفكر الغربى .

وقد أشار القرآن إلى ظاهرة التحريف فى الأديان السماوية والخروج عن الأصول التى جاءت بها من شرائع وعلم ووصف هذا التحريف بالبغى :

وقد كان الناس قبل هذا التحريف أمة واحدة ثم اختلفوا حين جاءهم العلم

بغيا بينهم ومن هنا نشأ الفكر البشرى . القائم على الوثنية والتعدد والاباحة بقول الله تعالى فى سورة البقرة (٢١٣) .

«كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه . وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم» .

(٤)

كان نبي الله إبراهيم علامة على المرحلة التى بدأت به وختمت برسول الله محمد ، وكان علامة على المنطقة والأمة وأرض الأديان ومن خلاله تشكلت مرحلتان :

(١) مرحلة اليهودية : وقد امتدت منذ رسالة موسى عليه السلام إلى رسالة عيسى عليه السلام فى فترة لا تقل عن ألف وخمسمائة عام .

(٢) مرحلة المسيحية : وقد امتدت من رسالة عيسى عليه السلام إلى مجىء محمد صلى الله عليه وسلم فى فترة لا تقل عن ستمائة عام .

١ — جاء موسى عليه السلام إلى بنى إسرائيل بالتوراة : فيها هدى ونور وهى شريعة كاملة : وتعد التوراة أول كتاب نزل من السماء ، أما ما أنزل على إبرهيم وغيره من الأنبياء فما كان يسمى كتباً بل صحفا[1] .

والديانة الموسوية المنزلة بالتوراة تقوم على أساس التوحيد والايمان بالله

---

(١) الشهرستانى فى الملل والنحل .

الواحد ، رب العالمين ، ولها شريعتها التى تضمنتها الألواح (وكتبنا له فى الألواح من كل شىء موعظة وتفصيلا لكل شىء) .

غير أن هذا الدين لم يلبث أن تغير ولم تعد التوراة المنزلة الصحيحة هى مصدره الوحيد ولكن أصبح هناك توراة مكتوبة : أشار إليها القرآن الكريم حتما أشار إليه من تحريف الكتاب وما نص عليه من أنهم يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هو من الله ، وجعله « قراطيس » يبدونها ويخفون كثيراً .

ثم نشأ لهم مصدر آخر هو التلمود الذى كتبه أحبار اليهود حوالى عام ١٥٠ بعد الميلاد ثم جاء كتابهم المشنا والجمارا ثم جاءت بروتوكولات صهيون فى العصر الحديث إضافة الى هذه المصادر .

وأبرز الانحرافات التى أصابت اليودية : أنها أصبحت بالحذف والاضافة عن المصدر الأصيل .

(أولا) ديانة عنصرية مقفلة على أهلها تقوم على شعب خاص ترفض غير أهلها وتحتقرهم : فالديانة اليهودية ليست دينا تبشيريا ولا انسانياً عاماً .

(ثانيا) اعتبار اليهود أنفسهم « شعب الله المختار » ومن سواهم من البشر (جوييم) أى (أميون) يحل خداعهم وسرقتهم وقتلهم .

(ثالثاً) إنكار الآخرة والبعث : والقول بأنه ليس فيما وراء هذا العالم عوالم : وان الجزاء (ثواباً وعقاباً) يقع فى الدنيا والحياة الدنيا فى كتابهم هى عالم الإنسان وربما كان البعث عندهم هو عودة دولتهم .

(رابعاً) الإله عندهم : « يهوه » إله الحرب والإنتقام وهو إله خاص بهم وحدهم وليس إله الناس جميعاً ، وهو إله قاس مدمر متعصب لشعبه لأنه ليس

إله كل الشعوب بل إله بنى إسرائيل وحدهم وهو بهذا عدواً للآلهة الأخرين كما أن شعبه عدو للشعوب الأخرى(١) .

وهو ليس بمعصوم وكثيراً مايقع فى الخطأ . وقد وقف موسى منه موقف الناصح . وإلى هـــذا المفهوم ترد كل صور الوحشية والقسوة فى معاملة غير اليهود فى السلم والحرب .

ولا يقر مفهومهم الإله الواحد : إله الخلق أجمعين ، وإنما يعبدون مايسمى بإله إسرائيل :

(خامساً) إتجه الفكر اليهودى إلى التجسيم والتعدد وعبادة الأصنام والإعتقاد فى السحر والأرواح والشياطين وهم لم يتخلوا عن عبادة العجل الذهبي حتى بعد رسالة موسى .

(سادساً) لليهود مسيح ينتظرونه وهو غير المسيح عيسى على السلام ، وهو ملك وليس نبياً ، ملكا فاتحاً من نسل داود يسمونه ابن الله ". والمنقذ الذى يعيد مجد إسرائيل ويجمع اشتات اليهود فى فلسطين .

أما التوراة فقد ثبت أن النصوص الموجودة الآن هى التوراة المنزلة على موسى عليه السلام وهناك عشرات من النصوص تؤكد هذا المعنى وأهمها :

دائرة معارف لاروس التى تقول بالنص : [موسى ولد ١٥٧١ وتوفى ١٤٥١ أسس مدنية وديناً ، ولا نملك الكتاب الحقيق لشريعته ، فقد نسبت إليه التوراة أو الكتب الخمسة الأولى من الكتاب المقدس ولكن هذه التوراة حاملة لآثار لا نزاع فيها من الحواشي والتنقيحات ومن علاقات أخرى تدل على أنها ألفت بعد الزمان الذى مات فيه موسى بعهد طويل .] ا . هـ

(١) عن تعريف الدكتور أحمد شلبى : اليهودية

(٥)

وفيما بين اليهودية والمسيحية مسافة ألف وخمسمائة عام ظهرت خلاله أديان بشرية ومذاهب ونحل وفلسفات متعددة :

كانت البرهمية موجودة فى الهند قبل اليهودية أو موازية لها فقد ثبت أن كتابها (الفيدا) قد وضع قبل الميلاد بألف وخمسمائة سنة . ثم تجددت البرهمية فى القرن الثامن قبل الميلاد .

وفى القرن السابع قبل الميلاد ظهر (زرادشت) فى فارس مجدداً للمجوسية .

وفى القرن السادس قبل الميلاد ظهر فى الهند (بوذا) (٥٦٠ ق.م) معارضاً للبرهمية .

وفى نفس القرن السادس قبل الميلاد ظهر كنفوشيوس فى (٥٥٢ ق م) .

وقد حمل هـذا القرن السادس مطالع الفلسفة اليونانية فى أثينا ثم بلغت غايتها فى القرن الرابع .

ثم ظهرت الأفلاطونية الحديثة فى القرن السابق لميلاد السيد المسيح .

(٦)

والمسيحية أو النصرانية هى الدين الذى أنزله الحق تبارك وتعالى على سيدنا عيسى بن مريم وكتابه الإنجيل . وقد جاءت النصرانية مكملة لليهودية ومصححة لبعض ما انحرفت إليه من أخطاء ومخففة لبعض ما جاء بها من قيود وكما جاءت اليهودية إلى بنى إسرائيل فقد جاءت المسيحية أيضاً إليهم بعد ألف وخمسمائة عام ومن خلال ركام ضخم من الإنحراف والزيف والتغيير والتبديل .

وإذا كانت اليهودية فى عقائدها الأصلية تقوم على ما قامت عليه جميع الأديان المنزلة :

(١) توحيد الله الواحد إله الناس جميعاً .

(٢) والبعث والجزاء والحساب .

(٣) إقامة شريعة الله فى الأرض .

فإن المسيحية وهى من عند الله لم تكن تختلف عن اليهودية ولا عن الأديان المنزلة من قبلها فهى دين توحيد مطلق يعترف بالله الواحد الأحد وأن عيسى نبى مرسل من عند الله .

كذلك أجمعت اليهودية والمسيحية ، وأجمعت التوراة والإنجيل على التبشير بمحمد صلى الله عليه وسلم خاتماً للأديان والرسل ، داعية معتنقيها إلى الإيمان به .

وهناك حقيقة أساسية فى الرسالة المسيحية إنها جاءت لتصحيح مسار الديانة اليهودية ولذلك فهى ليست ذات شريعة خاصة وإنما هى وصايا وأخلاق . وان هذه الوصايا إنما قصد بها تخفيف جشع اليهود وإنصرافهم إلى المادية الخالصة . فهى دعوة إلى التحرر من المادة والزهد فى الدنيا والتطلع إلى الجوانب الروحية القائمة على الرحمة والخير والسماحة والحب وهى فى مجموعها تنقض اليهودية فى واقعها بعد أن خرجت عن أصلها الأصيل .

وقد جاءت حياة عيسى فى مجموعها معجزة كبرى : وحفلت بالآيات ، فقد ولد من غير أب ، واختلف الناس فى أمره مولده وأمر موته .

وفى عديد من مواقف حياة عيسى وموته تنكشف الحقائق إلى تزيف الفكر اليهودى الذى خرج عن رسالة السماء فخلق عيسى من غير أب هو دحض للنظرية الفلسفة التى تقول بالعلة والمعلول التى لا تستطيع أن تحيط بمفوم قدرة الله القادر على أن يخلق بغير علة سابقة : وأنه هو الذى وضع النواميس التى تربط الأسباب بمسبباتها وهو القادر على أن يخرقها ويتجاوزها فتوجد المسبب دون أن يوجد السبب .

وكان الفكر اليهودى البشرى الذى إنحرف عن أصوله قد أنكر الروح واعتقد أن الإنسان مادة خلقت من مادة فأراد الله أن يخلق إنسان دون أن تكون المادة أساساً له[١] .

ومن الحق أن يقال أن النصرانية كانت تصحيحا مباشراً لإنحراف اليهودية فقد حرف بنو إسرائيل شريعة موسى وجعلوا همهم جمع المال وامتد هذا التفكير المادى إلى العلماء والرهبان فأخذوا يحرضون العامة على تقديم القرابين والنذور للهيكل رجاء أن يحصلوا على الغفران وربطوا الغفران برضا الرهبان ودعائهم . وتعمقوا فى المادية وبعدوا عن الروحية ، فأنكر فريق منهم القيامة والحشر ، ومن ثم أنكرو الحساب والعقاب ، فانغمس الكثيرون منهم فى متاع الحياة الدنيا غير خائفين من عاقبة ، ولا متوقعين حسابا »[٢] .

ولذلك قاومت المسيحية هذه المادية الغالية ووساطة الأحبار .

(٧)

غير أن النصرانية لم تلبث أن إنحرفت بعد أن عبرت إلى أوربا فاستقرت فى الدولة الرومانية ذات الحضارة الوثنية والفكر الهلينى والقانون الرومانى ، وفى هذا الجو بكل قيوده وتحدياته سيطرت المسيحية على أوربا وسيطر عليها الفكر البشرى القديم واحتوتها الفلسفتين اليونانية والغنوصية جميعاً فأخرجتاها عن الرسالة السماوية المنزلة : وكان أخطر ما أصابها من تحريف أفكار ثلاثة :

(أولا) فكرة التثليث وألوهية المسيح .

(ثانياً) فكرة الخطيئة والصلب باسم التكفير عن خطيئة البشر .

(ثالثاً) الرهبانية والإقامة فى الصوامع .

---

(١) أبو زهرة وأحمد شلبى: محاضرات فى النصرانية للأول وكتاب المسيحية للثانى
(٢) شلبى نفس المصدر

الباب الثانى

الفكر اليهودى

(١) أصول الفكر اليهودى .

(٢) تزييف التوراة .

(٣) عناصر التحريف .

الفصل الأول

أصول الفكر اليهودى

« يقوم الفكر اليهودى » على أساس المفاهيم التى أقرها الحاخامات اليهود على مدى القرون مغايرة للتوراة المنزلة ، ومنصبة أساساً على الاتجاه الذى حددته اليهودية لانطلاقها كحركة فى المجتمع البشرى ومن خلال التحديات التى واجهتها وتصدت لها .

والمعروف أن اليهودية قد تشكلت أساساً وفق مفهوم التوراة : الكتاب المنزل على النبى موسى بن عمران ، وهى دين سماوى يقوم على أساس الإيمان بالله الواحد ويحقق شريعة الله فى أمور الدنيا والاعتراف بالجزاء واليوم الآخر والجنة والنار . وهى الرسالة الأولى التى نزل معها كتاب هو التوراة التى وصفها القرآن بأن فيها هدى ونور أما ما قبلها فكانت صحفاً . وقد جاءت رسالة موسى إلى اليهود واحدة من سلسلة رسالات السماء إلى الأمم والأقوام وتميزت بأنها إحدى الرسالات الكبرى الثلاث التى ما تزال أديانها قائمة : اليهودية والمسيحية والإسلام .

* * *

غير أن هذا الدين السماوى بمقرراته الربانية القائمة على التوحيد والأخلاق والإيمان بالغيب والبعث (ورسالة أديان السماء واحدة بوحدة مصدرها) هذا الدين لم يلبث أن أصابه اضطراب كبير وأصاب كتابه (التوراة) تحريف خطير وجرى زيف بالغ بالحذف والاضافة فى النص الأصيل .

وقد اتصل هذا التحريف بأصول الدين ومقاصده وقيمه ، وجرى الاتجاه إلى التغيير مع أهواء اليهود الأصيلة القديمة القائمة فى النفوس والأهداف ، واستهدف صياغة منهج له صفة القداسة الدينية يبرر المطامع والأهواء ويصبغ الغايات المادية البالغة العنف بصبغة الرسالة السماوية .

ومن هذا كان ما كشفته الوثائق من أمر إعادة كتابة التوراة من جديد وفق هذه المقاصد حتى ليمكن القول بأن (العهد القديم) الموجود الآن ليس هو التوراة رسالة السماء ، وإنما هو من وضع الأحبار والحاخامات وأنه قد كتب على النحو الذى يرسم أهداف اليهودية كما أرادها قادتها لا كما أنزلت .

وتبدو هذه الحقيقة واضحة من أدنى مراجعة لمقررات العهد القديم الماثل فى الأيدى الآن حيث ينكشف هذا الانحراف والزيف والمخالفة الواضحة للمقررات التى رسمها الدين الموحى به من عند الله إلى رسول الله موسى عليه السلام .

وهنا تبرز نقطة التحول الخطيرة التى تفصل فصلا تاماً بين دين الله وكتابه التوراة ، وبين اليهودية التى أقامها قادتها من وحى مطامعهم وأنشأوا من أجلها كتاباً آخر هو (العهد القديم) .

الفصل الثاني

تزييف التوراة

تكاد المصادر المختلفة التي كتبها الغربيون أن تجمع على أن (العهد القديم) ليس هو التوراة المنزلة ، ومن خلال عشرات الأبحاث التي ترجمت إلى اللغة العربية كانت هذه الحقيقة واضحة ليس فيها لبس ولا ريب ، بل نستطيع أن نجزم بأنه لا يوجد هناك من يقول إن (العهد القديم) هو التوراة المنزلة .

وهاتان وجهتا نظر في هذا الأمر أحدهما غربية والأخرى شرقية :

١ — في مقدمة من عرض لهذه القضية الكاتب اليهودي المعروف (ول ديورانت) فهو يتساءل في الجزء الثاني من كتابه قصة الحضارة (ص ٣٦٦ وما بعدها) فيقول :

« ترى ماذا كان كتاب شريعة موسى : كيف كتبت هذه الأسفار ومتى كتبت وأين كتبت » ، ويجيب بقوله : ذلك سؤال بريء لا ضير فيه ولكنه سؤال كتب فيه خمسون ألف مجلد ، ثم يصل إلى القول بأن « العلماء مجمعون على أن أقدم ما كتب عن أسفار التوراة هما القصتان المتشابهتان المنفصلة كلتاهما عن الأخرى في سفر التكوين تتحدث إحداهما عن الخالق باسم (يهوه) على حين تتحدث الأخرى عنه باسم (الوهيم) وإن هذه القصص وتلك قد امتزجت في قصة واحدة بعد سقوط السامرة . وفي هذه الشرائع عنصر ثالث يعرف بالتثنية ، أكبر الظن أن كاتبه أو كتابه غير كتاب الأسفار السابقة وثمة عنصر رابع يتألف من فصول أضافها الكهنة فيما بعد وكانت أساطير

الجزيرة العربية هي المعين الغـــزير الذى أخذت منه قصص الخلق والغواية والطوفان التى يرجع عهدها فى تلك البلاد إلى ثلاثة آلاف سنة أو نحوها قبل الميلاد .

ولعل اليهود أخذوا بعضها من الأدب البابلى أثناء أسرهم ، ولكن أرجح من هذا أنهم أخذوها قبل ذلك العهد بزمن طويل من مصادر سامية وسومرية قديمة كانت منتشرة فى جميع بلاد الشرق الأدنى)[1] .

٢ — يقول الدكتور أنيس فريحة :

أسفار التوراة (العهد القـــديم) المعترف بها ٣٩ سفراً لا تعرف أسماء مؤلفيها على وجه الدقة وهى أشبه بملحمة كتبها العبرانيون من وجهة نظرهم الخاص ، فيها شعر وقصص وأساطير وروح دينية عميقة وإيمـان راسخ بإله واحد يسير الكون بمشيئته ، ويعتنى بصورة خاصة بشعب خاص هم العبرانيون القـدماء .

« كانت أسفار التوراة من شعر وقصص وأمثال وتاريخ وتعليم دينى فى بادىء أمرها روايات شفهية متداولة جيلا بعد جيل ، إلى أن قيض لها أن تدون فى حدود ٤٤٠ ق.م ولكن الذين دونوها لم يرتبوا المواد ترتيبا زمنياً .

السؤال الثانى : من ألف هذه الأسفار ومن جمعها فى شكلها النهائى :

وقلنا إننا لا نعلم أسمـاء المؤلفين وأصحاب الروايات معرفة يقينية ، ولهذا اصطلح علماء التوراة على تسميتهم برموز فهناك الكاتب اليهودى ، الألوهيمى الكهنوتى، التشريعى. وأخيراً الكاتب الموفق بين الروايات اليهودية والروايات الألوهمية .

---

(١) جـ٢ قصة الحضارة ول ديورانت .

فى (٨٥٠ق.م) حاول كاتب أو راو أو محدث عبرى أن يجمع من الفلكلور الكنعانى ما كان شائعاً بين الناس من قصص وأساطير وروايات عن الآلهة (إيل ومردوك والبعل) وطبيعى أن يعزو هذه القصص والأخبار إلى يهوه لأنه كان يعتبر أن إله العبرانيين منذ زمن أنوش حفيد آدم كان يهوه ، ثم إنه حاول أن يجمع تاريخ قومه بادئاً بقصة الخليقة كما كانت عند البابليين (أى الاصحاح الثانى من سفر التكوين) ثم بآدم وحواء والجنة وسقوط الانسان فى الخطيئة وتغير الانسان والخليقة بعد سقوط الانسان ثم الطوفان ثم أخبار العبرانيين : موسى وهارون وإبراهيم وإسحق ويعقوب .

« هذا الكاتب سبق الاغريق فى محاولته كتابة التاريخ بشكل ملحمة رائعة.

وقال الدكتور أنيس فريحة :

إن « يهوه » كما تصوره الكاتب اليهودى مجرد إنسان عظيم قدير ينزل إلى الفردوس ليتحدث إلى آدم ويأمر قابيل وهابيل أن يقدما قرابين فيقبل قرابين الواحد منهما ويرفض قرابين الآخر .

ويقول الدكتور أنيس فريحة : إن تقدم العلوم ساعد على نقد التوراة .

وفى مقدم العلوم ثار التناقض الواضح بين ما أثبته العلم وما جاء فى التوراة شكا وقلقاً روحياً .

وأشار أنيس فريحة إلى ما أصاب التوراة من تغيير وتحريف وقال : إن هناك أغلاطاً منشؤها السهو والكسل والملل أو ضعف النظر، وإذا كان الناسخ غير أمين فى عمله عندما تعرض كلمة لا يستطيع قراءتها يعمد إلى تغيير الكلمة أو تحوير النص بكامله ليستقيم المعنى .

وقال إن ذلك يرجع إلى صعوبة الحرف العبرى وتشابكه وأشكاله ، فإن

حروفاً كثيرة تختلط أشكالها على النـاسخ إذا كان الـكاتب الذى ينسخ عنه لم يحسن رسم الحرف وقال : إن هوامش المعـلقين والشراح كانت تحشر أحياناً فى المتن ولم ينج نص التوراة من كل هـذه الآفات لجاء أيضاً مشـوهاً قلقاً غامضاً فى كثير من الأسفار » .

* * *

(٢)

ولليهود كتابان مقدسان : التوراة والتلمود .

والتلمود هو الروايات الشفوية التى تناقلها الحاخامات من جيـل إلى جيل جمعت فى كتاب عام ١٠٥ ميـلادية وأضيفت إليها شروح وزيادات .

ويضم التلمود : المشنة والجيمارة .

وقد تعددت نسخ التلمود وكتب التلمود الأخير فى القرن السادس الميلادى وإذا كان العهد القديم مخالفاً للتوراة تجاوزاً إلى أهواء اليهود فإن التلمود هو خطوة أخرى أشد عنفاً وتجاوزاً ، ويعتقد اليهود أن العهد القديم (أى الناموس المكتوب) ناقص ومبهم فى كثير من المواضيع ولا يكون اليهودى عندهم مؤمناً إيماناً كاملا إلا إذا صدق التلمود .

والتلمود المكون من المشنا وحواشى المشنا (الجمارا) عبـارة عن الوصايا التى كتبها الأحبار والتعاليم الشفوية وهم يضعونه فى منزلة التـــوراة ، بعضهم يجعلها أسمى من التوراة . أو أن من يقرأ التوراة بين المشـنا والجمارا فليس له إله .

وقد حاول ول ديورانت إحصاء مصادر الفـكر اليهودى فلم يكد يغادر من أسطورة أو فـكرة وثنية مما سبق تاريخ دينهم أو عاصره من أساطير بابل

وأساطير الجزيرة العربية والمصادر السومرية والقصص الشعبي فى مصر والهند والفرس واليونان والتبت والفكر الفرعونى القديم والفكر الفارسى وشريعة حمورابى .

وقال إنها جميعاً كانت منبعاً غزيراً لأسفار العهد القديم .

ويقرر ول ديورانت: أن أسفار العهد القديم جمعت لأول مرة فى بابل وظهرت فى القرن الخامس قبل الميلاد ، ويظهر إسم الكاهن عزرا مرتبطاً بتدوين التوراة .

* * *

وقد أقر الدكتور هربرى لوى اليهودى فى كتاب أديان العالم الكبرى :

« إن هناك عقائد دخيلة انسابت إلى اليهودية عن فارس وبابل والإغريق لا سند لها فى اليهودية بالذات » .

ويرد كثير من[1] الباحثين انحراف اليهود عن التوراة إلى ما بعـــد عهد سليمان وضياع التوراة ، حيث ارتد اليهود إلى عبـادة الأوثان وعبادة آلهة الأقوام المجاورين ، فقد ذهبوا إلى أبعد مدى حين بنى مذبح للأصنـام فى فناء بيت المقدس ويؤكد بعض المؤرخين أن الكاهن حلقيا كتب خلال سبعة عشر عاماً ما أسماه أسفار التوراة حوالى ٦٢٩ ق.م .

ويربط بعض المؤرخين ضياع[2] التوراة التى أنزلت على موسى إلى العهد الذى حرق فيه بختنصر الهيكل حيث فقدت التوراة سندها الأصلى الذى كانت

---

(١) الدكتور أحمد شلبى : اليهودية .

(٢) الدكتور محمد وصفى (الارتباط الزمنى) .

ترجع إليه بعد حرق أورشليم وسبي اليهود إلى بابل ، ثم عبدوا العجل من بعد ذلك .

ولا ريب أن هذه النصوص وغيرها تؤكد ما قرره القرآن وما ذهب إليه علماء المسلمين من أن « اليهود عمدوا آثمين إلى تحريف الكتاب » وأن النص الصحيح لما جاء فى التوراة هو ما أورده القرآن . فليس هناك رأى واحد يجرؤ على القول أن العهد القديم الذى فى أيدى الناس الآن هو التوراة التى أنزلت على موسى بن عمران .

* * *

وجملة قول الباحثين فى تزييف التوراة :

(أولا) إن العهد القديم الموجود الآن مكتوب بأيدى أناس متعددين من المؤلفين وإن هناك شك فيما إذا كانت هى شخصيات تاريخية أم أسماء وهمية .

(ثانياً) إن العهد القديم ملىء بأخطاء ترجع إلى اختلاط الحروف ودخول هوامش الشراح فى المتن مما جعلها مشوهة قلقة .

(ثالثاً) التوراة الموجودة الآن ضمن الكتاب المقدس ليست المذكورة فى القرآن بحال وفى الأرض توراتان أو ثلاث ذكرت التواريخ فيها مختلفة من آدم إلى المسيح .

(٣)
لماذا أجرى اليهود التحريف

إن أبسط إجابة على هذا السؤال هو أن اليهود كانوا يستهدفون إقامة منهج فكرى واجتماعى يحقق لهم طريقهم الذى سلكوه منذ آلاف السنين إلى اتخاذ (الربا) أسلوباً للاقتصاد والتجارة والتعامل فى العالم كله . فذلك هو عملهم الأول الذى حاربته الأديان جميعاً والذى جاءت التوراة ناقضة له نقضاً تاماً .

ولذلك فقد كان لابد من تزييف التوراة على النحو الذى يرسم منهجاً يحقق هذا الهدف من خلال تحريف النصوص .

لقد أدخل اليهود منهجهم الخاص إلى الدين والتوراة وذلك بالحذف والإضافة والتحريف ، ثم عملوا من بعد على جعله منهجاً عالميا حاولوا أن يدخلوا فيه المسيحية وأهلها كما حاولوا ذلك بالنسبة للمسلمين أيضا .

وقد جمع هذا النهج كل ما ورثوه من أوضاع الفكر البشرى المعارض للأديان من تراث فارس وبابل والصين والهند وأشور .

من وثنية وإلحاد وإباحية وتعدد واحتقار للأخلاق وإنكار للبعث والجزاء والحساب لكى يشيدوا منهج (عبادة المال) والسيطرة على الذهب واقرار الربا وجعل ذلك كله نظاما عاما للعالم كله ، وقد كان من الطبيعى لإقرار مثل هذا النهج أن تحارب اليهودية التوحيد وأن تحارب الأخلاق وأن تحارب مختلف القيم والضوابط التى جاءت بها الأديان لأنها تقف عقبة فى سبيل تحقيق هدفهم بالسيطرة المالية والاقتصادية على العالم كله (امبراطورية الربا). وهى سيطرة تتطلب ازاحة كل من يقف فى سبيلها بالإغراء أو القتل ، ولقد كانت حقيقة (البعث والحساب والجزاء) فى الأديان وفى اليهودية بالذات هى أخطر الحقائق التى تقف فى وجه هدفهم، لذلك فقد حاربوها حربا عنيفة دامية، وابتكروا من أجلها

فلسفات ومذاهب للإباحية والإغراء واسقاط التكليف ودفع الناس دفعا الى اهلاك أموالهم وأرضهم وبذلك سيطر اليهود على الفكر البشرى كله ، وكان لدورهم فى تحريف المسيحية من بعد وكل دعوة حق ، أثر فى استشراء دعوتهم وبذلك سيطر على العالم منهجين منفصلين :

* منهج القرآن الذى تبناه الإسلام .

* والمنهج البشرى الذى احتضنه اليهود وعملت فى سبيله المنظات الماسونية والصهيونية وغيرها .

* * *

وهناك رأى قوى بين الباحثين : أن اليهود انما غيروا التوراة من أجل اقرار مطامعهم ودعوتهم الى السيطرة العالمية عن طريق الربا والذهب وهو ماعرف فى العصر الحديث بالصهيونية العالمية .

ذلك أن منهج التوراة الربانى الذى جاء به موسى ما كان يرضى هذه الأطماع التى تملأ القلوب طموحا الى اذلال الأميين والشعوب من غيراليهود ، انتقاما من حملات التنكيل والاضطهاد التى سقتهم كئوس العلقم على مدى القرون ، فذلك هو تحديهم الخطير .

وفى هذا المعنى يقول الدكتور أحمد شلبى : وحقيقة القول أن اليهود بعد أن انحرفت اعتقاداتهم وطباعهم تخلصوا من أسفار موسى الحقيقية لأنها كانت تختلف عما أرادوا من طباع وخلق وكتبوا سواها بمايتناسب معمايريدون من تاريخ وعقيدة »[1] .

---

(١) اليهود — أحمد شلبى .

الفصل الثالث

عناصر التحريف

أعاد اليهود كتابة التوراة على النحو الذى رسموه فى منهجهم وأخلاقهم وخرجوا بها عن أصولها السماوية وغذت مضمونها بالوثنيات القديمة فجمعتها اليها وشكلت منها فكراً يستهدف تحقيق الغاية : وجعلوها مُنطلقاً لهذا الهدف معارضاً أساساً للتوراة الموحى بها : غاية السيطرة على العالم واعتصار ثرواته .

وهذه المفاهيم فى مجموعها تمثل وجهة نظر اليهود فى الإنسانية كلها :

ويمكن القول أن أبرز المفاهيم التى أعلاها العهد القديم هى :

(أولا) : العنصرية فى مواجهة الانسانية :

وهى تقوم على كراهية الشعوب ، وكراهية الأمم ، وتأخذ موقف العداء لكل من اختلف معهم فى التاريخ كله .

ومن خلال هذه « العنصرية » ينطلق مفهوم « شعب الله المختار » المستعلى على كل الشعوب ، الذى يرى الأمم كلها من الجوييم أى الأميين ويتصل بهذا المعنى إقامتهم العهد القديم على أساس عنصرى .

وترتبط عنصرية «اليهودية» كما شكلها علية الحاخامات بالدعوة إلى العنصرية ومقارنة الأديان التى انبعثت فى العصر الحديث والتى أرادوا بها إحياء الأديان الوثنية القديمة التى أخذوا منها وشكلوا منها فكرهم وهى أديان الهنودوالمجوس القائمة على التعدد وانكار البعث .

وقد تعدت حدود النزعة العنصرية مداها حين حول اليهود الوصايا العشرة (لاتقتل — لاتسرق — لاتزن) إلى وصايا تطبق بين اليهود أنفسهم أما الجويم من الأميين فليس عليهم فيهم سبيل .

وتبدو رائحة الوثنية خالصة فى العقيـــدة الجديدة (الهيكل ، التابوت ، والطقوس)

(ثانياً) إنكار البعث كقاعدة أساسية للفكر اليهودى معارضة للاديان ورسالات السماء وقد جاءت دعوة موسى عليه السلام بالتأكيد والتركيز على : عقيدة اليوم الآخر والبعث والجنة والنار والخلود منهما .

وقد جاء ذلك فى أول نقطة فى دعوة موسى :

« أننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى . إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى » .

ومن خلال الفكر اليهودى لا يوجد حديث عن خلود الروح بعد الموت أو القول بالحساب بعد البعث . وعندهم أن المكافأة هى فى هذه الحياة الدنيا والعقاب فى هذه الدنيا .

وفى هذا يقول سفر الجامعة : « ليس للإنسان مزية على البهيم لأن كليهما باطل يذهب كلاهما إلى مكان واحد كان كلاهما من التراب وإلى التراب يعود كلاهما » .

وقضية الآخرة والبعث هى أكبر قضايا الفكر اليهودى : فقد حاولت اليهودية أن تكون منهج حياة من غير عقيدة عبادة ، بينما استقرت المسيحية على أنها عقيدة من غير منهج حياة . ومن هنا فإن مجال اليهودية هو هذا العالم

وحده ، العالم الحاضر ، بينما تجعل المسيحية من العالم الآخر وما وراء هـذا العالم مجالالها .

يقول الدكتور هيربرت لوى اليهودى : اليهودية ليست بحاجة إلى عقيدة إيمان بغض النظر عن العالم الآتى ؛ ومجال اليهودية ليس فيما وراء هذا العالم أى عالم الروح . أى الحياة الدنيا دون نظر إلى ما وراء ذلك وهذا هو الفارق بينها وبين المسيحية .

ومن هنا يقرر الفكر اليهودى أن الجنة على الأرض ، وأن كل ثواب وعقاب فى الدنيا وأن الجنة الأرضية خاصة بهم دون شعوب الأرض .

وفى دائرة المعارف العبرية : يقرر كوهلر :

إن اليهودية ليست عقيدة أو نظاماً من العقائد يتوقف مع قبولها الفداء أو الخلاص فى المستقبل ولكنها نظام للسلوك البشرى » . ومن هنا لاتتكلم اليهودية عن الآخرة والبعث والحساب ولا تشير اليهودية إلى حياة أخرى بعد الموت ولم يرد فى دينهم شيء عن الخلود وهم يرون (الجزاء حسب الأعمال لاحسب الاعتقاد) .

وبذلك تبدو عظمة الإسلام الجامع بين العقيدة ومنهج الحياة ، من ناحية وبين الحياة الدنيا والحياة الأخرى .

(ثالثاً) « الإله » :

أما الإله الذى اختاره اليهود فهو « يهوه » إله يعلو البشر كله لحساب اسرائيل ، وهو إله الحرب ، ورب الجنود ، وبنو إسرائيل شعبه المختار ، الذى من أجله سيفنى جميع الأمم وإن سائر مدن الأرض تصبح يبابا وخرابا وتنضب مياهها . ولقد كانت سمة القتل واستباحة أعراض الناس من أبرز مفاهيم الفكر اليهودي المعارض للدين الحق الذي أنزل على موسى .

وتحفل أسفار العهد القديم (يوشع — صموئيل — الملوك) بمئات الألوف من الرجال والنساء والأطفال الذين ذبحوا والمدن التى خربت والحيوانات التى لم تسلم من غضب اليهود[١] .

وفارق كبير بين إله إسرائيل والله الحكيم العليم ، الرحمن الرحيم الذى يغفر الذنوب جميعاً والقريب الذى يجيب دعوة الداعى إذا دعاه .

ويصور ول ديورانت مفهوم اليهود فى الإله فيقول : يبدو أن اليهود الفاتحين (لفلسطين) عمدوا إلى أحد إلهه كنعان فصاغوه فى الصورة التى كانوا هم عليها وجعلوا منه إلهاً صارماً ذا نزعة حربية صعب المراس وهذا الإله لايطلب من الناس أن يعتقدوا أنه عالم بكل شىء كذلك لايعتبر نفسه معصوماً من الخطأ . ويرى أن أشنع ما وقع فيه من الأخطاء هو خلق الإنسان ولذلك تراه يندم بعد فوات الوقت على خلق آدم وعلى ارتضائه أن يكون شاول ملكا وتراه من حين لآخر شرها غضوباً متعطشاً للدماء متقلب الأطوار نزقا نكدا » .

ويشير بعض الباحثين : إلى أن أبرز ما أصابته اليهودية من تزييف هو عقيدة التشبيه وهى مشابهة الإله للإنسان .

(رابعاً) فكرة السيطرة على العالم :

يمكن القول أن هذه الفكرة مما حرفه اليهود فى العهد القديم عن نبوءة النسل إبراهيم الذى يجمع بين أبناء إسماعيل وإسحق عن الانتشار والاتساع فى هذه المنطقة التى ساح فيها ابراهيم من العراق إلى الشام إلى مصر إلى الجزيرة العربية غير أنهم زيفوا هذا المعنى وقصروه على اليهود وحدهم بينما أن ابراهيم فى التاريخ الصحيح هو أبى اليهود والعرب والنصارى والمسلمين جميعاً .

---

(١) أحمد حسين : الاسلام ورسوله بلغة العصر .

ومن جرائر هذا التحريف ما حاولوه فى دوائر المعارف الحديثة وخاصة دائرة المعارف الإسلامية من إنكار رحلة ابراهيم إلى الجزيرة العربية ومن حديث عن اسماعيل وإعادة بناء الكعبة .

ومن خلال هذا المفهوم تشكلت الفكرة الصهيونية القائلة بالسيطرة على العالم وإخضاعه لليهـــود ، ودعوة البروتوكولات إلى تدمير قيم المجتمعات توطئة لاحتوائها .

ومن خلال هذا المفهوم تتكشف شهوة المال والجشع وتعاطى الربا وتتكشف طبيعة الأثرة والقسوة التى عرف بها اليهود على مدى التاريخ ، وقد كانت بضاعتهم هى جمع رؤوس الأموال ، واقراض الناس وافساد عقائدهم .

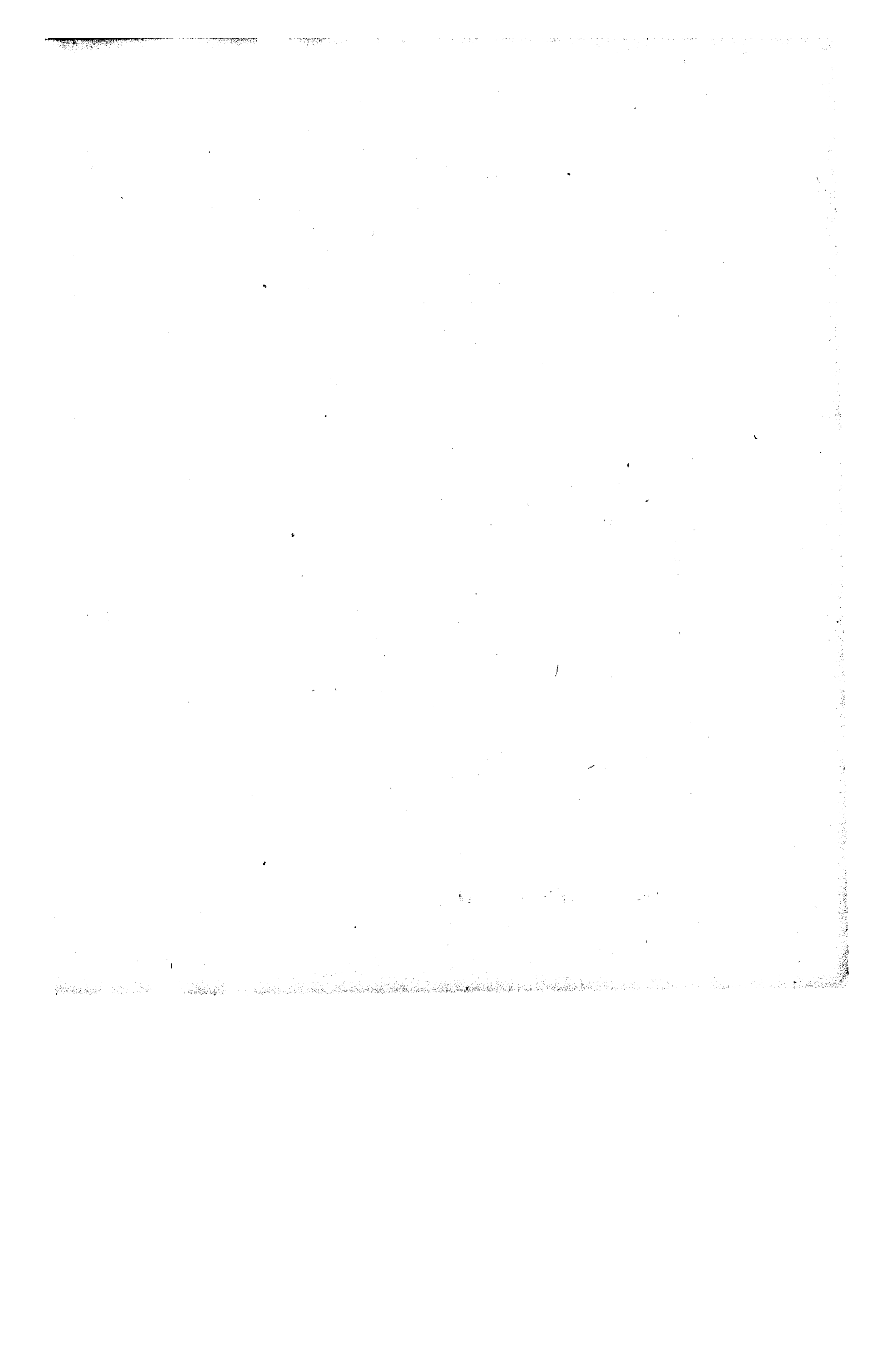
وقد وصف حكيم جورجى اليهود بأنهم سيف ذهبى مشهور على رأس أوربا مهد المسيحية .

ولقد صور القرآن فى وضوح عدوان اليهود واجترائهم على الله وافترائهم وتشويههم للعقيدة وجرائمهم ضد البشرية وسجل عليهم الزيغ والانحراف . وما يزالون سلطاناً مسلطاً على العالم وسيف نقمة على الأديان والانسانية جميعاً .

الباب الثالث

الفلسفة اليونانية

(١) أصول الفلسفة اليونانية
(٢) محاذير الترجمة وأخطارها
(٣) حقيقة دور اليونان
(٤) المدرسة الفلسفية الاسلامية
(٥) مواجهة الفلسفة اليونانية
(٦) وجوه التعارض بين الفلسفة اليونانية والفكر الاسلامى
(٧) منطلق الفكر الاسلامى
(٨) للمسلمين ميتافيزيقاهم
(٩) منهج البحث التجريبى الاسلامى
(١٠) ما قدمه الاسلام: الحكمة وليس الفلسفة
(١١) كلمة الفصل فى الفلسفة اليونانية



ان نظرة واحدة الى أصول الفلسفة اليونانية تحكم حكما جازماً بأن هناك تعارضا عميقا في الجذور الأساسية لكلا الفكرين : الاسلامي والهليني

الفصل الأول

أصول الفلسفة اليونانية

ماذا كان مفهوم اليونان للكون والطبيعة الذى شكل فلسفتهم :

لاريب أن استعراض مفهوم اليونان الذى شكل فلسفتهم يكشف فى وضوح عن الفوارق البعيدة بينه وبين مفاهيم الإسلام مما يصل إلى درجة التباين والتغاير .

(أولا) كانوا يعتقدون بوجود الهة متعددة تسكن فوق السحاب وعلى قمم جبل الأولمب فى اليونان وكان كل إله يختص بنوع من الظواهر الكونية فالشمس وشروقها ومسيرها نحو المغيب من فعل الاله أبولو .

وهطول المطر من فعل الاله جوبيتر .

وهناك آلهة للحب والجمال والحكمة والحرب ، وهذه الآلهة لاتتورع عن الشر والحسد والغيرة والصراع على ملذات الحياة وكان جوبيتر اله الآلهة يستخدم سلطته فى سبيل أهوائه وكان ينتحل صور الآلهة الأخرى لكى يخدع فريسته ويجرها للوقوع فى الفخ وقد أقاموا لهذه الآلهة هياكل وتماثيل.

والاله عند أرسطو هو المحرك الذى لايتحرك وهو عقل محض .

(ثانياً) كان الفكر اليونانى فكراً نظرياً شكلياً قائم على التأمل الذهنى الخالص وقد وقف عند حدود المنطق القياسى الشكلى .

(ثالثاً) يرتكز المثل الأعلى اليونانى على أن الانسان هو مقياس كل شىء

فى هذا العالم ، ومن هنا كانت عبادة الفرد وعبادة الأجساد ومن هنا توجهت عنايتهم إلى الإعجاب بالجسم الانسانى ، والاحتفال بالأجساد العارية . وأعطوا الآلهة هذا الجسم وقامت مفاهيمهم على تمجيد وتأليه الجمال الجسدى .

(رابعاً) إيمان الفلسفة اليونانية بالعقل وحده ، حتى لقد ذهبت الفلسفة الاغريقية فى تقديس العقل إلى حد تكذيب مالا يتفق معه ولو أيده الحس ، فالمنطق أصدق من الواقع [١] .

(خامساً) دعا أفلاطون الى مشاعية النساء فقال فى جمهوريته :

« يجب أن يكون النساء بلا استثناء أزواجاً مشاعاً لأولئك الحكام فلا يخص أحد نفسه بإحداهن وكذلك الأولاد يكونون مشاعاً فلا يعرف والد ولده ولا ولد والده » .

(سادساً) إقرار المجتمع العبودى الذى يقوم على طبقة السادة وطبقة العبيد مع التفرقة الواضحة بينهما ومع استحالة إرتقاء أحد من العبيد إلى طبقة السادة وقد حبذ أرسطو فى كتابه نظام الأثينيين الرق ودافع عنه ودعا إليه وأكد أنه لاسبيل إلى ملاشاته .

(سابعاً) إقرار الحرية الجنسية وخاصة مايتصل بالشذوذ الجنسى واحتقار جسد المرأة وإعلاء جسد الرجل . وقد كانت دعوة سقراط التى قتل من أجلها هى تحرير هــذا المفهوم الذى ترك ظله العميق على الحضارتين اليونانية والرومانية ، فقد استولى الشذوذ الجنسى على الحضارة الأغريقية كلها مئات السنين ولم يكن يستنكره أحد ، وكان سقراط يرى أن المرأة هى حس فقط وجنسى فقط وقد استبعدها من دنيا الحياة العقلية .

---

(١) راجع عبد الرحمن مرحبا .

ولا شك أن هذه المفاهيم جميعاً تتعارض مع مفاهيم الإسلام الذى تشكل عليها منذ اليوم الأول لظهور دعوته واستكمل شريعته قبل التحاق الرسول بالرفيق الأعلى كما استكمل منهجه قبل الاتصال بالفلسفة اليونانية .

ومن هنا كان ذلك الجهاد العجيب الذى واجه الفكر الإسلامى به مقررات الفلسفة اليونانية ، حتى أولئك الذين حاولوا صياغة الفكر اليونانى داخل إطار الإسلام فقد كانت محاولتهم واضحة الاضطراب والقسر والتأويل وانها لم تجد سبيلا صحيحاً للالتقاء بين فكرين هما ضدين على الأرجح فى المقررات الأساسية التى تتصل بالتوحيد والإله ، وبالمثل الأعلى ، وبالمجتمع ، والنظرة إلى المرأة وقضايا الحس والنظرة إلى العقل .

ولاشك أن[1] الفلسفة اليونانية تعبر تعبيراً دقيقاً عن المجتمع اليونانى العبودى وإنقسامه إلى سادة يتأملون وعبيد يعملون ، السادة هم الصورة والعبيد هم المادة وعلى رأس هؤلاء جميعاً إله يحرك ولكنه لا يتحرك .

فالفكر الإسلامى لم يقر النظرة اليونانية : نظرة التأمل والمنطق القياسى الشكلى ، ولكنه بحكم دعوة القرآن إلى النظر فى الكون جاوز المسلمون هذه المرحلة إلى التجريب العلمى ، من خلال التطبيق والتشريح ، ومن هنا اتجه العلماء المسلمون إلى اكتشاف الأحماض والممارسة العملية .

وكان ذلك خروجا وتجاوزا عن الفلسفة اليونانية ومفهوم أرسطو ومن هنا اهتدى المسلمون إلى المنهج التجريبى الإسلامى .

وبالإضافة إلى هذا فقد شكل الإسلام مجتمعاً موحداً معارضاً تمام المعارضة فى مفاهيمه وتشكيله لنظرية المجتمع العبودى اليونانى وإذا كانت الفلسفة هى

---

(١) دكتور سامى النشار .

نتاج المجتمع فانه من الاستحالة أن يتقبل هذا المجتمع القائم على الاخاء والمساواة مفهوم الفلسفة اليونانية ومنطقها العبودى .

ومن هنا رسمت مقررات الفكر الإسلامى فلسفة أخرى تختلف فى مقاييسها ومنطقها عن الفلسفة اليونانية العبودية .

وفى مجال العقائد ، كان الاختلاف أشد عمقاً ووضوحا ، فالاسلام أقام مفهوم التوحيد الخالص الذى لا يعترف بتعدد الآلهة ، ولا بالثنائية أو التثليث أو إعلاء شأن الأبطال ورفعهم إلى مصاف الآلهة أو أنصاف الآلهة . وله فى مفهوم البطولة مفهوم واضح[1] .

أما الإنسان فى الفكر الاسلامى فهو أعظم المخلوقات حقاً ولكنه قائم تحت حكم الله فهو ليس السيد المطلق ولكنه سيد الكائنات فحسب ، ولذلك فهو عابد وليس معبود ، وأعماله هى مصدر تقديره والحكم عليه وليس لونه أو شكله أو جسمه ، وقد ارتفع الإسلام عن عبادة غير الله وعلا عن عبادة البطولة أو الأجساد وحرر الانسان من الوثنية والإباحة جميعاً فرفض مشاعية النساء وحطم الشذوذ الجنسى وأعطى العقل مكانه الصحيح جناحا من أجنحة المعرفة وليس كل شيء . وأكمل وجوده بالوحى والبصيرة .

وبعد فاذا كانت هذه أصول الفلسفة اليونانية تكشف عن التباين الواضح بينها وبين مفاهيم الإسلام فان أمرا آخر هو أشد خطراً ذلك هو زيف الترجمة نفسها وما اتصل بها من محاذير .

---

(١) راجع كتابنا (الشبهات والأخطاء الشائعة) .

الفصل الثانى

محاذير الترجمة وأخطارها

أولا : حركة الترجمة

كان هدف حركة الترجمة إسلامى أصيل ولكنه انحرف فى المرحلة الثانية فقد كان الغرض أساسا هو استقصاء التراث العلمى للأمم القديمة ولذلك فقد عمدوا إلى الفلسفات الطبيعية والرياضية وأعرضوا عن نقل :

(١) الآثار الدينية .

(٢) الملاحم والأساطير والتاريخ والفنون .

ولذلك فقد رفض العلماء المسلمون ثنائية أرسطو وأعرضوا عن مفهوم قدم العالم وجرى عليهم أساسا فى إطار التوحيد الذى هو المنطلق الأساسى للفكر الاسلامى، وكانت فكرة التأهب والحرص واضحة منذ اللحظة الأولى فى القدرة على مواجهة كل ما يتعارض مع أصول الفكر الاسلامى .

وكشفت اللغة العربية عن إقتدار بعيد المدى فى إستيعاب هذه العلوم وتمحضت عن مصطلحات أصيلة .

وكانت نظرتهم العلمية الواضحة هى الاعراض عن كل ما يتصل بالعقائد والأدب والفن ، والاقتصار على ترجمة العلوم وحدها ، فالآداب اليونانية كانت تقوم على الأساطير والخرافات ، وهى مبنية على الالحاد والاباحية مما كان يستهجنه الذوق العربى ولا يقبله ولذلك أعرض علماء المسلمون عن ترجمة هذه الفنون .

أما فى الموجة الأخيرة فقد ترجمت هذه الألوان المتصلة بالعقائد والآداب والفنون من الفلسفة اليونانية والفلسفة الغربية الحديثة على السواء ، دون تقدير لأثرها ، ومع احتجاب العلوم التى كانت أولى بالترجمة .

ومن هنا فالمعروف أن الالهيات والأخلاق لم يترجما إلا فى أيام المأمون وأن حركة الترجمة منذ خلافة أبى جعفر المنصور حتى وفاة هارون الرشيد (١٣٦ – ١٩٣) كانت مقصورة فى الأغلب على الكتب الطبيعية والمنطق والهندسة .

أما فى أيام المأمون فقد بدأت مرحلة الخطر التى تجاوزت المنهج الذى كان مرسوما لحركة الترجمة ومن هنا ترجمت إلهيات اليونان وعقائد الفرس وأفكار الصوفية الهندية وبدأت تظهر هذه المحاولة الخطيرة التى تبناها المأمون فى آخر أيامه وهى فتنة خلق القرآن .

(ثانيا) أخطاء الترجمة

ولقد تأيد نتيجة المراجعات الكثيرة أن الفلسفة اليونانية التى نقلت إلى العربية قد قام بترجمتها النساطرة الذين إستعانوا بها فى تأييد المسيحية وانها ليست هى الفلسفة اليونانية الأصيلة وانما هى فلسفة لعبت بها النصرانية وعبثت حتى شوهتها وبعدت بها عن أصلها اليونانى وقد أثبت ذلك اسماعيل مظهر فى كتابه (تاريخ الفكر العربى) حيث قال أن النساطرة من النصارى لما اضطهدهم قياصرة الروم انتشروا فى قلب آسيا وبلاد العرب ينشرون المسيحية بين أهلها وبخاصة مذهبهم فى طبيعة المسيح الذى اضطهدوا من أجله وقد وجدوا فى فلسفة أرسطو أكبر نصير لهم وقد كشف الجاحظ عن هذا المنحنى الخطير ، وأشار إلى ما أحدثه النساطرة من تحويل الفلسفة اليونانية إلى ملتهم ، كما شهد بذلك الامام أبو الحسن على المسعودى صاحب مروج الذهب حين قال ولم تزل العلوم قائمة السوق قوية المعالم حتى أن تظاهرت ديانة النصرانية فى الروم فعفوا معالم

الحكمة وأزالوا رسمها وطمسوا ماكانت اليونان أبانته وغيروا ماكانت القدماء أوضحته .

كما ذكر محمد بن اسحق (ابن النديم) فى كتابه (الفهرست) أن الفلسفة كانت ظاهرة فى اليونان والروم قبل شريعة المسيح فلما انتصرت الروم منعوا منها وأحرقوا بعضها وخربوا البعض ومنعوا النـــاس من الكلام فى شىء من الفلسفة .

ومعنى هذا أن العرب والمسلمين لم يخدعوا نيرويز تراجمة النصارى للفلسفة اليونانية إلا ماكان من أوليائها كالفارابى وابن سينا ، هؤلاء الذين بذلوا جهدهم فى نشرها بين المسلمين فلم ينخدع بهم أحد من جمهور المسلمين وكانوا بين فئتين : فئة رفضتها جملة (الالهيات والطبيعيات والرياضيات) وفئة قبلت الصحيح من علومها الطبيعية والرياضية ورفضت الالهيات التى شوهتها النساطرة .

وقد أشار (باول كراوس) إلى أن حنين ابن اسحق ترجم لأفلاطون الى اللغة السريانية وقام تلمذة عيسى بن يحيى بالترجمة إلى العربية من غير أن يستطيع أن يرجع إلى الأصل اليونانى إذكان لايعرف اليونانى وفى بعض المواضع لم يفهم النص السريانى الصحيح الذى كان أمامه .

* * *

٢ — أشار الكثير من الباحثين إلى فساد النقل وأشاروا إلى أن « الانتحال » كان بضاعة رائجة عند القدماء فى القرون الوسطى على السواء وأثبتوا أن هناك كتب نقلت إلى العربية باسم أفلاطون وهى ليست له وأخرى باسم أرسطو وهى ليست له ، ومن الكتب المنسوبة لأفلاطون كتاب الروابيع .

ومن المنسوب لأرسطو ، كتب : التفاحة ، الربوبية ، الايضاح ، سر

الأسرار . أما كتاب (الربوبية) المعروف باسم أثولوجيا أرسطاليس فليس إلا مقتطفات من تاسوعات أفلوطين جمعها مؤلف سرياني قديم ، أما كتاب (الإيضاح) فهو نصوص مقتبسة من كتاب الالهيات لأفروقلوس [١] .

وكتاب الربوبية جمعه مؤلف سرياني مجهول وترجمة إلى العربية عبد الملك بن ناعم الحمصى المتوفى ٢٢٠هـ وأصلح الترجمة فيلسوف العرب الكندى .

« ونجد فى هذا الكتاب مذهب الأفلاطونية الحديثة ممزوجا بتعـــاليم الاسكندر الأفروديسى وقد تلقاه المسلمون على أنه لأرسطو ، ومن ثم فقـد حدث لديهم خلط كبير بين مذاهب أرسطو وأفلاطون وأفلوطـين بالإضافة إلى مذاهب الشراح ونشأت مشائية اسلامية مزعومة يظن أصحابها أنهم تابعون لأرسطو وحقيقة الأمر أنهم أتباع الأفلاطونية المحدثة »[٣].

ومن العجب أن هذه الكتب المنسوبة لأفلاطون وأرسطو ، وهى ليست لهما ، كان لها تأثير كبير فى الفكر الاسلامى .

٣ — وقد وجهت إلى بعض النقلة اتهامات خطيرة أبرزها التبشير بأديانهم أو الكسب بترجماتهم جريا وراء المال لاحباً للعـلم .

وهناك إجماع على أن « أكثر هؤلاء النقلة لم تكن غاياتهم البحث عن الحقيقة ، فهم إذ كانوا جلهم من النصارى والنساطرة واليعاقبة فقـد كان شغلهم الشاغل وأكبر همهم الدعوة إلى شيعتهم وتزيين أهوائهم الدينية ولذلك يغيرون ويبدلون فى النصوص التى بين أيديهم خدمة لأغراضهم الدينية وعقائدهم المذهبية

(١) من الفلسفة اليونانية الى ـ دكتور محمد عبد الرحمن مرحبا

(٢) راجع بول كراوس ـ أفلوطين عند العرب

(٣) محمد على أبو زيان

ويتصرفون فيها بالزيادة والحذف تبعا لأهوائهم ونصرة لمذاهبهم وقد أكد هذا أكثر من باحث من أولياء الفلسفة اليونانية أنفسهم .

ويشير الدكتور عبد الرحمن مرحبا وهو على مابه من إجلال الفلسفة اليونان إلى هذا المعنى فيقول بالنص :

« إن الترجمة من لغة يونان إلى العبرانية ومن العبرانية إلى السريانية ومن السريانية إلى العربية قد أخلت بخواص المعانى فى أبدان الحقائق اخلالا لايخفى على أحد ، كانت الترجمات تكسبا بالمال لاحبا للعلم بالاضافة إلى استغلال الترجمة فى الدعوة إلى نحلتهم ونصرة مذاهبهم » .

هذا فضلا عما عرف من محاذير الترجمة التى كانت تجرى على ثلاث مراحل من اليونانية الى العبرانية ، ثم من العبرانية إلى السريانية ثم من السريانية إلى العربية وأن هذه الترجمة فى ذاتها لم تكن من الدقة بحيث تؤدى غايتها بل لقد وصفت فى أغلب المصادر بأنها أخلت بخواص المعانى فى ابداء الحقائق [١].

والمعروف أن القسم الأول من النقلة كانوا من السريان وأن الأقل القليل من اليهود وقد نقلوا مانقلوه، إما عن التراجم السريانية القديمة أو تلك التى أصلحها السريان وإما عن اللغة اليونانية رأسا [٢].

* * *

وهناك رأى آخر يؤكد أن المترجمين السريان لم يكونوا يعرفون اللغة اليونانية القديمة ، بل يعرفون لغة تجمع بين الفصحى والعامية ومن كان يعرفها لايصل فى ثقافته إلى التمكن من فهم الفلسفة بلغة أرسطو أو أفلاطون بخاصة وهو أصلا عاجز عن إدراك الفلسفة نفسها .

(١ و ٢) نفس المصدر ـ مرحبا ـ من الفلسفة اليونانية

ويؤكد هذا المعنى ماذهب اليه الدكتور عمر فروخ الذى أشار الى أن اللغة اليونانية كانت لغة ثانوية فى ثقافة هؤلاء النقلة . وأن الكتب اليونانية فى الفلسفة خاصة لم تصل إلى العرب على النحو الذى كانت عليه أيام مؤلفيها ،وانما وصل اليهم شروح على تلك الكتب ، شروح زادفيها أصحابها ونقصوا وبدلوا أيضاً . فقد أضاف الناقلون أشياءهم جهلا ونقصاً » .

كما أشار الدكتور عمر فروح إلى أن عملية النقل من اليونانية الى العبرية ، الى السريانية الى العربية ، زادت التشويه فى تلك النقول اتساعا وخطراً [١].

ويرد الدكتور فروخ اضطراب الترجمة إلى « أن معظم الناقلين كانوا نصارى (يعاقبة ونساطرة) وكان حميتهم العلمية فوق أمانتهم العلمية ، من أجل هذا كان هؤلاء يحرفون من الأصول التى بين أيديهم ما كان مخالفاً فى رأيهم للنصرانية ، ثم كان أهل كل فرقة من النساطرة أو اليعاقبة يتصرفون فيما بين أيديهم ،يزيدون وينقصون فى النصوص أو يبدلون فيها ميلا مع أهوائهم ونصرة الى مذهبهم ، كذلك كانت معرفة هؤلاء باللغة اليونانية قاصرة فوقعوا فى أخطاء لغوية بدلت المعانى قليلا أو كثيراً فوق ما كان قد تبدل منها عن عمد من قبل فترك ذلك غموضاً فى عدد من المواضع ».

* * *

ولاريب أن تعداد الوثائق حول هذا المعنى من شأنه أن يدحض كل شبهة فى وجه القول بأن الفلسفة اليونانية التى وصلت للمسلمين كانت فلسفة زائفة وأن المترجمين لها كانوا غير أمناء علمياً ولم يكونوا على أى قدر من خلق العلماء فهما أو ضميراً .

---

(١) عمر فروخ — العرب والفلسفة اليونانية

ويضيف خليل الجر فى كتابه (منقولات أرسطو فى العقول السريانية العربية)* بالفرنسية أسبابا أخرى منها قصور اللغة السريانية عن أداء المعانى اليونانية لأن خصائص اللغة اليونانية تختلف ، ثم يقول أن الذين تولوا نقل كتب الفلسفة إلى العربية كانوا فى ذلك كله أشد قصوراً وأنهم كانوا لا يملكون نصوصا خالصة لكتب أرسطو بل — على حد قوله خليل الجر — نصاً بربرياً مشوهاً »..

ومن ثم فقد وجد المسلمون أمامهم نصوصاً مشوهة من كل جانب وآراء متحولة فى كل باب قوامها التناقض والتلفيق ، ويزيد هذا خطراً أنهم وثقوا فى ترجمات السريان ومترجميهم ، ومن هنا فقد وقعوا فى محاذير غاية فى الخطر حملتهم على التأويل لنصوص زائفة حتى فى نسبتها الى أصحابها .

ويشير الدكتور عمر فروخ الى « فلسفة الفارابى » ويصفها بأنها الفلسفة المستغلقة كثيرة التناقض ، ويرد ذلك إلى جهل النقلة السريان باللغة اليونانية أحيانا وقلة أمانتهم فى النقل.

ويقول : أن هؤلاء الناقلين اتخذوا من ثقة العرب فى ائتمانهم على التراث الفلسفى وسيلة للدعوة الى نصرة مذاهبهم وتزيين أهوائهم الدينية.

ويؤكد الدكتور فروخ : أن أخطاء النقلة السريان (المقصودة والعفوية) كانت فى الفلسفة الماورائية خاصة أكثر منها فى العلوم الرياضية والطبيعية .

٤ — ظهرت فى مرحلة الترجمة موجة ضخمة من المعارضة فى نقل كتب الفلسفة ، وكان قوام رأيها أن هذه الفلسفة قد ظهر بطلانها بالاسلام ، وأن بطلانها يرجع الى أنها وثنية المصدر ، وأنها نظرية بحتة ، بينما كان مفهوم الاسلام قائم على التوحيد ، وعلى النظرة العملية .

وقد أكد هؤلاء العلماء الشبهات التى لحقت برواد الترجمة بعد النساطرة :

أمثال سرجيس والرهادى وحنين بن اسحق واسحق بن حنين ، ومتى بن يونس ويحيى بن عدي من أنهم أولوا المترجمات تحريفا لصالح المسيحية .

٥ — يمكن القول بأن أكبر محاذير الترجمة وأخطارها قـــد تمثلت فى أمور ثلاثة :

أولا : الكتب المنحولة

ثانياً : فساد الترجمة فنياً

ثالثا : تحريف النصوص خدمة لهدف آخر .

وقد أحدث هذا آثاراً بعيدة المدى ، يمكن أن نتصورها من خلال تجربة الفيلسوف الفارابى ، الذى وقع فى مضطرب خطير نتيجةواحدمن هذهالمؤلفات المنحولة ، وهو كتاب أثولوجيا أرسطاطاليس المعروف بكتاب الربوبية وهو ليس له ولكنه منقول من أفلوطين .

ففى كتابه (الجمـــع بين رأى الحكمين أفلاطون وارسطو) أورد آراء لأرسطو تعارض آراء أخرى له نتيجة هذا المصدر ، وكان عليـه أن يحاول التوفيق بين الآراء المعارضة رغما منه لأنه لايعقل أن فيلسوفاً كبيراً كأرسطو يناقض نفسه .

يقول الأستاذ محمد على أبو ريان : والحقيقة أن الفارابى كان يعارض بين نصوص تلقاها من كتاب الحروف (الميتافيزيقا) لأرسطو ونصوص أخرى تلقاها من كتاب (أثولوجيا أرسطاطاليس) والأولى نصوص حقيقية لأرسطو أما الثانية فهى ليست له ولم يكن الفارابى على علم بذلك فأخذ يحتال فى تعسف للتوفيق بين الآراء المتناقضة .

ثم أنه كذلك يقرأ لأرسطو نقدا شديدا موجها لنظرية أفلاطون فى المثل ثم يجد موافقه منه لهذه النظرية فى كتاب أثولوجيا المزعوم ، فيحتال للتوفيق بين الرأيين على مابينهما من خلاف شديد » .

الفصل الثالث

حقيقة دور اليونان

إن محاولة اليونان الادعاء بأنهم أبدعوا فلسفتهم دون أن يتأثروا فيها بأحد قول تنقصه كل الأدلة فقد جاءت حركتهم بعد نزول الأديان والكتب السماوية وكلها تحمل من أسباب المعرفة ما يهدى الإنسانية إلى الحق ، هذه الأديان التى وضعت فى الأرض الحقائق الكبرى للتوحيد والحق والعدل ، غير أن البشرية لم تلبث أن صارعتها دعوات الإلحاد والإباحة والشك فانقسمت إلى فريقين . وعلت دعوات الإلحاد والإباحة فى مناطق كثيرة من العالم ونمت مفاهيمها واستخدمت أساليب عديدة فى الدعوة إليها ومنها إعلاء العقل وإطلاق الحرية .

والقول بأن الفلسفة اليونانية فريدة فى بابها قول مردود ، فقد كانت الفلسفات المصرية والبابلية والآشورية قد سبقت إلى مثل ما دعت إليه الفلسفة اليونانية ، والتى ورثت فكر بابل والفراعنة الذين سبقوها بأكثر من ألف وخمسمائة عام غير أنهم استطاعوا فى ذكاء ومهارة أن يصيغوا هذه المفاهيم فى أساليب جديدة براقة وقد أنكر كثير من الباحثين دعوى أن اليونان سبقت العالم فى هذا المجال فقال جورج سارطون فى كتابه تاريخ العلم :

« من سذاجة الأطفال أن نفترض أن العلم قد بدأ فى بلاد الاغريق ، فقد سبقت اليونان آلاف الجهود العلمية فى مصر وبلاد ما بين النهرين وغيرهما من الأقاليم ، والعلم اليونانى كان إحياء أكثر من إختراعا .

وقد سبق اليونان المصريون والكلدانيون والفرس .

ويقول ول ديورانت فى كتابه قصة الحضارة (ج ٢) :

إن ما ورثه اليونان من الحضارات أكثر مما أبدعوه وكانوا الوارث المدلل المغترف لذخيرة من الفن والعلم مضى عليها ثلاثة آلاف من السنين، وجاءت إلى مدائنهم مع مغانم التجارة والحرب ».

وقد صاغ عبد الرحمن مرحبا هذا المعنى فى عبارة هى فصل المقال حين قال: أقبل اليونان على أصول حضارة سبقتهم ينهلون ما وسعهم أن ينهلوا، إذ لم ينشئوها إنشاء، وإنما هى وليدة أقطار سابقة مرت بمراحل متعددة من التلاقح والتفاعل والتطور حتى تمخضت عنها تلك الخلاصة!

الفصل الرابع

المدرسة الفلسفية الإسلامية

كان هدف المدرسة الفلسفية الإسلامية وضع نظرية تامة للميتافيزيقيا من خلال الربط بين العقل والدين والفلسفة والوحى . وقد حرصوا فعلا على جذر التوحيد كأساس لنظريتهم وهى محاولة خرج بها هؤلاء عن مفهوم الإسلام نفسه ولكنها عجزت عن أن تحقق شيئاً وعلت عليها موجة الفكر الإسلامى الأصيل .

ولقد عاودت هذه المحاولة نفسها فى العصر الحديث ، عندما حاول بعض المفكرين دراسة الإسلام من خلال الفلسفة ، وقد واجهوا نفس المصير .

ذلك أن هناك منهج قرآنى قوامه الفطرة ومنطلقه أسلوب المعرفة الاسلامى الذى يمزج بين العقل والقلب ، وهو المنطلق الوحيد لتكوين مفهوم إسلامى صحيح لمختلف الجوانب من عقيدة وشريعة وأخلاق .

وإن أى أسلوب غيره قد يخطو خطوة أو خطوتين ثم لا يلبث أن يتعثر لأنه مخالف لطبيعة تركيب الإسلام ومنطلقه القرآنى الخالص .

لقد رفض الفلاسفة المسلمون القدامى ثنائية أرسطو ، ومفهومه فى قدم العالم ، وحاولوا بعد ذلك صهر مفهوم الفلسفة اليونانية داخل إطار توحيد الله وتنزيهه عن ملابسة المادة ، ولم يقفوا عند أرسطو وحده بل حاولوا الربط والتوفيق بينه وبين أفلاطون وأفلوطين والرواقيين .

وحينما رسم الفارابى مدينته الفاضلة كان طابع الإسلام واضحاً عليها ومخالفاً كل المخالفة لجمهورية أفلاطون فى أبرز مفاهيمها مع التحفظ على تبعيته وباطنيته هو وابن سينا .

ولكن الثمرة التى وصل إليها الفارابى وابن سينا والكندى ، كانت ثمرة معطوبة لم تزد عن أن تكون شرحاً مشوهاً للمذاهب الفلسفية اليونانية مع محاولة التأليف بينها وإدخالها فى إطار التوحيد الذى يضادها مضادة كاملة للخلاف الجذرى فى توحيد الله ، وفى الإقرار بالألوهية والنبوة . والبعث .

* * *

ومهما يكن من إعجاب الفلاسفة الإسلاميين بالفكر الاغريقى فانهم لم يقبلوا كل ما قدمته الفلسفة اليونانية بل بدلوا فيه ، وعارضوه وعارض ابن سينا رأى أفلاطون فى النفس وكشف جابر بن حيان والجاحظ كثيراً من أخطاء أرسطو .

* * *

بدأت الفلسفة من نظرة المعتزلة ، بالكندى الذى قال بالعدل والتوحيد ، والكندى يمثل الانتقال من علم الكلام إلى الفلسفة ، ثم جاء الفارابى فحاول الجمع بين أرسطو وأفلاطون من ناحية وبين منطلقات الفلسفة اليونانية وتوحيد الإسلام من ناحية ثم جاء ابن سينا فأعلى من شأن الجوانب الأفلاطونية القائمة على الاشراق غيره .

ولقد خالف الفلاسفة المسلمون الفلسفة اليونانية فى أمور كثيرة ، وفرق الفارابى بين النبى والفيلسوف وحين رسم مدينته الفاضلة جعل المنطلق الاسلامى أساسها وعول كثيراً على الخليفة وخالف جمهورية أفلاطون فى أغلب مفاهيمها .

وحرص الفلاسفة المسلمون على توحيد الله وتنزيهه عن المادة وإعلائه سبحانه عن الثنائية التى وقع فيها أرسطو فى المقابلة بين الله والمادة الأزلية .

وجرى الفلاسفة شوطاً مع بعض وقائع الفلسفة اليونانية لكنهم حرصوا على

التوحيد والتنزيه وأكدوا أن الاسلام في جوهره إقرار لله بالتفرد والوحدانية والهيمنة على الكون . وأقروا النبوة التي يهبها الله لمن يشاء من عباده .

ومع هذه المحاولات كلها فان هذه التجربة بكاملها قد فشلت فشلا ذريعاً في أن تربط نفسها بالفكر الاسلامي لأنها لم تنطلق أساساً من قيمه وأسسه وإنما حاولت المواءمة بين الفلسفة اليونانية والفكر الاسلامي فصدمتها الجذور الأساسية الكبرى التي تكشف عن التباين الواضح بين التوحيد والوثنية .

وفي هذا يقول أحد الباحثين :

كانت الحضارتان الاسلامية واليونية حضارتين مختلفتين تمام الاختلاف فالأولى دينية موحدة والثانية وثنية تقول بتعدد الآلهة .

إحداهما صادرة عن عقل إنساني يتناول قضايا الحياة والكون والطبيعة ، والثانية صادرة عن كتاب سماوي عظيم ، وضع للحياة والعقيدة أسسا راسخة إذن ، لم تكن وجهة أحدهما هي وجهة الأخرى لاختلافهما في الأصل والمنهج والغايات والوسائل فلما التقتا وقع الصدام الذي كان من نتيجته شيوع الإلحاد والزندقة » .

ومن هنا بدأت المعارضة ،وكانت المعارضة نابعة من اختلاف القيم والمفاهيم ومن جوهر المجتمع الاسلامي العربي نفسه في تشكيله القائم على المساواة ورفع قيود العبودية التي فرضتها الامبراطورية الرومانية وأقرتها فلسفتها في أصولها ودافع عنها أفلاطون وأرسطو ، ومن هنا بدأ يظهر للمسلمين قصور مذهب أرسطو الشكلي ، وبان عواره في أنه لم يهتم بالتجربة ، أما المسلمون فكان منطلق فكرهم العمل والتجربة ، وفرق بين المنهج النظري التأملي ومنهج العمل والتجربة .

ومن شمول الاسلام وتكامله أنه قرر التأمل والتجربة معا وأنكر التفرقة بينهما . كما ربط بين العقل والوحي معا وأنكر فصلهما .

ومن هنا انطلق تياران : تيار المواجهة للفلسفة اليونانية .

وتيار بناء المنهج العلمى التجريبى الاسلامية وميتافيزيقا المسلمين .

أما تيار المواجهة للفلسفة اليونانيـة فقد حمل لواءه : ابن حنبل والشافعى والأشعرى ثم ابن حزم والغزالى وابن تيمية ثم ابن خلدون من بعد .

وكانت المعارضة تلتمس منهج القرآن كأساس ومصدر .

وترى أن منهج القرآن دعوة للعقل والقلب معاً ، وأن الفلسفة اليونانية تأليه للعقل ، مع قصوره عن الفهم إلا فى دائرة محدودة .

أما منطلق المنهج العلمى فقد بدأه الشافعى بعلم الأصول .

ورسم المسلمون بعد ذلك منهج المعرفة الاسلامى وفى مقدمتهم ابن حزم ثم اتجه المسلمون إلى المنهج التجريبى الذى برز فى أعمال البيرونى وجابر بن حيان.

يقول الدكتور النشار : « هذا الاتجاه إلى الكم والتجربة كان خروجاً مباشراً على مفهوم أساسى من منطق أرسطو هو التعريف ، فقد خرج المفكرون المسلمون عن المفهوم الأرسطى للحد والتعريف وخاصة رجال الأصول والفقه وانتهوا إلى نظرة جديدة للتعريف تقربه إلى حركة الواقع .

ونقد ابن خلدون قياس أرسطو وقال : إن الأقيسة المنطقية أحكام ذهنية .

وكشف المسلمون الرابطة العلية بين الأشياء كأساس للمعرفة العقلية وعن طريق الرابطة العلية بين الأشياء تقام التجارب وتتحقق النظرة الموضوعية إلى الظواهر الطبيعية والاجتماعية على السواء .

وعلى أساس رابطة العلة فسر ابن خلدون حركة التاريخ وتطور العلاقات البشرية وعلى هـــذه الرابطة العلية أقام البيرونى والرازى وجابر بن حيان وابن سينا تجاربهم .

هذا المنهج التجريبى : القائم على التوحيد بين النظر والعمل هو فلسفة الإسلام

الحقيقية ، وبهذه النظرة للكون والانسان اختلف الفكر الاسلامى اختلافاً كبيراً عن الفكر اليونانى المترجم وتناقض معه.[1] .

* * *

وبعد فاذا كانت الفلسفة الاسلامية المتابعة للهلينية اليونانية قد سقطت فان أعمال الفارابى وابن سينا فى مجال العلوم الطبيعية والكيميائية والطب ما تزال حية تشهد لهم على المنطق الأصيل للفكر الاسلامى ، وما يزال ابن رشد القاضى والفقيه قائماً على خلاف ابن رشد المتأثر بالفلسفة اليونانية .

---

(١) يتعرف على النص .

الفصل الخامس

مواجهة الفلسفة اليونانية

أن الفكر الإسلامى بطبيعته الخاصة وتشكيله المفرد وذاتيته الخالصة القائمة على التوحيد والرابطة بين العقل والوحى كان متفتحا أمام الفكر البشرى كله ولكنه كان قادراً فى نفس الوقت على التماسك دون الانصهار فى أى بوتقة، ومن هنا كان موقفه من الفلسفة اليونانية واستحالته على التبعية أو الاحتواء فيها وهى تتعارض مع مقراراته الأساسية، سواء فى أصلها الوثنى أو مجتمعها العبودى أو إعلاء العقل أوعبادة الجسد، هذا فضلا عن أن الفلسفة التى ترجمت لم تكن هى الفلسفة اليونانية فقد أصابتها محاذير كثيرة نتيجة فساد الترجمة وانتحال الكتب وتحريف النصوص خدمة لهدف التراجمة السريان.

ومن هنا فقد قامت المعارضة لها منذ اليوم الأول، وامتدت من خلال مختلف دوائر الفكر الإسلامى، خاصة بعد أن عجزت مدرسة الفلسفة الإسلامية عن أن تحقق شيئا، ولم تلبث مدرسة الأصالة وتصحيح المفاهيم وتحرير القيم أن غلبت واتسع نطاقها حتى أصبحت تمثل ضمير الفكر الاسلامى كله وانعزلت الفلسفة ومعها دعاوى إطلاق العقل كالمعتزلة وغيرهم.

وكانت هذه المعارضة مقدمة للشجب الكامل للمفاهيم الفلسفية اليونانية التى تتعارض مع أصول الإسلام وخاصة التوحيد والنبوة والأخلاق وتتعارض مع بناء المجتمع الإسلامى نفسه القائم على الأخوة بينما قام المجتمع اليونانى الرومانى على العبودية.

* * *

بدأ النزاع بين الإسلام والفلسفة اليونانية منذ اللحظات الأولى لحركة الترجمة، ولم تخمد جذوته إلا بعد أن بلغ أوجه بمنهج ابن تيمية فى الكشف عن منطق القرآن ومروراً بموقف الغزالى فى مواجهة الالهيات اليونانية وموقف الامامين الشافعى وابن حنبل من قبل.

يقول الدكتور النشار: لما جاء منطق أرسطو أكبر معبر عن روح اليونان لفظه المسلمون، ووصل الأمر إلى تكفير من يشتغل به، ولم يكن هذا الإعلان ناشئا عن ضيق أفق أو تزمت مذهبى وإنما كان إعلاناً صادراً عن روح الحضارة الاسلامية وروح القرآن الالهى الذى دعا إلى وضع منهج ومنطق مختلف فى كل خصائصه عن منطق أرسطو روح الحضارة اليونانية.

كما عمد الأصوليون من مدرسة الامام الشافعى إلى نقض أصول منطق أرسطو.

(١) موقف الامام أحمد بن حنبل

وكان موقف الإمام ابن حنبل هو الصدمة الأولى التى واجهت الفكر الإسلامى نتيجة غلبه منطق اليونان فى مجال العقائد عندما اندفع المعتزلة الى إعلاء العقل على النحو الذى دعا اليه الإغريق غير حاسبين حسابا للخلاف الجذرى الواضح بين منهج الإسلام الجامع بين العقل والوحى ومنهج الهلينية القائم على العقل وحده حتى انه لينكر الحس فى سبيل اعلاء المنطق الشكلى.

فلقد صمد الإمام أحمد بن حنبل ستة عشر عاما فى وجه صيحة «خلق القرآن» خلال خلافة المأمون والمعتصم والواثق حتى انجابت عن الفكر الإسلامى هذه الدعوة وانحسر خطرها وعاد المسلمون مرة أخرى الى مفهوم السنة وكانت صلابة الإمام أحمد بن حنبل فى مواجهة هذا التحدى مثلا عاليا للصمود، فقد رفض قبول هذا «المنطق» الذى لا يستمد مصدره من الإسلام

ولا من القرآن وكانت كلمته الحاسمة : « القرآن كلام الله » فإذا جادلوه قال : اعطونى شيئا من كتاب الله أو سنة رسوله . وقبل فى سبيل ذلك السجن والتعذيب والهوان ووقف وحده بعد أن أقر العلماء والمشايخ والفقهاء بما فرضه المأمون ، وكان معه ثلاثة تصدع اثنان منهم ومات الثالث ، وتركز التحدى كله فى أحمد بن حنبل الذى صمد صموداً عجيبا . ووقف سداً منيعا فى محاولة اخراج هذه الأمة عن مقررات فكرها وطبيعته وفطريته الى التفكير الفلسفى ، وبذلك حسم ابن حنبل موقفا خطيراً واتجاها كان له ما بعده لو أنه هدم ، وقد اعترف معاصرو ابن جنبل بأن صموده فى الدفاع عن منهج القرآن ازاء مفاهيم الفلسفة اليونانية كان عظيما وانه سد ثلمة كبرى كادت تحدث فى الإسلام[1] .

(٢) موقف الإمام الشافعى

ويجىء موقف الامام الشافعى تابعا ومكملا لموقف « ابن حنبل » ويمكن القول أن الإمام الشافعى وضع لبنة ضخمة حين حقق المعنى الكبير الذى ربط فكر اللغة العربية بالإسلام فى مواجهة فكر الفلسفة فى اللغة اليونانية وحين كشف عن أن منطق أرسطو هو منطق اليونان بينما علم الأصول الذى أقامه هو منطق الفكر الإسلامى ومنطلقه .

وكان بذلك راسم أول خطوة لمنهج الاسلام العلمى وللمنهج العلمى التجريبى .

(٣) موقف الإمام الغزالى

عندما واجه الغزالى الفلسفة : أقر مفاهيم الفلسفات الرياضية والطبيعية ولم يعترض إلا على الفلسفة الإلهية .

---

(١) أبو الحسن الندوى : رجال الدعوة والفكر .

وقد حارب الغزالى الفلسفة الإلهية لأنها من وجهة نظر الإسلام أخطأت فى ثلاث مسائل :

(أولا) القول بقدم العالم .

(ثانياً) القول بأن الله لا يحيط علماً بالجزئيات ولا يعلم إلا الكليات .

(ثالثاً) انكارهم بعث الأجساد .

أما الفلسفة الرياضية فقد أشار الغزالى إلى أنها تتعلق بعلوم الحساب والهندسة وعلم هيئة العالم « وليس يتعلق شىء منها بأمور الدين نفياً أو إثباتا بل هى أمور برهانية ولا سبيل إلى مجاحدتها بعد فهمها ومعرفتها »[١] .

وهنا يبدو أن رأى الغزالى فى معارضة الفلسفة ليس على اطلاقه وانما هو قد فرق تفريقا واضحا بين الإلهيات والطبيعيات .

وقد عارض الغزالى ما يصطدم بالشرع وركز هجومه على الفلاسفة الذين « جحدوا الصانع وزعموا أن العالم لم يزل موجوداً وقالوا بقدم الأنواع الحيوانية» وهم الدهرية والزنادقة ، وكذلك طائفة الفلاسفة الطبيعية الذين قالوا أن النفس تموت ولا تعود وأنكروا الآخرة والثواب والعقاب .

وعارض الغزالى مغالاة من أنكروا علوم الرياضيات وما بنى عليها من الظواهر الفلكية وقال أن الطبيعيات ليس من شرط الدين إنكارها إلا فى مسائل ذكرها :

« يجب أن يعلم الإنسان أن الطبيعة كلها مسخرة لله ، لاشىء منها يفعل بذاته عن ذاته وأن التلازم بين الأسباب والمسببات غير حتمى بحيث يمكن

---

(١) المنقذ من الضلال .

خرق مجرى الطبيعة وقوانينها بإرادة الله التي أوجدها ويمكن حصول المعجزات، أما الفلسفة الإلهية فقد عارضها معارضة واضحة إذ أن فيها « أكثر أغاليط الفلاسفة، ولم يقدروا منها على الوفاء بالشروط التي اشترطوها في المنطق والغلط في عشرين مسألة .

وقد أشار في كتابه تهافت الفلاسفة إلى أنه لا يريد إلا هدم الفلسفة الالهية وإظهار ما فيها من تناقض وعجز وتلبيس ، « ويريد[1] لاظهار فساد مذاهب الفلاسفة وتصور أدلتهم أن يقرر قلة بضاعة العقل في معرفة مسائل الربوبية وذلك ليمهد نفوس الناس إلى الاقبال على الدين » ويرى الغزالي أن للتجربة شأنا كبيراً وأن أدلة العقل وحدها لا تكفي لاثبات نبوة الأنبياء .

وقد أكد الامام الغزالي الفارق بين منهج القرآن ومنهج أهل الكلام حين أشار إلى أن القرآن كالماء وعلم الكلام كالدواء[2] ، وقال إن على المسلمين أن يكتفوا بالحجج المأخوذة من القرآن وقد جمع الغزالي في كتابه (جواهر القرآن) ما يناهز خمسمائة آية تختص بمعرفة الخالق ، وبه يعرف العامة عظمة الله وعزته وليس بحجج المتكلمين وقال : إن مقدمات المتكلمين وتقسيماتهم وحججهم المعقدة إنما تحدث اضطرابا في القلوب الهادئة عوضا عن أن تقنعها ، أما البراهين المأخوذة رأسا من القرآن فيقنع عقولهم وتسكن أرواحهم ويربي فيهم إيمانا راسخاً.

ومنطلق الامام الغزالي في هذا هو حديث الرسول : «كل مولود يولد على الفطرة » .

---

(١) رجال الدعوة والفكر — أبو الحسن الندوي .

(٢) راجع النص في مكان آخر .

(٤) موقف الإمام ابن تيمية

أن موقف ابن تيمية يمثل خطوة أوسع مدى ، وإضافة أكبر من موقف الغزالى . فقد كشف ابن تيمية عن أن للفكر الاسلامى منطق خاص مستمد من القرآن والسنة تختلف عن منطق أرسطو والفلسفة اليونانية ، ويسمى المنطق الاسلامى ، « هذا المنطق الذى كان فيه غنى للمسلمين عن العقلية الغربية فى الحكم على الأشياء وفى الاستبصار والتأمل الفلسفى . وقد استخلص هذا « المنطق الاسلامى » من القرآن الكريم بحيث أغنى المسلمين فى قضايا الفكر والحكم الصحيح عن المنطق اليونانى وعن أقيسته وأساليبه ومسمياته وتطبيقاته .

وعنده أن ما عند أئمة النظار من أهل الكلام والفلسفة من الدلائل العقلية الالهية فقد جاء القرآن بما فيها من الحق ، وما هو أكمل وأبلغ منها على أحسن وجه منزه عن الأغاليط الموجودة عند هؤلاء .

يقول الدكتور النشار : « أن ابن تيمية يستند الى روح اسلامية خالصة من حيث استطاع أن يلتمس منطق أرسطو خصائص العقلية اليونانية التى تباين الفكر الاسلامى تماما » .

وقد أشار ابن تيمية الى أن المسلمين لم يقبلوا المنطق الأرسطى منذ اليوم الأول وعلل ذلك تعليلا دقيقا حين قال : ومازال نظار المسلمين يعيبون طريقة أهل المنطق ويثبتون مافيها من العى واللكنة وقصور العقل وعجز المنطق ويثبتون أنها الى فساد المنطق العقلى واللسان أقرب منها الى تقويم ذلك ووضعوا بجانب هذا منطقا مخالفا للمنطق الأرسطى » .

(٥) مواقف أخرى

وقد تتابعت مواقف علماء المسلمين ففى القرن التاسع كتب محمد بن ابراهيم الوزير الحسنى اليمنى الصنعانى كتابه (ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان)

الذى دحض شبهات الباطنية والشعوبية فى عصره يقول فى مقدمة كتابه :

« نبغ فى هذا الزمان من عادى علوم القرآن وفارق فريق القرآن وصنف فى التحذير من الاعتماد على مافيه من التبيان فى معرفة الديان وأصول قواعد الأديان وحث على الرجوع فى ذلك الى معرفة قوانين المبتدعة واليونان ، منتقصاً لمن اكتفى بما فى معجز التنزيل من البرهان » ثم فصل القول فى مختلف هذه الشبهات وخاصة « فى بطلان ما ادعاه من قصور القرآن عن الوفاء بالدلالة الربوبية والتوحيد والنبوات » .

* * *

وقفت هذه المدرسة فى مواجهة (الكندى والفارابى وابن سينا) فى المشرق فلما أعاد ابن رشد فلسفة أرسطو وأحياها فى المغرب تصدى له ابن خلدون من المغرب أيضا فهاجم الفلســـــفة اليونانية وجرى على مجرى الغزالى وابن تيمه معا .

سقوط الاعتزال

ولقد كان الاعتزال هو أبرز منطلقات الفلسفة اليونانية بدا من اصالة الاسلام ثم انحرف عنها ، ثم جاء أحمد بن حنبل ثم الأشعرى من مصححى مسار الفكر الاسلامى .

ويمكن القول تاريخيا بأن الاعتزال سبق الفلسفة ، وأنه الخطوة الأولى للفلاسفة المسلمين فقد استعان المعتزلة بالفلسفة اليونانية فى سبيل دعوتهم ودفاعهم عن الاسلام وجرى علماء الكلام على نفس النهج .

ومن الحق أن يقال أن دعوة المدافعين عن التوحيد فى مواجهة الأديان الأخرى (معتزلة ومتكلمين) قد بدأت قبل الاتصال بالفلسفة اليونانية

واستهدفت الدفاع عن الإسلام بأسلوب العقل وقياس المسلمين المعروف ، فى مواجهة القوى المساحة بالفلسفة اليونانية ومنطق أرسطو من المسيحيين واليهود.

وقد كشفت الدراسات من بعد عن أن الاعتزال والكلام يمثلان منهجاً مؤقتاً ، إحتاج إليه المسلمون فى فترة معينة من تاريخهم ثم لم يعد له بعدها ما يبرره ، غير أن دعاة الاعتزال بلغوا غاية الشوط وخرجوا عن غايتهم حين وصلوا إلى فرض نفوذ معين على الفكر الإسلامى كله عن طريق الدولة على النحو الذى وقع بالدعوة إلى خلق القرآن وإمتحان الناس بها .

ذلك أن منهج الكلام هو فى حقيقته منهج مؤقت مرحلى ، ظهرت الدعوة إليه فى مواجهة خطر ماثل ، ثم انتهت مهمته ، ومن هنا كان بقاءه وإتساعه وبلوغه إلى المراحل التى وصل إليها من بعد ، من المحاذير التى وقع فيها رجاله ، واحتاجوا إلى معارضة وشجب كاملين من المصلحين أمثال ابن حزم وابن تيمية والغزالى .

والمعتزلة فرقة من فرق الكلام . قامت فى المرحلة الأولى بجهد واضح ثم لم تلبث أن انحرفت عن مفاهيمها عندما أعلت من شأن العقل إعلاء اليونان له فى غفلة عن فهم جوهر المنهج الإسلامى للمعرفة، الجامع بين العقل والوحى معاً ومن هنا كان انحراف الإعتزال الذى صادر حرية الرأى وبلغ ذروته فى معركة الإمام أحمد بن حنبل حين فرض مصطلح « خلق القرآن » .

ولقد لاحظ الدارسون للاعتزال والمعتزلة ذلك الإنحراف وشجبه أكثر كتاب العصر الحديث دفاعاً عنهم فقال أحمد أمين[1] : إن نقطة الضعف فيهم — أى فى المعتزلة أنهم أسرفوا فى تمجيد العقل والإيمان بقوته واقتداره، (فقد) رأى المعتزلة . إن العقل البشرى قد منح من السلطة والسعة ما يمكنه

---

(١) ضحى الإسلام ج ٣ ص ٣٩ وما بعدها .

من إقامة البرهان حتى على ما يتعلق بالله فلا حدود للعقل إلا براهينه ، والرأى أن العقل أضعف من ذلك وأن استطاعته محدودة بادراك ما يتعلق بشأنه هو ، وأنه منح القدرة على أن يدرك البرهان على وجود الله والنبوة العامة ونبوة محمد خاصة ولم يمنح القدرة على كنه الله وصفاته .

« ولعل نقطة الضعف فيهم — أى فى المعتزلة — أنهم أفرطوا فى قياس الغائب على الشاهد ، أعنى فى قياس الله على الانسان وإخضاع الله تعالى لقوانين هذا العالم ، وقد ألزموا الله مثلا بالعدل كما يتصوره الانسان — وكما هو نظام دنيوى ، وفاتهم أن معنى العدل — حتى فى الدنيا — معنى نسبى يتغير بتغير الزمان ونحن فى أعمالنا ننظر إلى عالمنا والله تعالى رب العالمين قد ينظر فى أعماله إلى جميع العالم ، ما نعلم منها وما لا نعلم ، فكيف نخضع الله لتصور العدل الذى نتصوره نحن فى عالمنا » .

وعند كثير من الباحثين[1] أن هذه المحاولة التى تزعمها المعتزلة : والتى تقوم على تمجيد العقل وتأليهه ، وإخضاع النظام الدينى بما فيه من عقائد وحقائق له ، وعلى قياس الغائب على الشاهد ، إتجاها خطراً على الاسلام ، وفتح باب فساد عظيم فى المجتمع الاسلامى .

« لقد كان هذا تحويلا للدين البسيط العملى الذى جاء به الرسول ، يستسيغه العقل البشرى بكل سهولة إلى فلسفة نظرية دقيقة تعجز من يفهمها .

وأن هذا الاتجاه من المعتزلة كان « تنمية للعقـــل على حساب العاطفة والوجدان ، وإضعافاً للايمان ، وإثارة للشكوك والشبهات وعدم الثقة بما يقوله النبى ، ويعجز العقل عن تعليله وإقامة الدليل على وجوده » .

---

(١) رجال الدعوة والفكر — أبو الحسن الندوى

والواقع أن هنا مفرق خطير : هو محاولة تحويل الاسلام إلى منهج فلسفي عقلي بينما الاسلام منهج عقلي روحي متكامل قوامه الوحي والعلم معاً ، وأن محاولة دراسة الاسلام بمنهج فلسفي من شأنه أن يعجز العامة والبسطاء ، وأن يدخل الاسلام في نفس المتاهات التي دخلت فيها الأديان الأخرى لخرقتها وأخرجتها عن طبيعتها وفطرتها .

وهذا ما وصل إليه أحمد أمين حين قال :

« ربما أخذ عليهم — أى على المعتزلة — أنهم في سيرهم هذا وراء السلطان العقلي قد نقلوا الدين (أى الاسلام) إلى مجموعة من القضايا العقلية والبراهين المنطقية ، والدين خلاف الفلسفة ، الدين يتطلب شعوراً حياً أكثر مما يتطلب قواعد منطقية ، فالدين ليس بالمسائل الرياضية ولا كالنظريات الهندسية يتطلب من العقل حلها ، وفي ذلك كل العناء ، بل في الدين أكثر من ذلك ، يتطلب شعوراً يدعو إلى العمل وحرارة إيمان تبعث على التقوى .

« ونظام المعتزلة وهو الذى جرى عليه المتكلمون بدورهم — نظام جيد التفكير ضعيف الروح ، غالى في تقدير العقل وقصر في قيمة العاطفة » اه .

* * *

وفي المرحلة التالية من النظرة التاريخية نرى المعتزلة يصلون إلى درجة بالغة الخطر حين يفرضون مذهبهم بسلطة الدولة، ويفرضون نظرية معينة،لم يقررها القرآن والاسلام ،كقانون ملزم يمتحن فيه الناس ويجازون بالقتل والتعذيب إذا عارضوه ، ويرفعون من أماكنهم ويزاحون من مناصبهم إذا لم يقرروه .

وهم بذلك قد أشاعوا في العامة شكوكا وأدخلوهم في متاهات فلسفية خطرة وكان حمل المأمون الناس على هذه الدعوى من أكبر اخطائه وأخطاء خلفائه لولا تلك المواجهة الصامدة الجبارة التي وقف دونها أحمد بن حنبل ستة عشر عاما يحتمل التعذيب والاهانة حتى انكشفت الغمة وثبت فساد هذه الدعوى

وحين بلغ « الاعتزال » هذه المرحلة الخطيرة كان ذلك علامة على انحطاطه وسقوطه ، وكان آية ذلك ظهور (أبو الحسن الأشعرى) الذى أعاد تصحيح مسار الفكر الاسلامى فى هذه الناحية ورفع من طريقة تأليه العقل وأعاد التوازن بينه وبين الوحى، وهاجم أخطاء الاعتزال بعد أن أمضى أربعين عاماً من دعاته وأوليائه .

وكان ذلك خطوة ثالثة على نفس طريق الأصالة: أصالة الفكر الإسلامى فى مواجهة تحديات تدميره من الداخل وإبطال هذه الخطوات هم :

ابن حنبل والشافعى والأشعرى . ثم جاء بعد ذلك ابن حزم والغزالى وابن تيمية وكلهم جروا من منطلق واحد هو منطلق الفطرة ، المتمثلة فى بساطة الاسلام وسماحته واستمداده من المنابع الأصيلة : القرآن والسنة وكان تلك ضربات صادعة للهلينية والفلسفة اليونانية ومنطق أرسطو .

ومن ثم تحررت خطط الدفاع عن الاسلام من الاستسلام لمنطق أرسطو أو لاعلاء العقل أو فرض أسلوب مجاف للقرآن .

الفصل السادس

وجوه التعارض

بين الفكر الإسلامى والفلسفة اليونانية

هناك وجوه للتعارض بين الفلسفة اليونانية والفكر الاسلامى يمكن أن توصف بأنها جذرية لأنها تتصل بصميم الأعمدة الأساسية التى تقوم على الاسلام وهى التوحيد والنبوة وأخلاقية المجتمع الاسلامى ومقوماته .

١ — تتركز أبرز وجوه الخلاف فى فهم « الله » سبحانه وتعالى وكنهه . وفى التوصل إلى هذا الفهم .

فالفلسفة اليونانية التى تعتمد على العقل وحده فى الفهم تقف من فهم الله سبحانه وتعالى موقف مضطربا غامضاً فالله فى تقدير أرسطو (عقلا صرفا) ليس له إرادة ، وهو يحرك العالم باعتباره معشوقاً لا كقوة فاعله ، وهو عنده يجهل الجزئيات .

وهو فى محاولته يهدف للوصول إلى هذا الفهم عن طريق بحث الجوهر ولذلك تخطىء الفلسفة اليونانية فى هذا المجال وتضطرب لأن وسائل العقل القاصرة لا تستطيع أن تصل إلى شىء مقنع .

أما الإسلام فقد أعطى الله سبحانه وتعالى مفهوما كاملا واضحا سمحا ،

وأعان فى نفس الوقت قصور العقل الإنسانى عن التوصل إلى الماهية والكنه فقد حدد القرآن موقف المسلمين من أمور (مابعد الطبيعة) وطلب اليهم عدم الخوض فيما خلفها ودعاهم إلى ترك بحث الجوهر الذى لايستطيع العقل أن يصل إليه وحده ، ووجهم إلى بحث (الخصائص) ويتمثل هذا فى مفهوم الرسول صلى الله عليه وسلم .

« تفكروا فى خلق الله ولاتفكروا فى ذات الله »

٢ — من أوجه الخلاف الكبرى أيضاً : مفهوم المجتمع .

فأفلاطون وأرسطو يرسمان فلسفة لمجتمع عبودى قائم على طبقة السادة القائمة فى القمة ولاتفعل شيئاً غير التأمل والمتعة وطائفة العبيد وكلا من أفلاطون وأرسطو قد دافعا عن هذا الوضع واستمدا منه مفاهيمهما .

فأفلاطون فى فلسفته فى النفس والدولة أقر هذه الحدود وأكدهـا فهو يحرر الفرد من قيمه الفردية ليجعل منه أداة مسخرة لخدمة السادة ويوجه أفلاطون مناهج التربية كلها إلى السادة أما عامة الناس الذين يعملون فى الزراعة فهو لايعتنى بهم ولايضع لهم أى منهج ثم هو يقرر شيوعية الملك والنساء والأولاد .

ويقول بالنص « لايخص أحدهم نفسه بامرأة معينة ، بل يجب أن يكون جميع النساء حقاً مشاعا للحكام ، لايستأثرون بامرأة دون أخرى استئثاراً يجعل منهم أرباب أسر لارجال حكم .

بل ويذهب إلى أبعد من ذلك حين يقرر أنه « يجب لايعرف والد ولده ولامولود والده حتى لايبذل جهداً فى غير مصالح الدولة ولاتتكون عواطف وميول خارج مصلحة الدولة » .

وأرسطو يدافع عن الرقيق والنظام العبودى وان كان يؤكد حرية الفرد خلافا لأفلاطون فانه إنما يعنى به الفرد من السادة .

ويذهب فى تقدير مذهب السادة مذهباً غالياً فيقول أن السادة لايجوز استرقاقهم لأنهم جمعوا بين الروح العالية والشجاعة التى ينفرد بها أهل الشمال أما العبيد فلايجوز لهم أن يكونوا سادة ، وهم يقومون بالأعمال المنافية للمواطنين الأغريق الأحرار ، ويذهب إلى أبعد من ذلك علوا حين يقول : أن الحر حر رغمماينزل به من عسف والعبد عبد رغم مايحققه من نصر .

وعنده إن الناس مقامات ودرجات وعلى الأعلى أن يسيطر على الأدنى ، كما أن على الأدنى أن يخضع للأعلى ويطيعه .

ولاشك أن هذه المفاهيم تتعارض تمام التعارض مع مفهوم الاسلام للمجتمع ومع دعوته إلى الإخاء والمساواة ومن تحديده الموقف تحديداً واضحاً أنه لافضل لعربى على أعجمى ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى .

فضلا عن دعوته إلى تحرير الرقيق وعتقه بالتعليم والمكاتبة وغيرها .

* * *

وفى هذين الأمرين الكبيرين يبدو التباين الواضح بين مفـــاهيم الفكر الاسلامى ومفاهيم الفلسفة اليونانية وهو تباين جذرى لايدع مجالا لأى لقاء بعده لأنه يتصل بالعقيدة والشريعة .

أما مذهب أرسطو الذى أخذ أولياء الفلسفة اليونانية فى إعلائه وللمبالغة فى مكانته العلمية فانه قد تعرض لنقدات كثيرة من الغربيـين أنفسهم ، حتى أكثر الناس اعجاباً بأرسطو لم ينكروا قصوره .

فالمستشرق هورتن (دائرة المعارف الاسلامية) يؤكد أن أرسطو لم ينجح فى وضع نسق شامل للعالم كله منظوراً اليه من خلال صورة ذهنية واحدة ،فهو

لم يردّ جملة العالم إلى مبدأ واحد ، إنما هى (أثينية) يتقابل منها الهيولى القديم مع الله .

ويقول عبد الرحمن مرحبا : أن أرسطو ترك فى مذهبه نقاط كبيرة معلقة دون أن يتصدى لحلها ، كما أن فى مذهبه نقاط غامضة حينا ومتعارضة بعضهامع بعض . وأنه لم يكلف نفسه مؤونة توضيحها وإزالة مافيهامن تناقض وأخيرآفان مذهب أرسطو معارض للإسلام فى كثير من جوانبه كما أن فى الاسلام قضايا كثيرة لايقرها أرسطو .

وفضلا عن هذا فان أرسطو لم يخرج فى فلسفته اطلاقا عن وثنية اليونان وإيمانهم بآلهة كثيرة كل إله منها منطقة خاصة .

ومن أخطر مايواجهالفلسفة اليونانية تقديمها المعقول على المحسوس ،وغيرهم أن المعرفة التى يجىء بها الحس إنما هى ظنية فحسب ، أما المعرفة الحقيقية فهى العقل . بينما يرى الاسلام أن العقل جناح من أجنحة المعرفة وأن الوحى هو الجناح الآخر وأن كلاهما يكمل الآخر وأن المعرفةلا تكون صحيحة إلابهامعاً .

وهناك فوارق أخرى بين الفكر الاسلامى والفلسفة اليونانية .

أهمها الفرق العميق بين مفهوم القرآن لوحدة الله وفاعليته وبين مفهوم اليونانيةفالله فى الاسلام خالق كل شىء ، وأنه خلق كل شى من لاشىء وأوجد العالم من العدم ، وأعلن بدأ الزمان وأعلن نهايته .

أما الفلسفة اليونانية فتقول بقدم المادة وعدم فنائها .

فضلا أن الله القرآن لم يترك مفاهيمه مطلقة هائمة بل وضع أصولها كاملة ولاشك أن مفاهيم الاسلام فى هذه الأمور جميعاً أكثر قبولا فى العقل وأقرب إلى الفطرة .

الفصل السابع

منطلق الفكر الاسلامى

إن منطلق الفكر الإسلامى فى مجال العلم والحكمة إنما يمثله كثيرون ولكنه يتبلور فى تجربة الإمام الشافعى وإنشائه « علم أصول الفقه » واعتبار علم الأصول بالنسبة إلى الفقه كاعتبار المنطق بالنسبة إلى الفلسفة ، فقد أقام الشافعى علم الأصول ، وهى أول محاولة لوضع فهم أصولى عام يحدد للفقه الطرائق التى يسلكها فى إستنباط الأحكام .

ونشأت فى ظل ذلك العمل الرائد مدرسة الأصوليين الإسلاميين الذين كشفوا عن الفوارق البعيدة بين القياس الإسلامى والقياس اليونانى .

وقد عمل الأصوليون الذين لم يقتلوا المنطق الارسطاليسى إلى اكتشاف منطق جديد يعارضه .

وقد نقد الأصوليون المبادىء الأساسية لمنطق أرسطو (قانون الذاتية وقانون النقيضين) ثم جاء بعد ذلك بأكثر من خمسمائة عام المناطقة المعاصرون فى القرن العشرين الذين نقضوا هذه الأصول لمنطق أرسطو بما لا يخرج عما نقده به الأصوليون المسلمون .

* * *

ولا شك أن الشافعى وضع الحجر الأساسى فى بناء الفكر الإسلامى

(فقد[1] قدم « مباحث الأصول » لأول مرة كعلم مشتق الأجزاء له منهج عام يحدد للفقه الطرائق التى يسلكها لاستنباط الأحكام ، وقد صدر الشافعى فى ذلك المنهج الذى خالف به بصراحة المنهج الارسططاليسى عن فكر الإسلام ذاته وليس عن إتجاهه الخاص ، هذا الفكر الذى لا يتطابق مع أشد التطابق لا المتكلمون ولا الفلاسفة ولا المتصوفة ، ولكن علم أصول الفقه والفقهاء وعلى رأس هؤلاء جميعاً الشافعى .

يقول مصطفى عبد الرازق : أن هذا الإتجاه من الشافعى هو إتجاه العقل العلمى الذى لا يعنى بالجزئيات والفروع بل يعنى بضبط الاستدلالات التفصيلية بأصول تجمعها .

(ولقد دعا ذلك إلى اعتبار الشافعى فى العالم الإسلامى وفى الدراسات الإسلامية مقابلا لأرسطو فى العلم الهلينى والدراسات اليونانية .

(وكان الشافعى يعرف اليونانية وقد هاجم المنطق الأرسطى مهاجمة شديدة لا من الجانب السلبى فقط بل إيجابياً بوضع منهجه فى الأصول الذى كان أساسا للمنهج الاستقرائى والتجريبى الذى تميزت به الثقافة الإسلاميـــة وحضارتها والذى لولاه لسقط العلم فى العالم الإسلامى ولتأخرت نهضة أوربا العلمية الحديثة .

كان الشافعى يرى فكر الدين فى اللغة العربية وفكر الفلاسفة فى اللغة اليونانية كما يرى أن المنطق الذى يستند إلى اللغة اليونانية مخالفاً للمنطق الذى كشف عنه علم الأصول والذى يستند إلى اللغة العربية وخصائصها (ولقد تبين له أن تطبيق منطق اللغة اليونانية على منطق اللغة العربية يؤدى إلى كثير من التناقض ولذلك هاجم المنطق الأرسطى الذى أخذ به بعض علماء المسلمين

---

(١) راجع كتابات الدكتور النشار وجريدة الأخبار شعبان ١٣٩١

كالفارابى وابن سيناء والغزالى وابن رشد إلى حد التحريم وتابعه فى ذلك فريق كثير من فقهاء المسلمين على رأسهم ابن تيمية .

ولا ريب أن علـــم الشافعى الذى وضع به الأصول هو أساس المنهج العلمى التجريبى فى مواجهة المنطق الذى هو أساس المنطق الفلسفى التجريدى ، هذا المنهج ملأ طباق الأرض وأبعد من طباقها حيث تنزل أدوات العلم على القمر .

ولا ريب أن المنهج الاستقرائى العلمى والتجريبى هو المعبر عن طبيعة الإسلام[1] والإسلام فى آخر تحليل هو تناسق بين النظر والعمل يقيم نظرية فلسفية فى الوجود ، ولكنه يرسم أيضاً طريقاً للحياة العملية وهذا المنهج بما فيه من روح الإسلام ونظرته قد أدخله العرب إلى العالم الأوربى وبذلك فان المسلمين هم مصدر هذه الحضارة القائمة على المنهج التجريبى .

ولا شك أن الومضات الأولى لهذا المنهج العلمى خرجت تلخيصاً لمنهج القرآن الكريم فى رسالة الشافعى الذى هو المخطوط الثانى فى القدم بعد مصحف عثمان .

---

(١) الدكتور على سامى النشار : عن كتابه مناهج البحث عند مفكرى الاسلام.

الفصل الثامن

المسلمون ميتافيزيقاهم

كان من أكبر ما قدم القرآن للمسلمين ذلك المنهج الواضح فى فهم عالم الغيب « الميتافيزيقا » أو ما وراء المادة . فلم يشغل المسلمون بالجوهر أو الماهية أو الكنه .

كان مفهوم المسلمين المستمد من القرآن هو تجاوز البحث عن « الشيء فى ذاته » فقد التزم ذلك الصحابة فلم يتحدثوا فى المسائل الاعتقادية ثم جرى بجراهم أئمة الإسلام من بعد .

« فقد تجنبوا الخوض فى المسائل الغيبية معانتين أنها مراء فى الدين وأنها أورثت من قبل الأمم السابقة العداوة والبغضاء ومزقت وحدة أديانهم وتماسكها » .

وقد رسم القرآن للمسلمين ميتافيزيقا كاملة لها ذاتيتها الخاصة وهى مخالفة كل المخالفة للميتافيزيقيا اليونانية ، وأبرز مميزاتها أنها « لم تترك للعقل مجالا للاجتهاد فى أكثر نواحيها وحدد معالمها تحديداً كاملا ونهى أشد النهى عن تجاوز تلك المعالم » .

وهذا وجه الخلاف بين ميتافيزيقيا الإسلام والفلسفة اليونانية التى هى « بحث مطلق فى الوجود من حيث هو وجود .

من هنا يبدو اختلاف جذرى للطبيعتين : اليونانية والإسلامية مما يؤكد استحالة القول القائل بالتطابق بين الفكر الإسلامى والفكر الهلينى ومن هنا عد فلاسفة الاسلام على طريقة اليونان بمثابة إمتداد لفلسفة هؤلاء وأنهم مراكز إسلامية للفلسفة اليونانية القديمة فى عالم جديد ، عالم لم يعقل فلسفتهم بل اعتبرها خارجة عليه .

الفصل التاسع

منهج البحث التجريبي الإسلامي

كان من أكبر وجوه التعارض بين الفلسفة اليونانية والفكر الإسلامي ذلك الطابع التجريبي الذي دفع القرآن إليه المسلمين في مواجهة الطبيعة والحياة بينما كان اليونان يحتقرون التجربة والتجريب .

ولقد كان تحررهم من الدوران في فلك النظريات الخاصة بالكون أكبر معين لهم على الانطلاق نحو إنشاء المنهج العلمي التجريبي ذلك أن « طبيعة عمل المسلمين الذي رسمه القرآن لهم هو تحقيق الأفعال الإنسانية وتجنب المسائل الاعتقادية الجدلية» .

ولذلك لم يشغل المسلمون بالبحث عن الجوهر أو الماهية أو الكنه وإنما اتجهوا مباشرة إلى دراسة « الخواص » وعملوا على إدراجها في نسق منهجي متكامل .

ولقد كان منطلق المسلمين العلمي مستمداً أساساً من دعوة القرآن إلى النظر في الكون ، ولذلك فإن المسلمين لم يجدوا (المنطق القياسي اليوناني) القائم على ميتا فريقاهم معبراً عن مفهوم الإسلام ومن أجل هذا أزاحوه من طريقهم واتجهوا إلى بناء مفهوم منبثق من فكرهم القائم على التوحيد ومن مجتمعهم القائم على الإخاء والعدل وهو ما أطلق عليه المنهج الاستقرائي أو المنطق التجريبي الإسلامي الذي استند إلى القرآن والسنة .

ومن هنا تبين زيف ما يردده التغريبيون والمستشرقين من أن المسلمين

تابعوا المنهج القياسى فى اتجاههم وقد ثبت ثبوتاً قاطعاً بما حققه الباحثون المنصفون وخاصة مدرسة الأصالة (التى اشتقها مصطفى عبد الرازق وسار فيها النشار وغيره) أثبتوا إثباتاً قاطعاً عدم قبول مفكرى الإسلام للمنطق الارسطاليسى ومحاربتهم له ونقدهم لجميع عناصره [١]، فقد تأكد — وهذا هو ما يذهب إليه علماء الغرب أمثال درابر وبريفولت وغيرهما من أن المسلمين وضعوا المنهج الاستقرائى كاملا، وقد نبـــه العالم التجريبى الأول «روجر بيكون» إلى هذا .

فقد أدرك مفكرو الاسلام تمام الادراك أنه لابد من وضع منهج فى البحث يخالف المنهج اليونانى، حيث أن هذا المنهج الأخير إنما هو تعبير عن حضارة مخالفة وتصور حضارى مخالف .

وأهم خصائص المنهج التجريبي الاسلامى :

أولا — إنه منهج إدراكى أو تأملى، وليس نظرة مجردة .

ثانياً — اختلف المنهج الاسلامى عن المنهج اليونانى فى كبريات المسائل : وفى مقدمتها الحد والقضية الكلية والمنطق الشكلى .

ثالثاً — استخدموا كلمة (القياس) وهى الكلمة التى استعملها أرسطو، ولكن القياس الاسلامى يختلف عن قياس أرسطو تمام الاختلاف «فبينما القياس الأرسطالى هو حركة فكرية ينتقل منها العقل من حكم كلى إلى أحكام جزئية أو من حكم عام إلى حكم خاص ينتقل قياس المسلمين من حالة جزئية إلى حالة جزئية أخرى لوجود جامع بينهما بواسطة تحقيق علمى دقيق» .

«فعلماء المسلمين اعتبروا (القياس) : قياس الغائب على الشاهد موصلا إلى اليقين بينما أرسطو توصل فقط إلى الظن» .

---

(١) راجع كتاب «مناهج البحث عن مفكرى الاسلام للدكتور سامى النشار» .

وقد استكمل المسلمون منهجهم فى المراحل المختلفة التالية للقياس كالدوران وتحقيق المناظر[1] على النحو الذى أعطاهم منهجاً إسلامياً خالصاً ، إبتدأ من القرآن والسنة ، وانتقل من الفقه إلى العلم ومن القانون إلى التطبيق ، وعرف المسلمون فيه كل ما عرفه المحدثون عن فكرة القانون الطبيعى ، وقد استخدم المسلمون طرق البحث التجريبى فى كافة أبحاثهم .

وقد عبر هذا المنهج إلى أوربا عن طريق أسبانيا وجزيرة صقلية ثم نقله روجر بيكون إلى انجلترا ، الذى أعلن أن معرفة العرب وعلمهم هى الطريق الوحيد للمعرفة الحقة لمعاصريه .

وقد وجد المنهج الاسلامى كاملا فى كتاب (جون استورت ميل) وإن روجر بيكون وفرنسيس بيكون أول التجريبيين فى العصور الحديثة قد اعتمدا على المنهج التجريبى الاسلامى .

* * *

ولكن هل كان المنهج التجريبى الاسلامى قد قام فى الأساس على علوم اليونان ، وإنه كان لجهد اليونان أثر فيه على حد قول بعض أصحاب الولاء للفلسفة اليونانية ؟

إن كل النصوص التاريخية الصحيحة تؤكد غير ذلك . أما بالنسبة للفلك فقد كانت معرفة اليونان بالنجوم خرافات فى الأكثر ، وإن ما كان منها صحيحاً ثابتاً لم يكن يعدو مثله مما كان عند المصريين والبابليين ، فلما جاء المسلمون جعلوا من النجوم علما صحيحا وأنكروا خرافاته وأصلحوا مقدماته

---

(١) راجع البحث مفصلا كما نسقه الدكتور النشار .

أما بالنسبة للجبر فقد أخذه العرب من اليونان فى درجته الأولى فرقوا به إلى الدرجة الثانية .

كما أخذ العرب الكيمياء من اليونان «محاولات» لتحويل العناصر الخسيسة إلى عناصر شريفة ، أما العرب والمسلمون ، فهم الذين وضعوا أسس المختبرات العلمية للكيمياء .

والعرب هم الذين استعملوا الأرقام الحسابية بما فيها (الصفر)[١] ، كما صحح كثير من علماء المسلمين أخطاء علماء اليونان فى المجالات المختلفة ، صحح الجاحظ عدداً من أخطاء أرسطو . (وفى كتابيه البيان والتبيين وكتاب الحيوان أمثلة لذلك) .

كما كشف العلماء المسلمون أخطاء أفلاطون فى الفلسفة أيضا ، ومن ذلك ما عارضه ابن سينا لرأى أفلاطون فى النفس .

بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك فكشفوا عن أخطاء بطليموس وأقليدس فى الرياضيات وأبقراط فى الطب .

وكانت أعمال العلماء المسلمين والعرب بارزة فى مجال الحساب والهندسة والمثلثات وعلم الهيأة (الفلك) والعلوم التجريبية فى الطبيعيات والكيمياء والطب . وهم الذين واجدوا المصطلحات العلمية فى لغة عربية صحيحة .

وقد وضع أبو النصر الفارابى أصول علم الموسيقى وسمى المعلم الثانى لأنه وضع التعاليم الصوتية كما وضع أرسطو المنطق .

ويؤكد الباحثون أن المسلمون قد قلبوا العلم اليونانى والفلسفة اليونانية فى بعض وجوههما رأسا على عقب[٢] .

(١) دكتور عمر فروخ — العرب والفلسفة اليونانية .
(٢) عن نص لعمر فروخ .

وليس أصدق تقديراً لدور المسلمين من عبارة بريفولت فى كتابه بناء الانسانية Making of Humanty .

ليس ثمة ناحية واحدة من نواحى الازدهار الأوربى يمكن ارجاع أصلها الى مؤثرات الثقافة الاسلامية بصورة قاطعة فإن هذه المؤثرات توجد أوضح ما يكون فى تلك الطاقة التى تكون ما للعلم الحديث من قوة متميزة ثابتة ، ان ما يدين به علمنا لعلم العرب ليس فيما قدموه اليها من كشوف مدهشة لنظريات مبتكرة فحسب ، بل يدين هذا العلم الى الثقافة العربية بأكثر من هذا : أنه مدين لها بوجوده نفسه .

الفصل العاشر

ما قدمه الإسلام : الحكمة وليس الفلسفة

إذا كان منطلق الفلسفة هو البحث عن الحقيقة فان الاسلام قد قدم للإنسانية أصولا أساسية ومنهجاً كاملا يفتح الطريق إلى هذا البحث، على النحو الذى يحقق السلامة والأمن ويحول دون الوقوع فى المحاذير الكثيرة التى يعجز العقل الانسانى عن النظر فيها أو الآفاق التى لا يستطيع تجاوزها . ومفهوم الاسلام فى هذا المجال هو الحكمة :

وقد أورد العلامة فريد وجدى أصول الحكمة القرآنية على هذا النحو :

(الأصل الأول) : الانسان لم يحصل من العلم إلا قليلا .

(الأصل الثانى) : يجب على الانسان أن يتعلم لمصلحته المادية ومصلحته الروحية .

(الأصل الثالث) : العلم لا يحصل إلا بالنظر فى الوجود والموجودات لا بالظنون والأوهام .

(قل أنظروا ما فى السموات والأرض)

(وفى الأرض آيات للموقنين وفى أنفسكم)

(وكأين آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون)

(الأصل الرابع) : أقامة سلطان العقل والالتجاء إلى حكمه فى كل خلاف والبعد عن الأهواء والجنوح إلى الأباطيل .

(أفلا تعقلون — لعلكم تعقلون — ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله — بل نقذف بالحق على الباطل) .

(الأصل الخامس) : الاعتماد على تحقيق المسائل التى تقرر العلم الممحص لا الأوهام ولا المقررات الموروثة (أن يتبعون إلا الظن) .

(الأصل السادس) : عدم متابعة الخيالات فيما ليس وراءه علم (ولا تقف ما ليس لك به علم) .

(الأصل السابع) : وجوب التثبت فى العلم وعدم الأخذ بدون دليل (قل هاتوا برهانكم - يثبت الله الذين آمنوا) .

(الأصل الثامن) : تحريم التقليد للآباء فى العلم والتعصب لآرائهم .

(الأصل التاسع) : عدم الجمود على المعلومات المخترعه وضرورة سماع كل رأى والأخذ به إن كان حقاً (فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) .

(الأصل العاشر) : وجوب الحذر من الظنون والأوهام فانهما كانا السبب فى تضليل الناس وإفساد عقولهم فى جميع الأجيال (فما بعد الحق إلا الضلال) - وما يتبع أكثرهم إلا ظناً .

هذه هى أصول الحكمة الإسلامية ومنطلق المفهوم الإسلامى .

وهى تقوم على أساس : عدم الخوض فى الظنيات حتى فيما يتعلق بفهم القرآن .

وقد أشار القرآن إلى نوعين من الآيات : محكم ومتشابه .

(١) المحكم وهو الذى يشمل الحلال والحرام وأصول الشريعة والأخلاق .

(٢) المتشابه : وهى أمور تعلو متناول العقل البشرى ولو عولجت به اختلفت عليها الآراء .

وقد فرض على الآخذ به النظر فى الأولى والعمل به وحرم عليهم الجدل فى الثانية ومحاولة تأويلها .

ويرى العلامة فريد وجدى أن خلاصة القول : أن الحكم القرآنية تأبى قبول أى فلسفة تستند على مجرد الظنون فهى تشترط للأخذ بها أن تكون قائمة على علم (نبئونى بعلم إن كنتم صادقين) ، (بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم) .

الفصل الحادي عشر

بين الإسلام والهلينية (بين التوحيد والوثنية)

كان اليونان شأنهم شأن الامم الأخرى التي سيطر عليها الفكر البشرى وقامت فيها حضارات ضخمة ثم سقطت ، يعتقدون بوجود آلهة متعددة ، وكانوا يفسرون الظواهر الطبيعية بأنها من فعل الآلهة . وكانوا يصلون بالفرد الى مقام البطولة ثم الى مقام العبادة .

وقد تعددت العبادات فى الوثنية بين الأحجار والحيوانات والناس والكواكب ، ومن أخطر ماتمثله الهلينية عبادة الفرد وتأليه الانسان ، واقامة ذلك المجتمع العبودى الذى يقسم الناس الى سادة يعبدون وعبيد أذلاء ، ومن هنا فان الاسلام حين أعلن التوحيد انما أعلن كرامة الانسان وارتفاعه عن الخضوع للإنسان فالتوحيد تأكيد لمعبود واحد هو الحق تبارك وتعالى الذى لا يعبد أحد سواه : وبذلك أبطل الإسلام سلطان الوسطاء وأسقط نظرية تحول الإنسان إلى إله ، وفصل بين البشرية والألوهية من ناحية وبين الألوهية والكون من ناحية أخرى وأعطى العقل مكانه الصحيح ووظيفته المحدودة بعد أن دفعته الهلينية إلى السلطان إلى حد التقديس والاستعلاء على كل مناهج المعرفة ، فقد أقر الإسلام منهجاً متكاملا فيه القلب والعقل وعبرة التاريخ ونقـــل البشرية من مفهوم الهلينية القائم على المنطق والاستنباط إلى منهج جديد يقوم على الاستقراء والتجريب ويختلف اختلافاً بيناً عن منهج أرسطو .

ولقد ترجم المسلمون منهج أرسطو ولكنهم سرعان ما تخلو عنه لأنه إنما كان يستمد مقوماته من حضارة اليونان القائمة على المفهوم العبودى وعلى إقامة مجتمع السادة فى القمة ومجتمع العبيد فى السفح .

وهو ما حطمه الإسلام ودمره ، وأقام بديلا عنه مفهوم الإخاء البشرى ومن هنا فقد كانت فلسفة اليونان ومنطق أرسطو مختلفة تمام الاختلاف بل متعارضة تمام التعارض مع منهج الإسلام من كل النواحى .

وأبرز هذه النواحى التى تكشف عن التباين الواضح بين الإسلام والهلينية هو التوحيد الذى حرر العقل البشرى من الوثنية ومن عبادة عدد من آلهة متعددة ومن عبادة الفرد ومن تقديس الأبطال ومن الطواف حول بيوت النيران .

وهكذا كشف الإسلام عن هويته الحقيقية : وهى أنه يرمى إلى تحرر العقل من كل سلطان إلا سلطان الله ، ولذلك فقد واجه أخطر ما دعت إليه الفلسفة اليونانية وقامت عليه وهو تأليه العقل وتقديسه فأعلن أن العقل واسطة لا غاية وهو آلة تنكسر على مايتعدى ميدانها ولا يستطيع أن تتحدى مايقوله الله . وأن العقل ليس أداة كاملة ولكنه نور مصباح يكشف فى الظلمات ولكنه ينكشف أمام نور الله[1] فالعقل لا يستطع أن يكشف سر الخلق والكون وأن يضع مبادىء المعرفة بل الله يفعل ذلك .

ومن هنا أخذ الفكر الإسلامى بمبدأ (التوحيد) واعتبره نقطة الالتقاء الاقتران إزاء كل معطيات الفكر البشرى . ولذلك رفض رأى أرسطو فى الله وهو رأى ناقص وقاصر ورفض مبدأ الجمع والاتحاد ورفض مبدأ الحلول والتناسخ وحرر الفكر البشرى من كل نظرية تصور الحق تبارك وتعالى بغير صورته الحقيقية . وأعلن التحرر من عبودية غير الله . وأقر وجود حقيقة واحدة هى من خلق واحد أحد .

(١) يوسف العش : فى تحية روح الحضارة الاسلامية .

وهكذا ولد التصور الإسلامى الربانى ـ المعارض والمخالف للغنوصية الشرقية والهلينية اليونانية ـ فى مفهوم متكامل ، مخالف فى أصل تكوينه وفى خصائصه كل التصورات البشرية ومن هنا فقد قام على الحركة والثبات معاً ، والحركة قانون من قوانين الكون ولكنها ليست حركة مطلقة ولكنها حركة فى اطار ثابت وحول محور تدور فيه .

وبذلك كشف الإسلام عن خطأ أرسطو وأفلاطون فى تصور علاقة الخالق بالمخلوقات وقد جاء قياسهم قاصراً لأنه اعتمد على العقل فى مجال ليس من وظيفة العقل النظر فيه ، وطبيعة تكوين العقل انما ترتبط بوظيفة الإنسان فى الأرض ومن هنا يعجز هذا العقل اذا استخدم فى البحث عن مجال آخر أكبر منه . ومجاله ادراك قوانين المادة وتسخيرها ، أما ادراك سر الحياة والموت وحقيقة الألوهية وحقيقة الكون فقد جاء به الوحى وفصلته رسالات السماء بما يكفى حاجة الإنسان الروحية بما يتجه الى عمل العقل الحقيقى فى عمارة الأرض وكشف ذخائرها وأسرار علومها[1] .

وأبرز ما كشف عنه الإسلام فى مواجهة مناهج الفكر البشرى : هو التحرز من الأهواء فى حكمه على الأشياء وان الإنسان لم يحصل من العلم الا قليلا . وان العلم لا يحصل الا بالنظر فى الوجود والموجودات لا بالظنون والأهواء وباقامة البرهان وعدم متابعة الخيالات فيما ليس وراءه علم يسنده وتحريم تقليد الآباء فى العلم ووجوب الحذر من الأوهام .

---

(١) التصور الاسلامى .

الفصل الثانى عشر

كلمة الفصل فى الفلسفة اليونانية

١ — إن الفلسفة التى ترجمت لم تكن هى الفلسفة اليونانية .

٢ — لم تكن الفلسفة اليونانية المترجمة بل فلسفة الإسلام الحقة إنما هى أصول الفقه .

٣ — أن منهج الفكر الإسلامى كان قد تشكل قبل ترجمة الفلسفة اليونانية .

(١)

لقد ثبت زيف الرأى القائل بأن الفكر اليونانى هو الذى شكل الفكر الاسلامى وأن هناك حقائق عدة تدحض هذه النظرية التى طرحها التغريب والنفوذ الاستعمارى ليجعل منها مدخلا إلى خلق جو من تبعية الفكر الإسلامى للفكر اليونانى الذى يوصف بأنه أساس الفكر الأوربى الحديث ، فإذا وجدت هذه الشبهة قبولا أمكن أن يبنى عليها القول بأنه اذن لامانع من أن يتابع الفكر الإسلامى فى حاضره الفكر الأوربى والفلسفة الحديثة .

والحقائق العلمية التاريخية تؤكد أن مقومات الفكر الإسلامى قد صيغت وتشكلت قبل الاتصال بالفكر اليونانى أو الفكر الوافد على اطلاقه . وأن مناهج المعتزلة والصوفية ورجال الفقه وغيرهم قد تشكلت قبل ترجمة الإلهيات والفلسفة ، فقد بدأت الترجمة بالطب والرياضيات والطبيعيات ثم توقفت عندها

ثمة فقد كانت هذه هى الغاية التى قصدت إليها إرادة الفكر الإسلامى فى ترجمة الفكر اليونانى .

غير أن قوى مختلفة منها قوى الشعوبية والنفوذ الوثنى والفارسى القديم ودعاة الباطنية وغيرهم من أولياء المجوسية قد ضغطت ضغطاً شديداً فى أيام المأمون (وهى أخطر مراحل انتفاضة النفوذ الباطنى القديم [١]) واستطاعت توسيع نطاق الفلسفة إلى مجال الالهيات والأخلاق .

وفى هذه المرحلة بدأ الانحراف الذى لم يكتشف إلا بعد وقت طويل ، حين تبين أن النصوص الفلسفية التى ترجمت إلى اللغة العربية فى هذه المرحلة لم تكن هى النصوص الفلسفية اليونانية الأصيلة « وإنما كانت مزيجا من المفاهيم السريانية المسيحية فقد عمد رجال الترجمة من اليونانية والنساطرة إلى استغلال هذه المترجمات لنشر معتقداتهم النصرانية ، وقد أكد هذا المعنى غير واحد من الباحثين المعاصرين وفى مقدمتهم إسماعيل مظهر والدكتور النشار وعبد الرحمن مرحبا ، فقد أكد إسماعيل مظهر أن الثقافة التى نقلت إلى العرب لم تكن ثقافة أغريقية صحيحة بل كانت صورة من « النصرانية » تكونت بلون أغريقى عن طريق اليعاقبة والنساطرة الذين بشروا بمعتقداتهم النصرانية فى الشرق متخذين من الفلسفة اليونانية سبيلا إلى التبشير بآرائهم »

وقد ترتبت على ذلك أخطار كثيرة وأخطاء صعبة ، حملت من تصدوا لتفسير هذه النصوص إلى كثير من التلفيق فقد تبين أن كتباً ترجمت عزيت إلى أفلاطون وهى لغيره ، وقد أفسدت هذه الترجمات ما حاوله « الفارابى » فى التوفيق بين آراء أفلاطون فى هذه الكتب وفى غيرها وتبدو المشقة التى بذلها الفارابى فى هذا الصدد بينما لم تكن هذه النصوص لأفلاطون .

---

(١) راجع فصل انتفاضة النفوذ الباطنى القديم

ومن هنا تبين مدى الأخطار التى تعرض لها الفكر الإسلامى فى هذه المرحلة .

هذه الأخطار التى كانت تكون أشد وأقسى لو لم يكتمل للفكر الاسلامى مناهجه الأصيلة قبل الاتصال بالفلسفة اليونانية .

وقد أعان تشكل المنهج الاسلامى ـ بذاتيته واستقلاليته وطابعه الخاص القائم على التوحيد ـ على صدق المواجهة لما طرحته الفلسفة اليونانية ، فأعطت قوة كبرى للمقاومة . وحالت دون انصهار الفكر الاسلامى فى الفلسفة اليونانية على النحو الذى وقع بالنسبة للفكر اليهودى والفكر المسيحى من قبل .

كان الفكر الاسلامى قد شكل منهجه المستمد من القرآن وأقامه فى مختلف جوانب الفقه والأصول وتحقيق الحديث ، منهجاً قرآنياً توحيدياً له ذاتيته الواضحة وإصالته الخاصة ، ومن ثم فقد كان له موقفه الاستقلالى من حركة الترجمة وماقام بعدها مما أطلق عليه حركة الفلسفة الاسلامية التى قادها الفارابى وابن سينا والكندى .

وقد عدت هذه المدرسة حلقة من حلقات الفلسفة اليونانية واعتبرها الكثيرون من الباحثين امتداداً أغريقياً لاصلة له بالفكر الاسلامى ، وعدها آخرون محاولة سمحة للتوفيق بين الفكر الاسلامى والفلسفة اليونانية وادخال الفكر اليونانى الأغريقى فى اطار من التوحيد الاسلامى .

والواقع أن « الاسلام » الذى تم بناؤه قبل اختيار الرسول محمد صلى الله عليه وسلم للرفيق الأعلى ، كان قد وضع للمسلمين مختلف الإجابات الصريحة والواضحة ازاء كل المسائل التى تخصصت الفلسفة فى النظر اليها أو محاولة بحثها وخاصة فيما يتعلق بعالم الغيب أو ماوراء المادة الذى أطلق عليه « الميتافيزيقا »

فقد رسم الإسلام صورة كاملة لهذا العالم (ولم يترك للعقل مجالا للإجتهاد فيها وحدد معالمها تحديداً كاملا ونهى أشد النهى عن تجاوز تلك المعالم) .

كما نسق منهجا متكاملا عن حقائق الله والوجود والموت والبعث والجزاء ، لم يكن المسلمون مع وضوحه وصدقه فى حاجة إلى تفسيرات أخرى تأتيهم من خارج عقيدتهم .

* * *

ويرجع الدكتور سامى النشار موقف الاسلام فى تقديم منهج كامل للغيبيات ومابعد الطبيعة دون ماحاجة إلى إصطناع المسلمين للبحث الفلسفى إلى عدة أسباب منها : (قصور العقل الإنسانى عن التوصل إلى الشىء ذاته وإلى الكنه (الماهية) فقد حدد القرآن مسائل مابعد الطبيعة تحديداً خاصاً ، وطلب عدم الجرى فيما خلفها ، وتوجيه البحث فى الكون وآفاقه دون البحث فى الجوهر الذى لا نصل إلى حقيقته بمعنى البحث عن الخصائص دون البحث عن الماهية ومنهـــا أن الميتافيزيقيا هى من نتاج الذات والاسلام ينكر العقل الخاص انكاراً باتاً . ذلك أنه دين اجتماعى لا يوافق على تصوير الكون صوراً خاصة ذاتية مخالفة لما وصفه فى صورة عميقة .

ومن هنا فقد ألهم (القرآن) المسلمين ميتافيزيقاهم ولم يرد شيئاً وراءها ، وحدد لهم دائرة البحث الكلامى فوصلوا فى ضوئه إلى أدق المعانى الفلسفية ، ثم أن الاسلام أيضاً وضع من أوضاع الحياة العملية أسسها فدعا المسلمين إلى العلم والتجريب .

وقد حررت هذه المفاهيم الواضحة المسلمين من عوامل الزيغ والشك والاضطراب النفسى وأسلمتهم إلى انشاء عدد من المناهج العلمية منها علم أصول الفقه ومنهج المعرفة الاسلامى وانتهت بهم إلى إنشاء المنهج العلمى التجريبى .

وقد كشف هذا المعنى بوضوح — فى مواجهة الشبهات المثارة حول تبعية الفكر الاسلامى للفلسفة اليونانية ـ الشيخ مصطفى عبد الرازق على رأس مدرسة مازال تتابع عملها فى صدق وقوة حين قال :

إن للفلسفة الاسلامية كياناً ممتازاً عن الفلسفة اليونانية ، والفلسفة الاسلامية لايمكن أن يقال أنها مجهود العلماء الاسلاميين فى دائرة الفكر اليونانى (يقصد الكندى والفارابى وابن سينا) بل هى هيكل خاص له مميزاته وخصائصه ، ومهما يكن من أثر الفلسفة اليونانية وغير الفلسفية اليونانية فان له حظا عظيما من الشخصية والابتكار »[١].

ويصل الباحث من هذا إلى القول بأن الفلسفة الاسلامية تتمثل فى علم أصول الفقه الذى أنشأه الامام الشافعى ، ويصور الدكتور سامى النشار علم أصول الفقه بأنه إدراك القوانين التى توصل إلى استنباط الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية ، أو هو نفس القواعد الموصلة بذاتها الى استنباط الأحكام ، وبمعنى أدق هو منهج الفقه أومنطقه مقابلا فى ذلك لمنهج الفيلسوف ومنطقه .

وإن هذا المنهج قد وضع قواعده الصحابة حين تكلموا فى نقد الأخبار وفى القياس ، وأضاف اليه التابعون بعد ذلك عناصر متعددة ثم وضعه الامام الشافعى وتلاميذه فى صورة كاملة ، ثم تناوله المعتزلة والأشاعرة بعد ذلك بالتعديل حتى أقاموه «علماً كاملا » فى صورة بارعة ،

---

(١) مصطفى عبد الرازق (ك) تمهيد للفلسفة الاسلامية



الباب الرابع

الفلسفة الغنوصية

١ — أصول الفلسفة الغنوصية

٢ — أثر الغنوصية فى العقيدة والشريعة

(١) الباطنية

(٢) اخوان الصفا

(٣) القرامطة

٣ — أثر الغنوصية فى التصوف

(١) وحدة الوجود

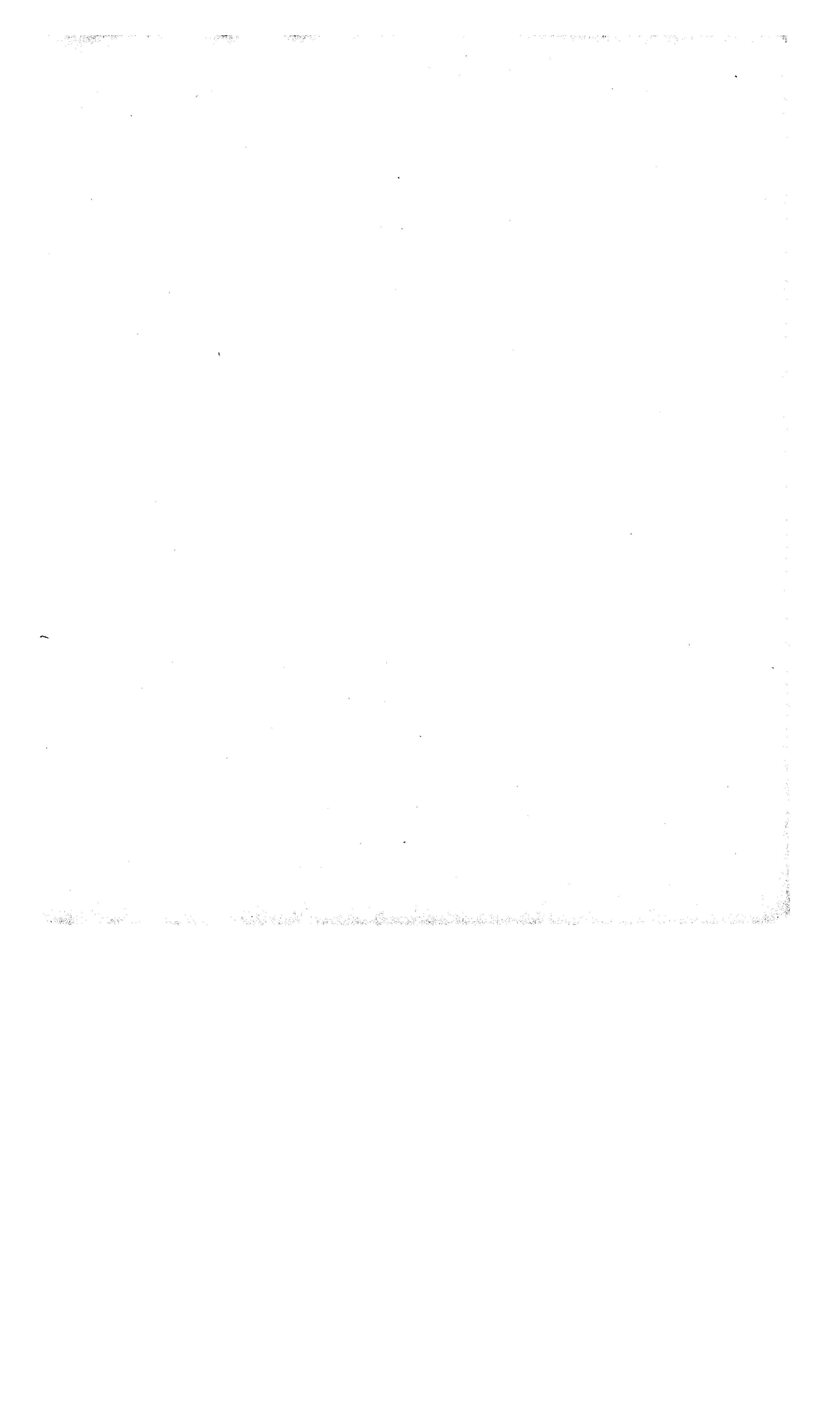
(٢) الاتحاد

(٣) الحلول

(٤) الاشراق

٤ — مواجهة الفلسفة الغنوصية

٥ — حركة الانتقاض والمؤامرة على الإسلام



الفصل الأول

أصول الفلسفة الغنوصية

سبقت الإسلام حصيلة متضاربة من الفكر البشرى يمكن حصرها فى ثلاث روافد .

أولا : الهلينية اليونانية الوثنية .

ثانياً : الغنوصية الشرقية الثنائية .

ثالثاً : الدين البشرى .

والغنوصية مصطلح للفلسفة الشرقية التى تقوم على أساس الكشف والتذوق ولا تستند على الإستدلال أوالبرهنة العقلية . وذلك فى مقابل الفلسفة اليونانية القائمة على البرهان والمنطق .

وقد تنازع هذان المفهومان العالم قبل الاسلام بالإضافة إلى الدين البشرى المنحرف عن أديان السماء .

وتقوم الهلينية على فهم بشرى يشكل فطرية معارضة كل المعارضة لمفاهيم الإسلام والأديان المنزلة القائمة على أساس التوحيد الخالص المستمد من الفطرة .

وقد تلاحمت فى الغنوصية عشرات من المذاهب والعقائد وصيغت منها دعوات كثيرة وأديان بشرية (المجوسية والمانوية والزرادشتية والديصانية والمزدكية والمندائية والمرقونية) .

وتقوم الغنوصية فى مجموعها على ركائز أربعة :

(أولا) عبادة اثنين أحدهما النور والآخر الظلمة وإقامة الوجود على أصلين : أو إلهين : اله خير وإله شر .

(ثانيا) عبادة النار وتقديسها .

(ثالثاً) إستباحة المحرمات والدعوة إلى شيوعية النساء والأموال ، وإباحة نكاح الأخوات والبنات والإغتسال بالبول .

(رابعاً) رفض الذبائح ورفض إراقة الدماء والزهد فى أهل اللحوم وحتى الماء الطهور .

(خامسا) خلط الخالق بالمخلوقات فى مفهوم وحدة الوجود أو الحلول .

وقد نشأت بعد الاسلام من خلال مفاهيم «الغنوصية» : فلسفات أبرزها « الدعوة الباطنية » التى تشكلت فى دعوات القرامطة والحشاشين وبعض الفرق الغالية من الشيعة وبعض دعاة التصوف الفلسفى وكلها حاولت أن تخضع الإسلام لمفاهيم الفكر البشرى أو تخرج الإسلام من مفاهيم التوحيد ومنهجه الربانى الفطرى الأصيل .

وإذا كانت الغنوصية قد أثرت على الديانتين السماويتين اليهودية والمسيحية فان محاولاتهما للتأثير على الإسلام قد ووجهت منذ اليوم الأول مواجهة صحيحة حالت دون سيطرة مفهوم الغنوصية الذى يتعارض تعارضا كاملا مع الاسلام من حيث مخالفته للاسلام عقيدة وعملا .

ولقد استطاع مفهوم أهل السنة والجماعة أن يعارض الغنوصية ويطاردها

مطاردة صحيحة على مختلف المستويات العلمية والاجتماعية كما طارد الهلينية من حيث أنهما يتعارضان تعارضاً كلياً مع مفهـــوم الإسلام القائم على التوحيد ولا ريب كان وراء محاولات طرح الغنوصية فى أفق الاسلام مؤامرة شعوبية كبرى ، خاصة اذا تبين أن الغنوصية ذات جذور يونانية فى فلسفة أفلاطون ثم نمت بعد ذلك فى مفهوم الافلاطونية الحديثة .

ويمكن القول أن فلسفة فارس القديمة كلها ممثلة فى زرادشت ومانى قد حملت مع ثنائية الآلهة عبادة النار مع استباحة المحرمات والدعوة إلى شيوعية النساء كما حملت فلسفة الهند مفهوم وحدة الوجود والحلول والاتحاد .

هذه المفاهيم كلها التى كانت قبل الاسلام مختلفة متعددة على تفاوت وإضطراب قد تجمعت من جديد بعد الاسلام لتشكل قوى معارضة تنتقض على الاسلام ودولته ومجتمعه وتعمل من وراء هدف واضح صريح للقضاء على الاسلام بضربة من الداخل ، فقد دخل فى الاسلام هؤلاء الدعاة إلى هذه المذاهب وحاولوا أن يصيغوا فكرهم من داخل قشرة إسلامية حتى يتمكنوا من إغراء ذوى الفهم المحدود به وخاصة فى تلك الجولة الضخمة التى عرفت باسم « الباطنية » والتى ادعت أن للشريعة ظاهرا وباطنا وعمدت إلى إنكار المفاهيم القرآنية الأصيلة التى تقوم على عقيدة الاسلام ومناهجه وتفسر هذه المصطلحات حسب الأغراض وكان الهدف الأغلب من هذا هو ما صرحوا به حين قالوا [إن الشريعة قد دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة] .

والدعوة الباطنية مؤسسة على مفاهيم الغنوصية التى لها تقارب واضح وأصل متصل باللاهوت اليونانى والطبيعيات الاغريقية وقد استخدموا مصطلحات الفلسفة اليونانية وأفكارها وعقائدها فى أدبهم .

قد ارتبطت هذه الفروع بالترجمة التى طرحت فى المجتمع الاسلامى للفلسفة

اليونانية والتى بدأت أساساً بترجمة الطب والعلوم الطبيعية والكيميائية ثم جنحت إلى ترجمة علـــم الأصنام عند اليونان وهو ما يطلق عليه فلسفة الالهيات والميتافيزيقا .

ومن هنا يمكن القول أن الحصيلة السابقة للإسلام كلها من هلينية وغنوصية ودين بشرى انما تلتقى جميعاً فى مفاهيم متقاربة خروجاً عن التوحيد بين الثنائية والتثليث وخروجا عن الشريعة الاسلامية فى الاباحية والخروج عن أصول الاسلام بالزهد فى اللحوم ومس الماء الطهور وبخلط الخالق بالمخلوق أو استلهام الوجدان كأسلوب واحد للمعرفة تحت اسم الاشراق وكل ذلك يعارض الاسلام فى مفاهيمه معارضة شاملة .

وقد كانت هذه الدعوات قائمة قبل الاسلام ثم جددت نفسها بعد الاسلام بدافع من الحملة التى قادها الشعوبيون وأهل المجوسية القدامى والمتآمرين على تقويض الاسلام من الداخل والعاجزين عن مهاجمة الاسلام مهاجمة صريحة مكشوفة .

وقد بدا ذلك فى صور متعددة ودعوات كثيرة منها :

(أولا) ماذهب إليه أبن عربى والحلاج وغيرهم من رجال التصوف الفلسفى فى القول بوحدة الوجـــود والحلول والاتحاد وهو فكر وافد من الفلسفات الهندية القديمة .

(ثانياً) ما ظهر من دعوات القرامطة والزنج والحشاشين والمزدكية المتجددة والمانوية والمندائية ، والديصانية والمرقوبية .

(ثالثاً) ما ظهر من مفكرين وشعراء من أمثال عبدالله بن المقفع وصالح بن عبد القدوس وعبد الكريم بن أبى العوجاء وبشار بن برد وحماد عجرد وأبو العتاهية .

(رابعاً) ما ظهر فى العصور الأخيرة فى إيران والهند من دعوات إلى البابية والبهائية والقديانية .

ويمكن القول بأن هذا الخطر بدا واضحاً صريحاً فى المفاهيم التى طرحها اليهودى عبد الله بن سبأ وكانت مصدراً للفتنة الكبرى بين المسلمين والخلاف الذى أدى إلى مقتل الخليفتين : عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب وظهور الفرق وخاصة الفرق الغالية من دعاة التأليه وعبادة الملوك والحق الإلهى الموروث وغير ذلك من دعوات ظهرت باهرة فى منتصف القرن الهجرى الأول ثم ظلت تسرى كالنهار فى الهشيم حتى اختلطت من بعد بالمفاهيم الاسلامية الصحيحة وحاولت أن تشكل فرقاً سياسية متعددة .

ثم كان عبد الله بن المقفع المجوسى الأصـــل من أخطر من دعا إلى هذه المفاهيم وأدخلها فى اللغة العربية والاسلامية بالترجمة من الفارسية وهى خطة أخرى مساوية لخطة ترجمة الالهيات من اليونانية .

وقد مضى ابن المقفع بعد أن أسلم ظاهراً لا يكف عن مفاهيمه المجوسية وعبادته المجوسية أيضا وقد خلط الزرادشتية بالمانوية والمزدكية وقام على ترجمة كتاب مزدك الذى يعد أساسا لدعوته والمعروف باسم (ديستا) كما كتب « الدرة اليتيمة » فى معارضة القرآن وكتب فصلا أضافه إلى ترجمته لكتاب كليلة ودمنة هو باب برزويه وهو أخطر ما كتب عن نقد الأديان والقول بتعارضها وعدم التوصل إلى اليقين منها ثم الدعوة إلى « العقل » والعقل وحده كأعظم وسيلة للمعرفة وأفضلها وهو فى هذا يجمع بين الغنوصية والهلينية معاً .

وقد تنبه (البيرونى) منذ وقت باكر فى كتابه [تحقيق ما للهند من مقولة] إلى هدف ابن المقفع فى نشر الإلحاد والتحلل من الإسلام وأنه قصد بذلك إلى

تشكيك ضيقى العقائد فى الدين وكسرهم للدعوة إلى مذهب المانوية[١] .

ومن خلال دعوة ابن المقفع تشكلت تلك المجموعة إلى أولاها اهتماما كبيراً الدكتور طه حسين وأرخ لها وعدها علامة على المجتمع الإسلامى وأن فكرها إنما يعنى أن عصرها كان عصر فسق ومجون وشك : وهم حماد عجرد وبشار بن برد وصالح بن عبد القدوس وعبد الكريم ابن أبى العـــوجاء وأبو العتاهية :

وهناك وقائع ثانية تؤكد أن هذه المجموعة كانت تحاول تزييف الإسلام وتلقى اليه مفاهيم منحرفة وليس أدل على ذلك مما رواه البيرونى فى كتابه الآثار الباقية عن عبد الكريم بن أبى العوجاء الذى أعلن عند ماقتله محمد بن سلمان والى الكوفة عما أحدثه من زيف واضطراب حين قال :

أما والله لئن قتلتمونى لقد وضعت أربعة آلاف حديث أحرم فيها الحلال، وأحل فيها الحرام وقد فطرتكم فى يوم صومكم وصومتكم فى يوم فطركم ، وما ذكره أبو نواس عن حمـــاد عجرد حين قال :كنت أتوهم حماد عجرد انما رمى بالزندقة لمجونه فى شعره حتى حبست فى حبس الزنادقة معه ، فاذا (عجرد) أمام من أئمتهم وان له شعر مزاوح بيتين بيتين يقرأون به فى صلواتهم .

وقد أشار الى عقيدة هذه الجماعة الخليفة المهدى فى رسالته لابن موسى الهادى كما أوردها الطبرى فى أحداث عام ١٧٩ هجرية حين قال :

انهم يدعون الناس الى ظاهر حسن كاجتناب الفواحش والزهد فى الدنيا والعمل للآخرة ثم يخرجونهم بعد ذلك الى تحريم اللحوم ومس الماء الطهور

---

(١) دكتور النشار : نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام

ثم يخرجونهم بعد ذلك الى عبادة اثنين : أحدهما النور والآخر الظلمة ثم يبيحون لهم بعد ذلك نكاح الأخوات والبنات والاغتسال بالبول وسرقة الأطفال من الطرق لينقذوهم من ظلال الظلمة الى هداية النور .

وقد ظهرت هذه المفاهيم المجوسية فى شعر بشار بن برد وأبو العتاهية ويحى ابن زيادة ومطيع بن اياس وذلك بعد أن انتشرت كتب مانى وابن رمضان ومرقيون بما نقله ابن المقفع وغيره وترجمت من الفارسية والفهلوية الى العربية . وما أضيف اليه من آراء المزدكية والمندائية والخرمية وغيرها من فرق يجمعها كلها جامع واحد هو الغنوصية وقد قامت الصلة بين المزدكية والقرامطة فأخذ القرامطة شيوعية الأموال التى دعا اليها مزدك .

ولقد واجه المسلمون هذه الدعوة وأولوها اهتماما كبيرا وصححوا مفاهيمها وكشفوا عن دخائلها التى تسربت الى التفسير والحديث :

وقاوم العلماء الغنوصيات والأفلوطينيات سواء فى مختلف فروع العلوم وقاوم المتكلمون الأوائل الطوائف الغنوصية مقاومة عنيفة .

وأقام الفقهاء بابا فى الفقه يحدد العلاقة بين المسلمين وهذه الفرق ويحرمون نكاح نسائهم وأكل ذبائحهم .

الفصل الثاني

أثر الغنوصية فى العقيدة والشريعة

أولا : الباطنية

تقوم مفاهيم الباطنية على الرفض والتعطيل وإبطال النبوة والعبادات وإنكار البعث والقول بأن للقرآن والأحاديث بواطن تجرى مع الظواهر مجرى اللب من القشر .

وقالوا : إن اللغة والأدب علوم لاتراد لنفسها بل لغيرها .

وقد قامت دعوتهم على أساس تأويل آيات القرآن وقالوا : إن الشرائع تلزم العامة دون الخاصة ودعو الخاصة إلى رفع الفرائض وأباحوا لهم المحظورات وبلغ من أمرهم أنهم أولوا الصلوات الخمس وصيام رمضان والحج .

وقد احتضنت الباطنية آراء مزدك فى شيوعية النساء الأموال والنساء وقالت الباطنية بعظمة الإمام وإنكار الميعاد والإباحة المنطلقة واستباحة المحظورات .

قامت آراء الباطنية على أساس الفلسفة اليونانية وتعاليم مزدك وزرادشت ومانى واتخذت من حب آل البيت ستاراً لها ومن الصوفية والشعوذة والتقشف

وسيلة لها واستهدفت من وراء ذلك كله استعادة دولة الأكاسرة[١] .

وعمدت إلى الهدم عن طريق تحطيم عقيدة الاسلام وإثارة الشكوك فيها .

وقد ساعدهم على نشر هذه الآراء جماعات من العلماء كاخوان الصفا وعدد من الشعراء الماجنين ومن الشخصيات المنحرفة التى حملت لواء ذلك بالتأليف والكتابة ومنها ابن المقفع والحلاج وحيدر بن كاوس .

(٢)

حاولت الفلسفة الباطنية تحريف معانى الكلمات الإسلامية العقائدية والشرعية : كلمات النبوة والرسالة والملائكة والمعاد والجنة والنار والشريعة والفرض والواجب والحلال والحرام والصلاة والصوم والزكاة والحج .

هذه الكلمات عمدت الفلسفة الباطنية إلى تغيير مفاهيمها الإسلامية الأصيلة، كانت هذه المحاولة تجعل لكل كلمة ظاهر وباطن ، أما الظاهر فهو ما قررته الشريعة الإسلامية والباطن هو ما أقامته الفلسفة الباطنية قال:[٢] « إن لظواهر القرآن والأحاديث بواطن تجرى من الظواهر مجرى اللب من القشر وإنها بصورتها توهم الجهال صوراً جلية وهى عند العقلاء رموز وإشارات إلى حقائق خفية وأن من تقاعد عقله عن الغوص فى الخفايا والأسرار والبواطن والأغوار وقنع بظواهرها كانت تحت الأغلال التى هى تكليفات الشرع ، ومن ارتقى إلى علم الباطن سقط عنه التكليف واستراح من أعبائه وقالوا : وهم المرادون بقوله تعالى :

---

(١) أشار الدكتور زاهد على فى كتابه ديانتنا الاسلامية ونظامها بما نقله عنه أبو الحسن الندوى : قوله : لقد اعتقدنا أن جميع النظريات التى جاءت فى علم الهيئة القديمة وفى علم الطبيعيات وعلم الالهيات صحيحة لا يتطرق إليها الشك فاستعنا بها فى اثبات دعوتنا .

(٢) تلبيس ابليس لابن الجوزى .

« ويضع عليهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم » .

يقول الدكتور زاهد على : لقد كان الأئمة والدعاة يفهمون تلاميذهم من الطبقة العليا أن الظاهر متناقض ومعوج : إنه علم كثيف وإنه تقليد محض لا دليل عليه وأهل الظاهر هم أهل الكفر وأهل الشرك ويقول أن لب تعليماتنا الاسماعيلية ولبابها : إن الغاية من الشريعة التأويل الذى هو من الجسد كالروح وأن التنزيل ليس جسما » .

ولقد كشفت كثير من الأبحاث عن اتجاه هذه الفلسفة التى حاولت إخراج المسلمين من مفاهيم الإسلام عن طريق انشاء مفهوم آخر للكلمات الواضحة التى قام عليها الاسلام أساساً استمداداً من القرآن والسنة الصحيحة .

يقول السيد أبو الحسن الندوى[1] : أدرك الباطنية الصلة القائمة بين الكلمات والمصطلحات الدينية ومعانيها أساساً تقوم عليها الحياة الإسلامية والهيكل الفكرى والعلمى فى حياة المسلمين ، هذه الصلة تدين الوحدة الدينية والفكرية التى يمتاز بها المسلمون بماضيهم ومنابعهم الصافية فاذا انقطعت هذه الصلة بين الكلمات والمعانى وأصبحت الكلمات لا تدل على معنى خاص ومفهوم معين أو تسرب الشك إليها أصبحت هذه الأمة فريسة كل دعوة وفلسفة وساغ لكل أحد أن يقول ما يشاء » .

فمثلا كلمة الصلاة : إذا أطلق لفظها انتقل الذهن إلى هيئة عبادة خاصة فيها قيام وركوع وسجود وقراءة وتسليم فاذاهم يضيفون للعبادة معنى آخر هو قولهم: الصلاة : هى الدعاء إلى الإمام .

أما الزكاة فهى عندهم بث العلوم لمن يتزكى لها ويسمعها ، أما الصوم فهو

---

١) ك : رجال الدعوة والفكر — أبو الحسن الندوى .

كتمان العلم عن أهل الظاهر أما الحج فهو طلب العلم الذى تشد رحائل العقل اليه وهكذا تهدم فى مفاهيمهم أصول الاسلام الحقيقية .

وهكذا يذهبون الى تزييف معانى الكلمات المختلفة وقد أسرفوا فى ذلك حتى قالوا أن معنى (لا اله الا الله) هو (لا إمام إلا إمام الزمان) :

* * *

ولم يقف أمرهم عند الحد بل أنهم أخذوا يعلنون استخفافهم بالظاهر ووصفوه بالتناقض والعوج ، وانه قائم على التقليد ، ولا دليل عليه بل بلغ بهم الأمر أن قالوا أن أهل الظاهر هم أهل الكفر والشرك .

وقد وصف الباحثون الفلسفة الباطنية بأنها ثورة على النبوة المحمدية[1] وأن هدفهم الصحيح هو تدمير دولة الاسلام وإقامة دولة المجوس .

لقد قامت الفلسفة الباطنية أساساً على الالحاد فى العقيدة والاباحية الأخلاقية ومن خلال الفلسفة الباطنية قامت دعوات عديدة ، ولم تزل، كلها تعتمد الفلسفة اليونانية والفلسفة الغنوصية معا أساساً لها : وخاصة الأفلاطونية المحدثة .وجرت كلها على التأويل الفلسفى والاستناد على مفاهيم أفلاطون من ناحية والحق الالهى فى المجوسية الفارسية من ناحية أخرى ، وتخالف فى ذلك مفهوم الاسلام مخالفة تامة وتعارضه فى أدق مفاهيمه .

فليس فى الاسلام وسيط بين الله والعباد ، ولا انسان له صفة العصمة الا الرسول محمد صلى الله عليه وسلم المؤيد بالوحى والذى وصفه ربه بأنه بشر ورسول .

فليس لعلم الله وريث خاص ، ولم يوص الرسول الى أحد بالامامة من بعده

---

(١) نفس المرجع .

وليس هناك قانون ملزم للمسلمين غير الشريعة الاسلامية التى جاء بها القرآن والتى اكتملت قبل أن يختار الرسول الرفيق الأعلى .

ولقد فصل الاسلام تماماً بين الألوهية والبشرية والنبوة فلا يمكن أن يرقى الانسان الى مرتبة الألوهية[1] كما تقول بعض العقائد والفلسفات ، وكذلك نظريات (القطب) فليس من حق زعيم أى طائفة أن يدعو قومه الى عبادته بينما هو فى الأغلب عبد لدولة أجنبية .

ثانيا إخوان الصفا

لم تلبث حصيلة الفكر البشرى المعارض للشريعة الإسلامية والتوحيد أن تبلورت فى مذهب ومنهج هو رسائل اخوان الصفا .

وتعد جماعة إخوان الصفا من أخطر الجمعيات السرية التى ظهرت فى منتصف القرن الرابع الهجرى فى البصرة كمنطلق للفكر الشرقى القديم الذى حاول أن يتحرك من جديد فى خلال الفكر الإسلامى والمجتمع الإسلامى لبث هذه الآراء وتحويلها إلى حركة تمثلت فى القرامطة من بعد .

وإن أكبر الريب والشكوك التى تتصل بهذه الجماعة السرية إنما يتمثل فى إخفاء أصحابها أسمائهم فى أشد عصور حرية الرأى والفكر وإنطلاق دعوات الإلحاد والإباحة على ألسنة بشار وأبو نواس وغيرهم .

فقد عرف أن خمسة[2] من المجوسية القديمة ومن أتباع مانى ومزدك ممن أعلنوا الإسلام تقية هم الذين كتبوا هذه الرسائل وفرضوا فيها منهجاً زائفاً

( ) محمد على أبو ريان ، الثقافة سنة ١٩٥٢ .

(٢) هؤلاء الخمسة هم أبو سليمان محمد بن معشر البستى، المعروف بالمقدسى ، وأبو الحسن علما بن هارون الزنجانى وأبو أحمد المرجانى وأبو حسن العوفى وزيد بن رفاعة .

يحمل الدعوة لقلب المجتمع الإسلامى وضرب الإسلام من الداخل وجعلوا قوامه خلط الشريعة الاسلامية بالفلسفة اليونانية والغنوصية وقوامه الفلسفة الباطنية .

يصفهم أبو حيان التوحيدى فى كتابه الامتاع والمؤانسة فيقول :

« كانت هذه العصابة قد تألفت بالعشرة وتصافت بالصداقة فوضعوا مذهباً زعموا فيه أنهم قربوا به الطريق إلى الفوز برضوان الله وذلك أنهم قالوا : ان الشريعة قد دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية وزعموا أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال ووضعوا خمسين رسالة (٥١ رسالة) فى جميع أجزاء الفلسفة وعلميها وعمليها وأفردوا لها فهرساً وسموها رسائل إخوان الصفا وكتموا فيها أسماءهم وبثوها فى الوارقيين ووهبوها للناس وحشوا هذه الرسائل بالكلمات الدينية والأمثال الشرعية والحروف المحتملة والطرق الموهمة » .

وقال أبو حيان : إن هذه الرسائل مبثوثة من كل فن بلا إشباع ولا كفاية ينكرون فيها البعث بالأجساد (ج ٣ ص ٧٨ و ج ٤ ص ٤٠) ويفسرون الجنة والنار خلافا لما تواتر عن المسلمين وفهمهم من النصوص الدينية القطيعة وينكرون الشياطين على الصورة التى يفهمها معظم المسلمين ويقولون : هى النفوس الشريرة الهائمة فيما دون فلك القمر مع اخوانها من النفوس التى جهلت ذواتها فى الحياة الدنيا ويفسرون الكفر والعذاب تفسيراً باطنياً فلسفياً وتشمل على كثير من الآراء الخيالية بعضها متلقف من اليونان وبعضها وليد الأذهان وبعضها تراث الكهان كالأسرار والاعداد والتنجيم والفال والزجر والسحر والعزائم والايمان بطوالع النجوم وتأثيرها وموسيقى الأفلاك ونغماتها وألحانها

وتشتمل كذلك على عقيدة الوحى والامام المستور والتقية ومنها اعداد النفوس والعقول لدولة جديدة ، تقوم على إمامة أهل البيت وإخطاراً بإنتهاء الدولة العباسية وزوالها .

وبالاختصار فهى مجموعة غريبة من الحكمة والديانة والشعوذة والكهانة والسياسة ، تقوم على أساس الفلسفة اليونانية الطبيعية والالهية ونظرياتها وأوهامها وتنهار بانهيارها وليست لها أهمية كبيرة لولا الاضطراب الفكرى الذى كان يسود العالم فى القرن الرابع والخامس واحلال كل ما يظهر من الصنعة الفلسفية لما نالت هذا الاهتمام[١] » ا . هـ

ومعنى هذا أن هذه الرسائل قد حاولت أن تشكل من الفكر البشرى المتعارض ، المتداخل بين الفلسفة اليونانية بماديتها ووثنيتها والفكر الغنوصى باسرافه فى الخيال وأهواء الاشراق والاثنينية وغيرها فقد جمعت هذه الدعوة على مزيج من الأفلاطونية المحدثة والفيثاغورية الجديدة ، وبين إلهيات اليونان وباطنيات المجوس .

وقد جاءت هذه الحصيلة القديمة السابقة للإسلام لتتشكل من جديد فى اطار الظاهر من الاسلام لترسم منهجاً يخرج الاسلام عن أبرز مقوماته وهى التوحيد والنبوة والأخلاق والايمان بالبعث والجزاء .

وقد جاءت لتمثل ذروة ماوصلت اليه محاولة انبعاث الفكر البشرى مرة أخرى بعد الاسلام فى صورة جامعة بين الهلينية والغنوصية ظلت تغذى كل الدعوات الهدامة والفرقة الضالة :

---

(١) ك الامتاع والمؤانسة .

وقد أشار المستشرق دى بور الى ذلك حين قال : ان آراء اخوان الصفا ظهرت فى جملتها من جديد عند فرق كثيرة فى العالم الاسلامى كالباطنية والاسماعيلية والحشاشين والدروز والقرامطة بالبحرين والدواعى بطبرستان والديلم والأطروش .

ولا ريب أن هذه الحركة الفكرية لانبعاث الفكر البشرى القديم من جديد وانفجاره على هذا النحو انما يرجع أساساً الى الخطر الذى بدأ بترجم الالهيات اليونانية وما جرى من محاولات اتباع الفلسفة اليونانية (ابن سينا والفارابى) الى محاولة التوفيق بينها وبين الشريعة الاسلامية ، وهو أمر من الاستحالة بمكان .

ومن هنا يمكن القول أن الهلينية على الصورة التى تشكلت بها فى منهج اخوان الصفا بالفكر وبالحركات الهدامة بالتطبيق هى المرحلة التالية الطبيعية لخروج الترجمة عن أصولها الحقيقية التى كانت تهدف أساساً الى ترجمة الطبيعيات والرياضيات والطب والفلك .

واذا كان الفلاسفة فى المهد الأول قد حاولوا أن يوفقوا بين الاسلام والفلسفة ، فان اخوان الصفا قد حاولوا أن يصهروا الشريعة الاسلامية داخل الأديان والعقائد والفلسفات « زاعمين أن مذهبهم يستغرق المذاهب كلها فكأنهم أرادوا بذلك أن يضعوا ديناً عقلياً » .

وقد تزيد دعاة اخوان الصفا تزيداً شديداً حين ظنوا أنهم قادرون على صهر الشريعة الإسلامية فى بوتقة الفكر البشرى ، أو احتوائها مما هو من المستحيلات لاختلاف النهج والاتجاه والقيم الأساسية التى يفرق بينها فارق واحد هو التوحيد «طابع الإسلام» العميق الجذور .

ومن خلال مراجعة آرائهم يتبين فسادها وضعفها وعجزها عن ارضاء

العقل الإنسانى أو النفس الإنسانية لبعدها عن الفطرة ومعارضتها للمزاج الاسلامى والروح الأصيل والذات البشرية .

وقد صور بطرس البستانى تضارب آراء اخوان الصفا فقال انها آراء متراجفة متشككة ، فيها عود وتكرار ومزج غريب اختلطت فيه الفلسفة التقليدية والعلوم الرياضية والطبيعية بخرافات السحر والتنجيم وأسماء ألف ليلة وحكايات كليلة ودمنة .

ووصفها أبو حيان التوحيدى بأنها خرافات وكنايات وتلفيقات وتلزيقات ، وقال انه حملها الى شيخه أبو سليمان المنطق السجستانى وعرضها عليه فنظر فيها أياماً وتبحرها طويلا ثم ردها الى وقال :

تعبوا وما أغنوا ، ونصبوا وما أجروا ، وحاموا وما وردوا وغنوا وما أطربوا ونسجوا فهلهلوا ومشطوا ففلفلوا » .

* * *

ومن الحق أن يقال أن كل الظنون التى ساورت من جددوا هذا الفكر فى العصر الحديث وأعادوا طبعه من أن هذا عمل اسلامى أو فكرى أصيل قد تبددت عند ما نشرت عشرات الوثائق التى أكد فيها أصحابها نسبة اخوان الصفا الى الفرق الغالية والباطنية حتى لينعقد الاجماع الآن تماماً على أن اخوان الصفا جماعة مشبوهة ليست من العلماء ولكنها من دعاة الباطنية والمجوسية والزنادقة الحاقدين على الإسلام واللغة العربية والدولة الإسلامية كما تأيدت صلاتهم الواضحة الأكيدة بالحركات المتآمرة على النظام الإسلامى والتى كانت تعمل على تقويض مجتمعهم .

ظهر هذا وانكشف بالرغم من زيف القناع الذى وضعه هؤلاء الدعاة

بن الجماعة السرية على هدفهم السياسى ليظهروا أمام الناس على أنهم من أهل الفكر الخالص ، فقد كشفت الدراسات المختلفة عن حقيقتهم وأبانت عن مقاصدهم ، وعن حقيقة انتساب أفكارهم ودعوتهم لمضامين الفكر البشرى الوثنى الغنوصى ، كما أبرزت معارضة ما ذهبوا اليه لمضامين الإسلام وقيمه وشريعته وفى مقدمتها «التوحيد» : لب لباب الإسلام وفكره وقرآنه ودعوته .

وأبرز ما تكشف عنه شعوبيتهم ومحاولتهم لهدم المقومات الأساسية للإسلام هذا الخلط العجيب المقصود بين أنبيـــاء الله المرسلين وبين أمثال اليزدان وغازيمون وأرسطو وأفلاطون ومحاولة خلق نسب واحد لمحمد وموسى وعيسى مع هؤلاء يخرج بهم عن حقيقة أساسية هى أنهم رسل الله المؤيدون بالوحى والمنزل عليهم الكتاب والذين يحملون الفكر الإنسانى الربانى المصدر المعارض تمام المعارضة للفكر البشرى الوثنى المضطرب وهو نفس الفكر الذى تجدد من بعد فى العصر الحديث من خلال دعوة من أخطر الدعوات هى الماسونية ووليدتها البهائية. ولنا أن نتساءل لماذا حرص الدكتور طه حسين على تجديد رسائل إخوان الصفا ؟

وقد أشار الدكتور جبور عبد النور فى دراسته عنهم : أنهم من الفرق الضالة التى عمدت الى الاحتماء كذباً بأهل البيت وأن أكبر مصدر لإدانتهم أسلوبهم الرمزى واخفاء أسمائهم والتحرز من ذكر الاعلام الذين يصدرون عن آرائهم وفكرهم تحفظاً من أن يكشف مذهبهم أو هواهم السياسى ، وان فى كتاباتهم اشارات غامضة يستشف منها ميلا خفياً الى المجوسية المعدلة بالوثنية الإغريقية ، وهم يرون أن عليا هو الى طبقة الأنبياء أقرب ويفرقون بينه وبين الصحابة ويحاولون وصفه بالتفوق على الخلفاء الراشدين .

وأشار الدكتور جبور عبد النور الى اتسام رسائلهم بالنقمة على الدولة الإسلامية والسعى الى تحطيمها وكشف عن أن كتاباتهم تبرز مفاهيم الباطنية والاسماعيلية والفيثاغورثية والأفلاطونية والمجوسية جميعاً فى خلط على غير

وفاق ، وأن فى نصوصهم فقرات كثيرة ولكنها مموهة تشير الى أن فى قرارة نفوسهم ميلا الى الوثنية والوثنية (اغريقية وبابلية وأشورية) .

وانهم حين يوازنون بين الأديان السماوية وبين الأديان الأرضية يفضلون الأخيرة ويسرفون فى تمجيد مفاهيمها .

ومن الحق أن يقال أن وقائع التاريخ أثبتت فشل هذه الدعوة واخفاقها وعجزها عن تحقيق نظام أو عقيدة أو منهجاً أو أن تنشىء مجتمعا يقوم على أساسها لأنها خالفت جوهر الفطرة ونهج التوحيد الذى قام عليه الإسلام كما بعدت عن المزاج الإسلامى والملامح الذاتية التى تشكلت عليها هذه الأمة .

وقد أكدت هذه التجربة بصدق عجز أى محاولة من محاولات الفكر البشرى بعد نزول الاسلام عن تحقيق تصور فكرى أو منهج عملى ترتضيه الجماعة الاسلامية أو الانسانية بعامة ، كما أجدت عجز المحاولات المتصلة عن دمج الفكر الاسلامى القائم على التوحيد أو تذويبه أو احتوائه داخل أى فلسفة وثنية ، وقد تحقق عجزهم الكامل عن مثل هذه المزاوجة أو التذويب بين فكر قائم على التوحيد الخالص فيه الفطرة ورسالة السماء معا وبين مثل هذه الأفكار البشرية المتضاربة القائمة على الوثنية والتعدد والثنائية والتثليث والاباحية والالحاد .

لقد فشلت هذه المحاولة كما فشلت كل المحاولات التى سبقتها ، فى خلط الاسلام بغيره أو اضافة أجزاء منه الى مذاهب وفلسفات أخرى .

واستطاع الاسلام وشريعته أن يكشف عن ذاتية أصيلة تقبل الإنصهار داخلها دون أن تنصهر هى فى أى فكر أو تذوب فى أى دعوة أخرى ، وقد أعطتها اصالة تشكيلها وتركيبها قدرة على الاحتفاظ بجوهرها حتى فى أشد الفترات ضعفاً وتخلفاً .

ولقد كان من أخطر أعمال التبشير والاستشراق فى تشويه الحقائق واعادة طرح مثل هذه الزيوف أن عمد بعض دعاته إلى احياء هذه الرسائل وطبعها وتقديمها على أنها مثل أعلى من الفكر الحر .

وقد أولى الدكتور طه حسين اهتمامه بمثل هذه الرسائل واصدارها فى صيغة التعمد لتحقيق نفس الهدف الذى كتبت له من قبل ، غير أن هذا العمل لم يجد تقبلا واضحاً بل وجد على العكس من ذلك تفنيداً ونقداً انتهى إلى الرفض وكشف الزيف وكما أخفقت هذه المحاولة اخفاقاً تاماً فى إقامة منهج فكر أو إنشاء مجتمع داخل الاسلام فانها قد أخفقت مرة أخرى فى محاولة اعادتها ، بعد أن أصبحت أثراً تاريخياً عتيقاً لا يؤثر فى حياة المسلمين ولا فكرهم وبعد أن كشفت الوثائق صلة هؤلاء الدعاة بحركات الهدم والانتقاض على الاسلام والمسلمين .

ومن خير ما كتب فى ذلك ما أورده المستشرق الفرنسى كازنوفا حين[1] أشار إلى نزعة الاعتقاد الواضحة فى هذه الرسائل وهى وحدة الوجود (البانتيزم) وصلتها بفكر القرامطة والحشاشين والاسماعيلية والغلاة ، وأنها عمدت إلى تفسير القرآن تفسيراً غير ما يدل عليه ظاهر اللفظ وهو الأسلوب الباطن الذى جرت عليه بعض الفرق .

وذلك فى قولهم « اعلم أن للكتب الالهية تنزيلات ظاهرة وهى الألفاظ المقروءة المسموعة ولكن لها تأويلات خفية باطنية وهى المعانى المفهومة المعقولة »

وغاية مايقال أن خطة إخوان الصفا هى امتداد لعبد الله بن سبأ ومن بعده عبد الله بن المقفع وفى رسائلهم دلائل واضحه واشارات لا تخفى عن هذا الارتباط.

---

(١) الرسالة ص ٥٧٤ سنة ١٩٣٤

ثالثا : القرامطة

إذا كانت عصارة الفكر البشرى الوثنى المؤيد بالغنوصية قد عادت لتتشكل من جديد فى ظل الاسلام وبعد نزول الشريعة الاسلامية فى فكر موحد هو رسائل اخوان الصفا (وغيرها كثير من الدعوات ولكنها تمثل أرقى صياغة لهذا الفكر) فان محاولة هذا الفكر لم تلبث أن دخلت فى عديد من محاولات العمل بالتآمر على هدم الجماعة الإسلامية وإقامة جماعة الفكر البشرى الوثنى الغنوصى : وقد تعددت هذه المحاولات فى تاريخ الإسلام .

وكانت أبرزها حركة القرامطة التى تعد ثمرة حقيقية لانتقاض الفكر البشرى فى قلب الاسلام قد كشفت التجربة بعد الوقت الطويل عن عجزها عن تحقيق أى ثورة أو نهضة أو إصلاح . ودفعت القائمين بها بالفشل ورسمت نموذجا حياً واقعاً عن فساد أى تجربة تخرج عن أصول الاسلام وجوهر قيمة .

ولقد تصاعدت أصوات مريبة فى العصر الحديث تحاول أن تجعل من القرامطة فكرة إسلامية أو ثورة اسلامية ، وصفت بالاشتراكية الاسلامية أو العدل الاجتماعى . كما حاولت هذه الاتجاهات الزائفة وصف ثورة الزنج أيضاً على هذا النحو .

ومن عجب أن ينسب إلى الإسلام عمل من أعملوا السيوف فى رقاب اهل البصرة واستباحوا المدينة ثلاثة أيام ، وفعلوا مثل ذلك فى عبادان والأهواز .

ولاريب أن العلاقة معقودة وثابتة بين هذه الحركات وبين الباطنية ودعوتهم المجوسية المجددة ، ومطامعهم فى الأدالة من دور الاسلام ، على النحو الذى رسمته وثائقهم الثابتة والاكيدة وأبرزها « رسائل إخوان الصفا »

وقد أشار المستشرقون إلى هـذه الرابطة وأكدها كثير منهم من أمثال رجيس بلاشير الذى أكد أن حركة القرامطة حركة سياسية ليست ثوبا روحيا.

كما اعترف الكثيرون بأن القرامطة احدى حركات الباطنية وامتداد للخطة الواسعة للإنتفاض على الإسلام الذى حملت لوائها اليهودية والمجوسية وأن الباطنية (ومنها القرامطة) كانت ثمرة الدعوة التى حمل لوائهـا عبد الله بن سبأ والتى تقول بالعصمة ، وكان ميمون القداح الثنوى الديصانى أول من وسد مناهج الدعوة فكريا وقد استمد مفاهيمه من تعاليم الفلسفة اليونانية وتعاليم مزدك وزرادشت ومانى . وأقام ذلك الخليط كله تحت اسم حب آل البيت والدعوة لهم وباطنها إعادة دولة الأكاسرة ثم استتر ومن معه بالتصوف والشعوذة والتقشف والزهد[١] .

ولم يلبث عبد الله بن ميمون القداح ، أن وضع يده فى يد حمدان قرمط تحت اسم الباطنية وفى ظل مفاهيم مزدك فى شيوعية الأموال وإباحة النساء ومن الحق أن يقال أن حركة القرامطة «كانت حركة انفصالية » وكانت استمراراً لثورة الزنج التى قامت قبل منتصف القرن الثالث الهجرى ، كما ثبت أن الحلاج كان من أكبر الدعاة لتحطيم الدولة العباسية أو كان على صلة بالقرامطة .

ومن ثم كانت حركة القرامطة حركة طائفية ، وليست ذات طابع عالمى . فضلا عن عدائها الصريح للإسلام وقيمه ومقدساته . وآية ذلك إعتدائهم على الكعبة وانتزاعهم الحجر الأسود ، ومهاجمة موسم الحج بقتل أكثر من ثلاثين ألفاً .

(١) دكتور محمد بديع شريف : الصراع بين الموالى والعرب

الفصل الثالث

أثر الغنوصية فى التصوف

كان للفكر الغنوصى أثره البعيد المدى فى مفاهيم النسك والإيمان ومفاهيم الزهد والتصوف ذلك أن المعانى والأصول التى قام عليها دعاة النسك والزهد الإسلامى إنما استمدت أصولها الأولى من القرآن ومن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن مناهج التربية الإسلامية الأصيلة غير أنه لم يمض غير قليل بعد أن ترجمت الفلسفات اليونانية والفارسية والهندية حتى دخلت إلى هذه المفاهيم الأصيلة القرآنية تفاسير زائفة وقيم وافدة من حواشى الفكر البشرى الوثنية الهلينية أو الاشراقية الغنوصية وكان أبرزهذه المفاهيم الوافدة : وحدةالوجود والاتحاد والحلول والاشراق .

والإسلام لاينافى التصوف القائم على مكارم الأخلاق وإنما فسد هـذا المفهوم بدخول الفلسفتين اليونانية والهندية عليه . إذ تحول من تطهير النفوس وإعدادها لعبادة الخالق وأصبح مذهباً يرمى إلى فناء الفرد واتحاده مع معبوده أو ادعاء حلول الخالق فى الكائنات .

وقد أكد المتصوفون الأولون موقفهم من الإسلام فقال الجنيد : مذهبنا هذا مقيد بالأصول (الكتاب والسنة) وهو يجرى فى حدود الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومن يدعى مع الله حالة تخرجه عن حد علم الشرع فلانقر به .

وقد تأثر التصور الصوفى بمفاهيم الغنوصية والفلسفات اليونانية والهندية

والمسيحية عليه وكلها خارجة عن مفهوم التوحيد الخالص وبعيدة عن التصور الإسلامى وقيم الاسلام الأصيلة . ففى الفلسفة اليونانية مذاهب تقول بالشمول وبأن جميع أوجه الطبيعة مظاهر للألوهية وأن الوجود كله فى الحقيقة هو الله (المذهب الأيونى)[1] .

ويقوم الدين الهندى والفلسفة الهندوكية على وحدة الموجود على التناسخ (مجىء النفس الواحدة إلى الحياة مرات متعددة) وقد ذهبت الهندوكية والبوذية إلى ما يسمى بالنرفانا وهو ما يوصف بفقدان الشعور بتخلص النفس من آلام اتصالها بالأجسام وقد أسماه بعض الصوفية (الفناء) وقالوا أنه تجرد النفس من رغباتها وميولها وبواعثها حتى تتعطل إرادتها وتموت .

ومن العناصر النصرانية والهندوكية استمدت هذه المذاهب : « تعذيب النفس » والقول بالحلول هو قول مأخوذ من النصرانية .

والواقع أن أفكار الأشراق ووحدة الوجود والاتحاد والحلول مستمدة كلها من فلسفات الهند ومصر واليونان .

فوحدة الوجود مذهب هندى برهمى والأدلة على وجوده ماثلة فى كتب الهنود الدينية وفى أفكارهم[2] الفلسفة ومذهب الاشراق مذهب يونانى مستفاد من الأفلاطونية المحدثة .

ولا ريب أن وحدة الوجود والتناسخ مستمدة أساساً من الفكر البرهمى وليست معروفة فى الفكر الإسلامى الأصيل .

ولا يقر الاسلام الفناء الذى تتجرد فيه النفس من رغباتها حتى تتعطل

---

(١) عمر فروخ : تاريخ الفكر العربى .

(٢) محمد لطفى جمعه : البلاغ ١٩٣٤/١١/٢٠ .

إرادتها وتموت ولا يقر الاسلام تعذيب النفس ولا الرهبانية بالاعتزال عن الحياة وهجرانها وقد دعا الاسلام إلى عبادة الله ولكنه أنكر الانصراف عن الحياة كلية أو تعذيب الجسم بالعزوف عن الدنيا وقال الرسول فى هذا كلمته الحاسمة :

«ألا وأنى أعبدكم الله وأنا أنام وأقوم وأصوم وأفطر وآتى النساء» ودعا الاسلام فى أكثر من موضع فى القرآن إلى أن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها ، وقال الرسول أن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، وان الله لا يمل حتى تملوا . وكانت هذه التوجيهات تستهدف الحيلولة دون المسلمين والسقوط فى الفناء وتعذيب النفس : هذا الفكر البشرى القديم الذى أمحاه الاسلام ودمغه بالفساد ، قد حمله إلى المسلمين مرة أخرى عدد من أتباع الفلسفات من أمثال محى الدين عربى والحلاج والسهروردى .

وكل هؤلاء قد خرجوا تماماً عن مفهوم الاسلام الصريح الواضح البسيط إلى مفهوم فلسفى معقد مدخول .

وقد جرى هؤلاء وغيرهم على هذا النحو من تزييف بضاعة التوحيد الخالص بادعائهم أن لآيات القرآن وجهين : ظاهراً وباطناً وأنهم وحدهم الذين أدركوا المعنى الباطن بينما وقف غيرهم عند معنى الظاهر .

وتقوم كتابات الكثيرين على الألغاز والتعمية خوفاً من مصير مثل مصير الحلاج والسهروردى ويذهب بعضهم إلى القول بأن القرآن لا يفسره إلا أهل الله العالمون به وفى هذا محاولة لخلق طبقة لم يخلقها الاسلام ، قريبة إلى نظرية العصمة أو تخصص رجال الاكليروس واللاهوت . وليس فى الاسلام مفهوماً غير ما يعلمه المسلمون جميعاً ، ولم يحتفظ الرسول عند أحد بسر خاص أو امتياز خاص فى تفسير القرآن .

ومن هنا كان خطر ما ادعاه بعض الصوفية من سر لا يفشى لأهل الظاهر ، وهذا قريب مما قال به الباطنية فى جماعاتهم السرية .

كذلك ليس من مفهوم الاسلام الأصيل تلك التعبيرات الغامضة التى استحدثتها هذه الفلسفات كالقول بالحقيقة الوجودية والحقيقة المحمدية وهى نظريات وافدة من البرهمية والأفلاطونية وهو تقسيم لم يعرفه المسلمون الأولون وهو مستمد من الفكر البشرى الوثنى والغنوصى .

* * *

اولا — وحدة الوجود

تقوم وحدة الوجود على مفهوم معارض تمام المعارضة لمفهوم الاسلام الذى ينزه الله سبحانه عن الاتحاد وتقوم على أساس وحدة الله الخالق وأن الله واجب الوجود منزه عن وجود الكائنات التى خلقها . ذلك أن وجود الله أزلى لا بداية له ولا نهاية أما وجود العوالم فهو « وجود حادث » له بداية ونهاية . فضلا عن أن وجود العوالم مسبب عن الله تعالى .

ولقد رفض الاسلام بمفهوم العقل والشرع فكرة وحدة الوجود التى تعنى تأليه المخلوقات واعتبار الكون هو الله أما مفهوم الاسلام فهو صريح وواضح بأن الموجود اثنان: واجب الوجود وممكن الوجود: واجب الوجود هو صانعها الواحد الفرد الصمد ، وممكن الوجود هو هذه الكائنات كلها التى ندركها بحواسنا الخمس مباشرة .

والاسلام لا يقبل وحدة الوجود لأن فيها انتقالا من عقيدته الأصلية « لا إله إلا الله » إلى مايقوله بعض الصوفية « لا موجود فى الحقيقة إلا الله » وسياق كل منهما ينتهى إلى نتائج مختلفة أشد الاختلاف .

ولا ريب أن مفهوم وحدة الوجود من دخائل الغنوصية وهو غير أصيل فى الاسلام ولا فى فكره ولا عقيدته القائمة على التوحيد الخالص ، إن أصحاب مذهب وحدة الوجود يقولون أن الله والكون كلاهما واحد ، ومعنى هذا أن الكون هو الله وقد أنكر الاسلام ذلك انكاراً شديداً . أنكر حلول الخالق فى المخلوق أو استغراق المخلوق فى الخالق ، وهو يميز طبيعة كل منهما ولذلك أنكر الاسلام هذا المفهوم .

(١)

وقد استشرت هذه النظرية[1] فى الفكر العربى الحديث عن طريق الفلسفة اليهودية والفلسفة المسيحية وأصبح لها دعاة ومذاهب .

ثم نشأت فى الغرب مذاهب ترى فى وحدة الوجود ما يراه الاسلام من أنها تتضمن إنكاراً لله وقد ذهب (شوبنهور) الى القول بأن مذهب وحدة الوجود « ليس الا صورة مهذبة لمذهب الالحاد لأن حقيقة مذهب الوجود ينحصر فى أنه يهدم التعارض الثنائى الموجود بين الله والكون وأنه يقرر أن الكون موجود بفضل قواه الباطنية الموجودة فيه وأن المبدأ الذى يقول به أصحاب وحدة الوجود من أن الله والكون شىء واحد إنما هو وسيلة مهذبة للاستغناء عن الله أو تعطيل عمله »[2] .

(٢)

واجه المفكرون والكتاب المسلمون هذه الدعوة ودحضوا شبهة اتصالها بالإسلام ، وقد أشار عبد المنعم خلاف فى صدر مناقشة هذه الآراء إلى أن مذهب وحدة الوجود قد غزا عقول بعض الفلاسفة والصوفية الذين أهمهم أن يدركوا الله وما وراء الطبيعة بالحواس التى يدركون بها الطبيعة وبالعقل البشرى المخلوق لإدراك النسب بين كائنات الطبيعة وحدها أولا ، فلما عجزوا

---

(١) جيوردانو برونو الايطالى وسبنوزا اليهودى .
(٢) دريني خشبه : الرسالة .

عن رؤية الله تعالى وأدركه كما هو المنتظر ، ذهبوا إلى أنه لابد أن يكون الله هو هذا الوجود الظاهر وأنه يحل فيه وليس له وجود منفصل عنه ، وهكذا نجد الوثنية التي حاربتها الأديان والفلسفات سنداً عظيماً من هذه الفلسفة ، وهكذا تتحول كل الطبيعة إلى أصنام آلهة وأن النظرة الأولى تهدى إلى أن الله غير الطبيعة ، وأن هناك انفصالا بين الخالق والمخلوق . وأن انفصال الله عن الكون هو النظرة البديهية التي تحل أكبر مشكلات الوجود وبها نضبط تقدمنا البشرى وتحدد المسئوليات والتبعات ولا تختلط الحدود ، ولا تسقط التكليفات ولا تتهدد قيم الأشياء أما اعتناقنا مذهب الوجود فمعناه الاختلاط والتشويش والفوضى والتباس المقاصد وذهاب الاختيار بين الخير والشر . وأن الإنسان بهذا المذهب سيكون إله نفسه لأنه جزء من الخالق ، وستكون الآلهة بعدد المخلوقات وبعدد الناس ، كما أشار الدكتور محمد يوسف موسى إلى قول محى الدين بن العربى : « أن ليس هناك إلا وجود واحد هو الله . وأن العالم كله مظاهر له » معنى هذا أن الحقيقة التي هي الوجود الحق هو ذاته تعالى هي في عالم حيوان حيوان وفي عالم النبات نبات ثم قال أن هذه النظرية الغامضة الصعبة التطور العسيرة الفهم بعيدة عن العقل والدين وقال : أن الله والعالم متباينين في كل شيء ومنفصلين تمام الانفصال أحدهما وجوده رهن بإرادة الآخر ولا يتفق كذلك معه بحال ما دام الدين ينزه الله عن أن يكون أشرف مخلوقاته مجلى ومظهراً له .

وان هذا لا يتفق مع العقل الذى رفض أن يؤمن بشيء يعجز عن إدراكه على أى نحو كان ولعل رفض العقل والشرع لفكرة وحدة الوجود هو الذى جعل بعض المفتونين بابن عربى يبرئونه من القول بها أو الذهاب إليها .

ويقول نقولا حداد : إن الأديان السماوية الثلاث ترفض هذه النظرية الفلسفية رفضاً تاماً وهى مجمعة على أن الله والوجود المادى شيئان مختلفان وأن لكل منهما ذاتية قائمة بذاتها منفصلة عن الأخرى وأن الله الواجب الوجود

الذاتي هو خالق الوجود المادي ومسيره ، وهذه النظرية مقررة في تعاليم الأديان لا تقبل النقض ولا التنقيح ولا التعديل .

ويقول الأستاذ البشبيشي في معارضة هذا المذهب .

« إن القول بوحدة الوجود مذهب أحـــدثه في الإســلام متأخروا الصوفية المتكلمون فيما وراء الحس ، وخلاصته أن الله تعالى هو الموجود المطلق وأن غيره لا يتصف بالوجود أصلا ، فلو قيل أن الإسلام موجود فمعنى ذلك عندهم أن له تعلقاً بالوجود وهو الله تعالى وأن جميع العوالم سـواء اختلفت أنواعها وتباينت أجناسها وشخوصها موجودة من العدم ، وأن وجودها هـذا محتفظ عليها بوجود الله تعالى وليس بنفسها لأنها معدومة . من جهة نفسها لعدمها الأصلي ومن ثم فوجودها الذي هي به موجودة في كلمة هو وجود الله تعـالى وهو واحـد لا ينقسم ولا يتبعض ولا يتجزأ ولا ينتقل ولا يتغير ولا يتعدد أصلا ، ثم هو مطلق عن الـكيفيات ، الأماكن والأزمان » .. إننا لا ننـكر كون العـالم موجود بقدرة الله وإرادته ولـكن يجب أن نفرق بين وجود الله وهو وجود أزلي لا بداية له ولا نهاية ، ووجود العوالم وهو وجود حادث له بداية ونهاية ، ثم أننا أيضاً نسلم بأن وجود العوالم مسبب عن الله تعالى ولـكن لنا أن نقرر أن هناك فرقاً كبيراً بين السبب والمسبب والعلة والمعلول » .

ثانيا : الاتحاد

هو القول بأن العبد صار هو الرب وهو قول فاسد كل الفساد وقد واجهه مفـكرو الإسلام وأوضحوا زيفه بالبرهان . وقد أورد الإمام الغزالي ثلاث احتمالات للاتحاد وهي إما أن يظل كل ذات من الذاتين موجودة ، وإما أن تفنى إحداهما وتبقى الأخرى وإما أن يفنيا معا . وفي الحالة الأولى لا يـكون اتحاد وفي الثانية كيف يمكن الزعم بأن هناك اتحاديين موجود ومعدوم . وفي

الثالثة لا يكون هناك محل للحديث عن الاتحاد بل الأولى أن يتكلم عن الانعدام[١] «فالتناقض واضح فى جميع الاحتمالات ، والعقل لا يستسيغ قبول هذا التناقض بعد أن جاء الشرع يبين فساد فكرة الاتحاد عن النصارى .

يقول الأستاذ الشبيشى فى هذا المجال :

« انه كما تنزه واجب الوجود عن الحلول فهو ينتزه عن الاتحاد لأنه لو حدث أن اتحد الواجب بغيره ، نتج عن ذلك حالتان . إما أن يبقيا موجودين ، وإما يدركهما العدم معا ، ويخرج منهما ثالث أو يدرك العدم أحدهما ويبقى الآخر ، ففى بقائهما موجودين فهما إذاً فى هذه الحال اثنان متمايزان متباينان ، وهذا التمايز ينافى الاتحاد لأن الاتحاد يستلزم أن يصبحا واحداً .

وفى عدمهما معاً يبطل الاتحاد لأن المعدوم لا يتحد بمعدوم وفى حالة عدم أحدهما فقط فإن الاتحاد لم يتحقق أصلا » .

ثالثا : الحلول

يقولون إن لله قدرة على الحلول فى الأشياء والتشكل بها .

وهى فكرة مستقاة من الفلسفة اليونانية وتكاد تكون عنصراً رئيسياً فى الفلسفة الهندية ، وهى على كل حال مهدمة لوحدة الله حسب رأى القرآن .

والفرق بين الحلول ووحدة الوجود ، أن الحلول هو وجود حقيقتين مختلفتين (الإلهية والبشرية) وقيام الأولى بالثانية تحت ظروف خاصة بينما يرى أصحاب وحدة الوجود وحدة ذاتية لجميع الأشياء مع تعدد مظاهرها .

---

(١) الرسالة س ٦٤٠ م ١٩٤٤

أن القول بالحلول ينافى وحدة الوجود كل المنافاة لأنه يقتضى حالا و محلو لا فيه ويكون الوجود وجودين لا وجوداً واحداً فكيف يكون الله (سبحانه) حالا فى العالم ويكون ليس شيئاً غيره . والقائلون بوحدة الوجود ينكرون الحلول . والحلول باطل بالشريعة وبالنظر العقلى جميعاً .

يقول الإمام الغزالى : إن الحلول لا يمكن تصوره بن عبدين فكيف يمكن تصوره بين الرب والعبد ، ومهما بلغت روح التصوف من الصفاء فكيف يمكن أن يدعى أن تكون هى هو . ولئن سلم أحد بإمكان ذلك بالنسبة إلى نفس واحدة فكيف يسلم به لجميع النفوس وعندئذ يصبح العالم كله آلهة ، فمن المحال أن يحل الله فى النفس وأن ينطبع فيها انطباع الخمر فى اللبن فإن ذلك من صفات الأجسام[1] .

يقول الأستاذ الشبيشى فى دفع هذه الشبهة :

إن لله واجب الوجود ومتنزه عن صفات الحلول ، وأن الحلول محال على الله لأسباب كثيرة ، ذلك لأن القديم يختلف عن الحادث لاختلاف الماهية فى كل منها ، وهذا الاختلاف يوجب استحالة حلول القديم فى الحادث ، ثم إن الله واجب الوجود وهذا الوصف ينفى الحلول لأنه فى حالة حدوثه يصبح الحال تابعاً لما حل فيه ، كما يصبح معلولا ، لهذا المحل ، ومتأثراً به ، بل إنه ليصبح فى غير الإمكان تصور الحال الا بتصور المحل ، إذن ينتفى الحلول فى هذه المرة كما استحال فى الأولى .

ثم أن الله واجب الوجود والواجب ليس عرضاً أو ليس جوهراً ، فإذا كان الحلول حلول عرض فى جوهر فلا يمكن بالنسبة لله تعالى لأنه ليس بعرض ، وإذا كان حلول جوهر فى جوهر فلا يمكن أيضاً لأن الله تعالى ليس بجوهر .

---

(١) عن بحث للدكتور محمود قاسم .

رابعا : الإشراق

ويمثل الاشراق مفهوماً خارجاً عن أصول الاسلام ومعتقده الواضح القائم على التوحيد الخالص ، وفق منهج الاسلام فى المعرفة الذى أورده القرآن . فهو يدعو إلى التحرر من كل أساليب المعرفة ولا يرى إلا وجهاً واحداً .

والمعرفة الإنسانية فى هذا المذهب تقوم على إلهام من العالم الأعلى يصل بواسطة عقول الافلاك وهو يعبر عن الله وعالم العقل بالنور وقد قال بذلك من اليونان هرمس وفيثاغورث وأفلاطون .

وقد نسب هذا المذهب إلى السهروردى وهو فى الأصل مستمد من الفلسفات اليونانية والفارسية وخاصة مذهب الأفلاطونية الحديثة وهو فرع من نظريات الفلسفة والكلام والتصوف وترجع المذاهب الاشراقية أساساً إلى أصول فارسية قديمة .

وقد وصف الدكتور على سامى النشار هذا المذهب بأنه فى جملته مذهب أفلاطونى يحمل فى جوانبه ما اشتملت عليه التيارات الفلسفية الاسلامية السابقة عليه فتأثر بنظرية الفيض المشائية ويدور حول فكرة الإشراق، فالأول (أو نور الأنوار) تفيض عنه أنوار طولية وأنوار عرضية وهى أنوار تدبر شئون الأنواع الموجودة فى العالم الحسى فضلا عن أن السهروردى ابتدع عالماً (أوسط) بين العالم الحسى والعالم العقلى اسماه (البرزخ) وهو نفس وضع الرياضية المتوسطة عند أفلاطون .

وقال الدكتور النشار : إنه مهما قيل عن التأثير الفارسى فى مذهب الاشراق ، إلا أننا نؤكد بطريقة حاسمة أن هذا المذهب هو استمرار للفلسفة

اليونانية بالصورة الأفلاطونيـــة المتأثرة بتيارات الفكر الفلسفى التلفيقى التى راجت تعـاليمه عند السريان وانتقلت هـذه الصورة إلى المسلمين فى عصر الترجمـة .

أما الألفاظ الفارسية القليلة التى تشيع فى مؤلفات السهروردى فهى ليست سوى أدوات استخدمها المؤلف لا يهـام القارىء بالأصل الفارسى للمذهب وذلك إنقياداً مع نزعة الفرس الشعوبية وكان السهروردى منهم .

الفصل الرابع

مواجهة الفلسفة الغنوصية

لقيت الفلسفة الغنوصية مواجهة صحيحة حاسمة من رجال الدعوة والفكر الإسلامى كما لقيت الفلسفه الهلينية :

ذلك أن كل منهما تمثل مجموعة من بقايا الفكر البشرى القديم السابق على الإسلام المعارض للمفهوم القرآنى والربانى والإنسانى بصفة عامة .

أما الفلسفة الغنوصية فهى فى مجملها تخالف الإسلام والدين المنزل بصفة عامة فى أنها تفرض منهجاً للمعرفة قائماً على الكشف أو المشاهدة والذوق ، بينما تفرض الهلينية منهجا للمعرفه قائماً على المنطق والعقل .

وكلاهما منهجان ناقصان فى مفهوم الاسلام الذى يجمع بين العقل والقلب فى إطار الوحى وعلى قاعدة التوحيد .

أما منهج الكشف والمشاهدة والذوق الذى عرفته الغنوصية ، وقام على أساسه الإشراق ودخل فى نطاق كل الدعوات الباطنية فانما يتصل أساساً بمفاهيم المجوسية القديم ويرتبط بالتناسخ والاتحاد والحلول ووحدة الوجود وكلاهما يعارض مفهوم الاسلام .

أما منهج العقل والمنطق الذى عرفته الهلينيه وقام على أساسه فكر أرسطو وأفلاطون وغيره فى نطاق الفلسفة الإغريقية فهو ينكر أساساً الوحى والغيب ويفهم الله سبحانه فهما ناقصاً أو قاصراً .

ومن هنا فقد كان لابد أن تشرع أقلام كتاب المسلمين لمواجهة انتقاض الغنوصية وما طرحته من مفاهيم ومذاهب ونظريات للرد عليها ونقض شبهاتها فى اطار التحدى الخطير الذى عرف عنها والخافية القائمة وراءها والتى تحمل لواء حركة خطيرة لهدم الاسلام من الداخل كمقدمة للقضاء على الدولة الإسلامية خاصة بعد أن ثبت أن جميع الذين شاركوا فى هذه الحركة كانوا من أبناء المجوسية.

وقد نهض لذلك واصل بن عطاء وأبى الهذيل العلاف وبشر بن المعتمد وإبراهيم النظام، كما تصدى لها الأشعرى والباقلانى ورد عليهم الغزالى فى كتابه فضائح الباطنية والقسطاس وابن الجوزى.

واستطاعت العقيدة الإسلامية بأصالتها وصلابتها أن تدحض زيف الغنوصية، وتعاليمها الباطلة وكشف أهدافها الرامية إلى تدمير الإسلام.

ولقد عرض العلماء المسلمون لشبهات الباطنية والغنوصية فى أسلوب علمى ومنهج قرآنى خالص وتخصص كثير منهم فى الانكباب على منهج واحد للقضاء عليها نهائياً.

فانصرف واصل بن عطاء إلى مناقضة الحاد بشار بن برد وألف كتابا فيه ألف مسألة للرد على المانوية وجادل أبو الهذيل العلاف الشاعر صالح بن عبد القدوس وهكذا.

وألف الحسين بن عثمان الخياط «كتاب الإنتصار فى الرد على ابن الراوندى الملحد فيما قصد به الكذب على المسلمين والطعن عليهم»

وكان القاضى أبو بكر بن العربى من أبرز من تنبه لأخطار الزنادقة والرد عليهم

وقد دعا إلى اليقظة وأنحى باللائمة على المؤرخين وحذر الناس مما يكتبون

ووصفهم بأنهم يشوهون الحقائق ويطمسونها فى أغلب الأحيان وأكثرهم لم يتوفر على الأمانة العلمية وقد أعلن عداء صريحاً لمن خلطوا بين الدين والفلسفة.

وتعرض فى كتابه « العواصم من القواصم » إلى الفلاسفة السفسطائيين والطبائعيين والإلهيين وناظر الباطنيين والحلوليين وأرباب الاشارات من غلاة الصوفية وظاهرية الأحكام والفرق التى أظهرت بغضها للأشخاص باسم الاسلام.

وكتب أبو الفرج الجوزى كتابه (تلبيس ابليس) فكشف كثيراً من شبهات الغنوصية والباطنية .

وكشف ابن الجوزى عن أن المزدكية والخرمية والبابكية والاسماعيلية حركة واحدة ، وقال أن فكرة التأويل مانوية وأن فكرة الحلول والرجعية والتناسخ من آراء الغلاة وأن الثنوية من تعاليم مزدك الداعى إلى استباحة الأموال والأعراض .

وقال أن حركة إخوان الصفا على نفس الخط وهى محاولة للتآمر على القيادة السياسية عن طريق نشر مفاهيم تجمع بين المزدكية والبابكية .

وقال أن الباطنية قد قصدوا إلى ساخ الناس عن الأديان وترك مراسيم العبادة الاسلامية (أى رفض الظاهر) :

* * *

ويمكن إجمال مخالفات الغنوصية : (فى صورها المختلفة التى تفرعت من الباطنية) للإسلام فى عدة قضايا هامة :

(أولا) مجاراة المجوسه والمانوية فى القول بقوى الطبيعة (السماء والضوء والنار والهواء) وبالقول بالنور والظلام والخير والشر .

(ثانياً) التأويل والقول بأن للقرآن ظواهر وبواطن : وأن الظواهر تجرى مجرى اللب من القشر.

(ثالثاً) رفع التكليف ، وحط اعباء الشرع عن المتعبدين وإباحة اللذات والمحرمات وطلب الشهوات واسقاط فرائض الاسلام .

(رابعاً) إباحة النساء والأموال

(خامساً) القول بالتناسخ بين الأرواح .

(سادساً) تحريم صيد الحيوان وتحريم ما أباحه الله من لحم الطـــير والتضرر من الصيد والدعوة إلى رحمة العصفور .

(سابعاً) انكار البعث والجزاء والجنة والنار .

وقد استتبع طرح هذه المخالفات استشراء خطر كبير هو غاية الغايات من وراء هذه الدعوات وهو التحلل من الالتزام الأخلاقى والجزاء الأخروى والعبث بفلسفة الأخلاق الإسلامية ودعوة الناس إلى الحرية المطلقة من غير قيد والغاء التكليف .

وقد اتخذ أسلوب التأويل أو علم الباطن أداة لتخريج النصوص من أصولها الأصيلة إلى تفسيرات رمزية فاسدة وخاطئة . وتعد مسألة التأويل الباطنى من أخطر الأساليب التى قـــدمتها هذه الدعوات وأكبرها أثراً فى جماعات الناس .

وقد وجدت قبولا كبيراً لأنها فتحت باب إرضاء والشهوات فهم يقولون أن لكل ظاهراً باطناً ولكل تنزيل تأويلا وأن الظاهر بمنزلة القشور والباطن بمنزلة اللب ، وقد تأولوا آيات القرآن وسنن النبى وقالوا أن من ارتقى إلى علم

الباطن إنحط عنه التكليف وأن جميع ما استعبد الله به العباد فى الظاهر من الكتاب والسنة أمثال مضروبة .

وقد قصد (التأويل) إلى تفسير النصوص تفسيراً يخرجها من مدلولاتها الأصيلة إلى مدلولات ومفاهيم محرفة من هذه العقائد .

وقد كان من وراء هذه النظرات هدف واحد هو احياء الزندقة والإباحية وتفشى دعوة اللهو والمجون وتحسين الخمر والميسر للناس ، والإستهزاء بالأديان كلها وإنكار الوحى المنزل على الرسول ، ومحاولة هدم مكانة الأنبياء .

ولم يكن هذا كله من طبيعة الإسلام نفسه ولا مما يتقبله فى مفهومه الصريح الواضح : البسيط القائم على التوحيد والأخلاق والإيمان بالغيب .

وقد انطلقت أصوات الدعاة تلبح بالتحريض على الخمر والإباحة والخلاعة فى الشعر والأدب والفلسفة جميعاً .

وكان من أخطر هذه الدعوات محاولة إلغاء ما بين الطبيعة الالهية والطبيعة الإنسانية من تمايز والقول بأن الله يحل فى الأشخاص الحسنة أو أنه يتحد مع الكون أو القول بتتابع الأرواح وإتصالها من جسد الميت إلى جسد الحى .

* * *

وقد واجهت العقيدة الإسلامية الصلبة هذه الشبهات جميعاً بالنقض نقضاً يقوم على أساس العقل وعلى أساس الفطرة فى نفس الوقت فاندحرت هذه المذاهب وفشلت فى أن تحقق شيئاً وإنتصر الإسلام على المجوسية وأنطوت المجوسية واعتنق معظم أهلها الإسلام .

وقدم الإسلام فى مواجهة الباطنية نماذج من الأعلام والفقهاء والتقاة والأبرار من أمثال عبد الله بن المبارك وسفيان بن عيينة وسفيان بن الثورى والفضيل بن عياض وغيرهم هربوا من الأمراء ورفضوا المناصب وعاشوا نماذج للتقوى والورع فأعطوا نماذج للتطبيق الإسلامى الصحيح .

كما واجهـــه ابن حزم والشهرستانى وابن تيمية وابن القيم والغزالى هذه النظريات وكشفوا زيفها .

ومن خلال الرد على هذه الشبهات تشكل مفهوم أهل السنة والجماعة وتوضحت عقيـدة الإسلام الناصعة الخالصة من شوائب الوثنية والإلحاد والاثنينية .

* * *

ويمكن تلخيص هذا المفهوم فى مواجهة زيف الباطنية وشبهات الغنوصية على النحو الآتى[1] .

أولا : صانع العالم : (الحق تبارك وتعالى) له صفات ثابتة استحقها لذاته وان الحوادث كلها لابد لها من محدث صانع ، وهو قديم لم يزل ، وليس له صورة ولا أعضاء ولا يحويه مكان ولا يجرى عليه زمان ولا تلحقه الآلام واللذات وهو غنى عن خلقه وأنه واحد أحد .

والله سبحانه وتعالى قادر على كل شىء بالاختراع[1] (من العدم) وعلمه واحد يعلم به الموجودات بتفاصيلها من غير حس ولا بديهية ولا استدلال ، وسمعه

---

(١) هذا النص مستقى من ملخص أورده عبد القادر البغدادى (فى كتابه الفرق بين الفرق) ونقله عنه د. عمر فروخ فى كتابه الفكر العربى الى أيام ابن خلدون .

وبصره محيطان بجميع المسموعات والمرئيات وهو لم يزل رائياً لنفسه سامعاً لكلام نفسه والله سبحانه يراه المؤمنون فى الآخرة ولا يحدث شىء فى العالم إلا بإرادته ، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، والله سبحانه حى بلا روح ولا إغتذاء وكلام الله صفة أزلية وهو (كلام الله) غير مخلوق ولا محدث ولا حادث .

وأسماء الله وصفاته معروفة من القرآن والحديث الصحيح وإجماع الأمة ولا يجوز اطلاق اسم عليه عن طريق القياس[1] وأسماء الله تسعة وتسعون وهى صفات أزلية نحو (واحد ، أول ، صمد) وصفات أزلية قائمة بذاته نحو (حى . قادر . عالم . مريد . سميع) وصفات مشتقة من أفعاله (خالق) رازق ، عادل) .

(٢)

والعبد مكتسب لعمله والله خالق لكسبه والإنسان يصح منه اكتساب الحركة والسكون والارادة والقول والعلم والفكر ، ولكن لا يصح منه اكتساب الألوان والطعوم والروائح والادراكات .

والهداية من الله على وجهين : إبانة الحق والدعوة إليه ونصب الأدلة عليه ، والله يخلق الهداية فى قلوب عباده ، ومن مات أو قتل فانما مات بأجله الذى جعله الله له والله قادر على إبقائه والزيادة فى عمره .

وإذا أكل أحد شيئا أو شربه فانه تناول رزقه حلالا أو حراما .

ولو أن الله كلف خلقه فوق ما كلفهم من العبادة والأعمال والمشقات أو خلقهم كلهم فى الجنة أو لم يخلقهم البتة أوخلق الحيوان فقط أو خلق الجماد

---

(١) مثل ما تقول الماسونية عن الله « مهندس الكون الأعظم » مثلا .

أو النبات دون البشر لكان ذلك كله عدلا منه ولا يعد خروجا على الحكمة، ذلك لأن له وحده الأمر والنهى والقضاء يفعل ما يشاء ويحكم بما يريد .

(٣)

إثبات الرسل من الله إلى عباده : فمن نزل عليه الوحى من الله على لسان ملك وكان مؤيدا بنوع من الكرامات الناقضة للعادة فهو نبى، فاذا خص بشرع أو بنقض شريعة كانت قبله فهو رسول . والأنبياء كثيرون والرسل منهم ثلاثمائة وعشرة أولهم آدم وآخرهم محمد ، وعيسى نبى مرسل أراد خصومه قتله فرفعه الله إليه ، وكل مدع للنبوة أوالألوهية لنفسه أولغيره كافر،والأنبياء أفضل من الملائكة ، وكل نبى أفضل من أولياء أمته والأنبياء معصومون عن الذنوب بعد نبوتهم ، وقد يبدر منهم قبل النبوة ذلات يسيرة .

(٤)

المعجزة أمر يظهر بخلاف العادة على أيدى الأنبياء ، إذا تحداهم قومهم فاذا أظهر النبى معجزة واحدة ، ثم عجز قومه عن معارضته فقد لزمتهم حجة التصديق بما جاء به وللأولياء كرامات والقرآن معجز بنظمه (أسلوبه) ولرسول الله معجزات منها انشقاق القمر له وتسبيح الحصا بين يديه وغير ذلك .

(٥)

والإسلام بنى على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن إستطاع إليه سبيلا وصلاة الجمعة واجبة ، فمن أنكر واجب من هذه كان كافراً ، والجهاد واجب ، والبيع جائز ، والربا حرام ومن تأول المحرمات (حللها لنفسه على وجه من الوجوه أو حجة من الحجج) كان كافراً .

وأصول أحكام الشريعة الكتاب والسنة وإجماع السلف .

فمن أنكر هذه وقال ان العلم يؤخذ من الامام وحده فهو كافر وأفعال المكلفين والبشر البالغين العاملين ، خمسة أقسام :

(١) واجب (أمر الله به يثاب الإنسان على فعله ويعاقب على تركه) .

(٢) محظور (نهى الله عنه ومن فعله عوقب عليه) .

(٣) مسنون : يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه

(٤) مكروه (يثاب تاركه ولا يعاقب فاعله)

(٥) مباح (لا ثواب ولا عقاب عليه)

(٦)

إن الله يعيد فى الآخرة الناس والحيوانات التى كانت فى الدنيا وسيخلق لهم الجنة والنار، ثم أن عذاب القبر والحوض والصراط والميزان حق وشفاعة رسول الله والصالحين من أمته للمسلمين المذنبين حق .

(٧)

الخلافة أو الإمامة فرض على الأمة لنصب إمام (خليفة) يقيم القضاء ويضبط الثغور (الحدود — التخوم) ويحارب العدو يكون نصب الخليفة بالإختيار (الانتخاب) من قريش وأن يكون عالما بالأمور الدينية والأحكام الشرعية عادلا حسن التصرف فى إدارة الدولة ، غير مرتكب للكبيرة ولا مصر على صغيرة .

وتنعقد الخلافة باجتهاد أهل الحل والعقد .

ولا تصح فى وقت واحد إلا لشخص واحد إلا أن يكون هناك قطران مسلمان متباعدان وبينهما بحر حاجز أو عدو لا يطاق فيجوز حينئذ نصب خليفتين أما الصحابة الذين قتلوا فى معركتى الجمل وصفين فقد اجتهدوا وأخطأوا ولكن لم يكفروا بخطاهم فى الاقتتال .

(٨)

أصل الإيمان المعرفة والتصديق بالقلب والإيمان لا يزول بذنب دون الكفر ولا يحل قتل امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث : رده ، أو زنى بعد احصان ، أو قصاص بمقتول هو كفؤه .

والملائكة معصومون ومن المسلمين الأولين عشرة مبشرون بالجنة .

أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وسعيد بن نصر بن عمرو بن نفيل ، وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة عامر بن الجراح .

ثم الذين شهدوا بدرا وأحداً مع الرسول والذين شهدوا بيعة الرضوان بالحديبية إلا رجلا اسمه قزمان شهد أحداً وكان من المنافقين .

أما الكفار فهم الذين أنكروا وجود الله أو أشركوا به إلها آخراً وعبدوا آلهة من دونه ومن عادى المسلمين جهراً أو سراً وأهل الأهواء والبدع من خالفوا الأصول التى مر ذكرها وبقى هنالك .

(٩)

المعرفة وإثبات الحقائق تكون بالحس والبداهة والاستدلال والوحى والخبر والاجماع .

(١٠)

العالم حادث وهو متناه . وفناء العالم وبقاء الجنة والنار وأهلهما أبداً .

* * *

وقد جاء هذا المنهج مفسراً وموسعاً ومفصلا فى عشرات من الدراسات والكتابات التى قدمها علماء المسلمين للرد على ما تعرض له الفلاسفة الهلينيون والاغريقيون أو أصحاب دعوة بشرية الأديان وفى مختلف القضايا التى أثارها أصحاب الشبهات : من نقد النبوة أو التشكيك فى المعجزة أو إنكار الوحى أو إعلاء العقل . أو إعلاء الاشراق .

الفصل الخامس

حركة الانتقاض والمؤامرة على الاسلام

قادت الفرق التى اعتنقت الفكر البشرى (من مانوية ومزدكية وباطنية ومجوسية) والحركات التى تشكلت فى ظلها (الزنج والقرامطة وبابك والأفشين) خطة المؤامرة على الاسلام والانتقاض عليه . قادها خصوم الاسلام من مجوس ويهود وأصحاب النفوذ القديم من الفرس ، ولم يكن هدفها العودة إلى الوثنية والمجوسية والثنوية والمانوية ولكن هدفها الحقيقى هو إخراج المسلمين من توحيد الاسلام وعقائده : إخراج المسلمين من الفكر القرآنى الربانى الذى يمثله الإسلام كعصارة له ، أى الفكر البشرى الوثنى المادى .

ولا ريب كان بعض رجال اليهود والنصرانية والمجوسية ، يضمر الكيد للإسلام منذ اللحظة الأولى التى واجه عوالم فارس والروم فكانت الحركة الأولى الباكرة التى قادها عبد الله بن سبأ والتى وسدت الطريق لحركة الانتقاض ووضعت بذور الغنوصية والوثنية والتجسيم والحق الإلهى وكل معالم الفكر البشرى السابق للاسلام والمعارض للتوحيد .

وكان عمل (عبد الله بن سبأ) هو الجانب الفكرى للمؤامرة التى برزت فى أقوى صورها فى عمل أبو لؤلؤة المجوسى ومقتل عمر بن الخطاب ، وماتبع ذلك من فتن كقطع الليل المظلم وتشكلت تلك البذرة التى أثمرت حركات الملاحدة والقرامطة والباطنية وكل مؤامرات إخراج المسلمين من فكرهم القرآنى الموحد إلى الفكر البشرى الوثنى والحلينى والغنوصى وفتح باب التأويل والوضع ، والقول

بأن للقرآن ظواهر وبواطن وإضافة البدع والمحدثات إلى العقائد والعبادات وإشباع الأذهان بالخرافات والأساطير والإسرائيليات وإفساد الشريعة والتصوف والأخلاق بوحدة الوجود والاتحاد والحلول والاشراق .

(١)

أدخل عبد الله بن سبأ اليهودى الأصل إلى الإسلام فى نطاق دعوته التى دعا إليها فقال فى المال وفى الرجعة وفى الوصية وفى الغلو فى حب على بن أبى طالب بما تخالف أصول الإسلام مخالفة صريحة . وكان أخطر مادعا إليه عبد الله بن سبأ هو (تأليه على) وكان هـذا هو مقدمة اقتحام الفكر البشرى القديم لمعاقل الاسلام .

وقد مضى ابن سبأ ينفث سمومه فى الكوفة ومصر والبصرة ، قال إنه وجد فى التوراة : أن لكل نبى وصى وعلى وصى محمد وأن عثمان أخذ الخلافة بغير حق ، وقوله : عجيب من يقول برجعة المسيح ولا يقول برجعة محمد : وقوله أن محمد خاتم الأنبياء وعلى خاتم الأوصياء :

وكل هذه أفكار زائفة لا يقرها الاسلام .

وقد وجد فى مصر جواً صالحاً وتربة حسنة فإذا سأله أتباعه ماذا يعمل : قال : ابدأوا بالطعن فى أمرائكم وحكامكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تستميلوا الناس إليكم .

وكان دعوته إلى خلافة على وصى الرسول والطعن فى عثمان وولاته .

وحرض على الشكوى من كل ناحية تصل إلى المدينة والتمرد على الولاة .

ومضى عبد الله بن سبأ يوقد نار الفتن عن طريق الفكر وإدخال المفاهيم

الزائفة من وثنية ومجوسية إلى الاسلام وكان يضع الكلام فى تعظيم الرسول وأهل بيته ويضع أقوالا فى سيدنا على تسمو به إلى درجة فوق النبوة ، بل لقد وضعه موضع الألوهية وسماه صاحب الحق فى الخلافة .

وأذاع الاشاعات الكاذبة والأراجيف الباطلة وأخذ يطعن فى أمراء عثمان ويكاتب أعوانه فى الأمصار ويحدث كل جماعة بلغة .

وعندما ذهب الثوار إلى المدينة كان ابن سبأ معهم يدير لهم الخطط ويرسم لهم سبيل الفتنة .

يقول محمد أحمد جاد المولى : استطاع ابن سبأ الذى ليس له فى الاسلام سابقة ولا فضل أن يزعزع الدولة من أطرافها وهو حر طليق » .

ولم يكن عبد الله بن سبأ وحده ولكن كان هناك كعب الأحبار ووهب ابن منبه وقد جعلوا أول همهم أن يضربوا المسلمين فى صميم دينهم فيدسون ما يريدون من أساطير وخرافات وأوهام وكانوا يزعمون أن هذه المفتريات من كتابهم ، ومن أحاديثهم حية لها سبعون ألف جناح وديكا تحت العرش إلى غير ذلك من الاسرائيليات .

(٢)

كان (روزبه بن داذويه) الذى تسمى من بعد باسم عبد الله بن المقفع هو الذى فتح باب ترجمة الكتب الفارسية واليونانية فى القصائد الوثنية فترجم كتاب مزدك والتاج فى سيرة أنو شروان وله كتاب معارضة القرآن وكان يكتب باسم النور الرحمن الرحيم وقد قال الخليفة المهدى بحق :(ماوجدت كتاب زندقة إلا وأصله بن المقفع) وترجم روزبه عن الفارسية والفهلوية كتب مانى وابن ديصان ومرقيون وسار تحت أفق ابن المقفع كثيرون .

منهم ابن الراوندى والحلاج وأبو العتاهية وبشار بن برد وعبد الكريم ابن أبى العوجاء وأبو نواس .

وقد نشط كتاب الفرس من أمثال آل نوبخت والحسن بن سهل والبلاذرى وزاردويه بن هاشويه فترجموا من الفارسية والفلسفة وكتب المجوسية والخرافات .

ومن خلال هذه الحركة ظهرت كتب الأباطيل والخرافات فى ثوب براق يستهوى الناس وهى فى مجموعها حافلة بالشبهات والمغالطات .

ولم يقف الأمر عند الترجمة وحدها بل جعلوا الشعر من وسائلهم ووجدوا فى مهاجمة العروبة مدخلا إلى مهاجمة الإسلام فعملوا على انتقاص قدرها ، وألفت كتب تمجد العجم وتحاول الانتقاص من العرب واستتبع ذلك تزييف التاريخ العربى بالزعم والافتراء وكان غيلان الشعوبى الفارسى وأبو عبيدة فى مقدمة هؤلاء . كما عملوا على تزييف الرواية وقاد حماد الراوية وخلف الأحمر حملة ضارية فى هذا المجال حتى قال المؤرخون (وفى مقدمتهم السيد المرتضى فى الأمالى) إن حماداً أفسد الشعر لأنه كان رجلا يقدر على صنعته فيدس فى شعر كل رجل منهم ما يدسه ، وقد أضافوا إلى ذلك مهاجمة اللغة العربية من حيث أنها وعاء الثقافة العربية مع إعلاء شأن اللغة الفارسية .

وفى مجال التعبير والحديث والفقه جرت محاولات للتزييف والوضع وأمامنا اعتراف (عبد الكريم بن أبى العوجاء) بوضع أربعة آلاف حديث) .

(٣)

كانت أخطر المراحل فى عصر المأمون فقد « عج بلاطه بالوافدين عليه من كل حدب وصوب من مختلف المذاهب والنحل لتشجيعه العلوم الدخيلة والعمل على انتشارها وإباحة الجهر بمختلف الآراء حتى أصبحت هذه الحرية مضرب المثل وأصبح عمله هذا مشجعاً وشاداً لأزر أناس ما كانوا ليظهروا لولا استهتاره وتهاونه فشاع فى زمنه الشك وراج الباطل وهبت الرياح الصفراء من وراء هذه الإباحية تحمل فى طياتها جراثيم المذاهب المختلفة والنحل المتعارضة وظهرت الفرق التى كانت تؤلف بآرائها وعقائدها أدياناً جديدة .

فلم تلبث الدولة إلا قليلا حتى انحطت عليها جحافل المغيرين من التتر والمغول فقوضت دعائمها وكان الكثيرون من أتباع هذه الفرق أعواناً للمغير على تحقيق هذه الغاية ، وكانت هذه الخاتمة أقصى ما يشتهيه أولئك الدخلاء الذين بثوا جرثومة الفلسفة باسم العلم والمعرفة ليقضوا على يقين الأمة ويمزقوا وحدتها » .

تلك هى أخطر المراحل التى اندست فيها كثيراً من مقررات الفكر البشرى الوثنى المستمد من النظرية اليهودية المحرفة والمجوسية إلى الفكر الإسلامى واندمجت فيه وتلونت بلونه مع الزمن .

وظهر فى المجتمع دعاة الإباحية والانحلال الاجتماعى وفى مقدمتهم الحمادون الثلاثة (حماد الراوية وحماد عجرد وحماد الزبرقان) كما ظهرت عصبة المجان : يحيى بن زياد ومطيع بن إياس وبشار بن برد وأبو نواس ، وقد أظهروا (زندقة) تحمل فى أعماقها طابع الشعوبية .

ودعا بشار إلى المجون والإباحة ودعا فى شعره صراحة إلى عبادة النـــار الفارسية ، ودعا أبو نواس إلى شرب الخمر جهاراً وحرض على الإباحة والخلاعة .

وتسربت الإسرائيليات إلى كتب التفسير وكتب الملاحم والمغازى فالتبس الحق بالباطل والواقع بالخرافة حتى قال الإمام بن حنبل أن (التفسير والملاحم والمغازى) لا أصل لها وليست لها أسانيد صحيحة متصلة .

وكانت أخطر الدعوات : تلك التى دعت إلى تقسيم الاسلام : إلى شريعة وحقيقة وإلى تقسيم أتباعه إلى أهل ظاهر وأهل باطن ، وإلى علماء رسوم وعلماء إلهام ، وبالغ بعضهم فى ذلك مبالغة شديدة حيث دعا إلى إسقاط التكاليف والعبادات فضلا عن التهام الثعابين والمشى على السيوف والرقص على نقرات الدفوف وغيره من أساليب الشعوذة والتدجيل .

وظهرت أحاديث زائفة نسبت إلى الرسول من وضع دعاة الأفلاطونية الحديثة مثل قولهم : أول ما خلق الله العقل . فقال له : أقبل فأقبل ثم قال له : أدبر فأدبر ، وقد هاجم الامام بن تيمية هذا النمط من الأحاديث هجوماً شديداً وأثبت وضعه وصلته بالفلسفة اليونانية وكذلك أحاديث (كنت كنزاً مخفياً) و (كنت نبياً وآدم بين الطين والماء) وأكد أنها أحاديث غنوصية وقد أخذت فرق الباطنية فى القديم والبابية والبهائية مثل هذه الأحاديث الباطلة ، فأشادوا عليها بناءاً زائفاً .

وكان أخطر ما حملت هذه الدعوات - ولاتزال تحمل مثيلاتها مجدداً — إلغاء التكليف والالتزام الخلقى . فقد صيغت هذه النظريات الغنوصية من وحدة وجود واتحاد وحلول وإشراق على نحو يجعلها تستهدف إسقاط المسئولية والجزاء الأخروى وإنكار البعث ، وفتح الباب للشهوات والمطامع فهى تلغى

ما أقره الاسلام من حدود أكيدة ثابتة بين الخير والشر والتقوى والاباحة والزهد واللذة والفضيلة والرذيلة ،

وقد رد إبن حزم والشهرستانى وابن تيمية وابن القيم على هذه النظريات الزائفة .

وكانت موجة التشبيه والتجسيم من أخطر ما حمل لواءه السبئية (أتباع عبد الله بن سبأ) امتد بها الزمن ونفذت إلى كل نظريات الرافضة والغلاة والباطنية .

(٤)

لا ريب أن جميع الدعوات الضالة والحركات الهدامة التى قامت فى خلال تاريخ الاسلام منذ ذلك اليوم كانت جميعها تستمد تعاليمها ووقودها من هذه الحصيلة الضخمة التى قامت قبل الاسلام وتجددت من داخله مرة أخرى لتجد من ذلك سلاحاً للانتقاص عليه وهى فى مجموعها من تراث الوثنية والهايلية والغنوصية والتثنية والتثليث والاباحة والتعدد ، وقد رمت فى مجموعها إلى تمزيق واجهة الاسلام الناصعة القائمة على التوحيد والأخلاق والايمان .

وقد قامت مجمعات القرامطة والحركات الباطنية كلها (من خلال هذه المفاهيم ومن أجل تحريف مفاهيم الإسلام : ذات المنهج الانسانى الخالص لله .

ويرى بعض الباحثين فى تاريخ الحركات الهدامة[1] إن حركة التفكير الحر فى الاسلام (ترجع فى الأصل إلى نشاط الدعوة اليهودية التى قصد بها الدعاة اليهود أن يثأروا لدينهم ولأنفسهم بهدم النصرانية والاسلام) .

« إن حركة الهدم والالحاد التى وثبت بادىء بدء فى فارس وكان قوامها :

---

(١) محمد عبد الله عنان : الحركات الهدامة .

ابن ديصيان وولده عبد الله دبرها دعاة (الـكابالا اليهودية) : أى التعاليم العبرية السرية ثم تعهدوها بالنصح والمال .

« ويقولون تأييداً لذلك أن عبيد الله المهـدى مؤسس الدولة الفاطمية الشيعية إنما هو يهودى تظاهر بالاسلام وانتحل النسبة إلى آل البيت .

« إن دعاة (الـكابالا) دبروا مثل هذه المؤامرة فى أوربا لمحـــاربة النصرانية وأنشأوا لذلك عدة جمعيات سرية تعمل فى الخفاء لبث الالحاد والتعاليم الحرة » .

« ملحـــق »

(أولا) أتباع الغنوص فى العقيدة والشريعة .

(ثانياً) أتباع الغنوص فى التصوف .

(ثالثاً) مصادر الغنوصية .

ملحق (١)

أتباع الغنوص فى العقيدة والشريعة

إنضمت جماعات كثيرة من ذوى الأهواء إلى فلسفة الغنوص : وقد تمثلت هذه المجموعات فى خصوم الإسلام ممن اضمروا المجوسية وأعانوا الإسلام تقية ، ومن أصحاب النفوذ القديم وآلهم . ومن الطامعين فى مجال الأهواء واللذات ، ومن ثم فقد برزت « جماعات كثيرة ذخرت بهم أسواق الأدب ومجالس الأمراء وقصور الخلفاء وانبثوا فى الحانات والأديرة والأندية يتغنون بشعرهم ويثيرون آرائهم دون تحفظ أوخجل .

« وتابعت جماعات المجان والزنادقة الذين يستهزءون بالقرآن والصلاة والحج وينكرون البعث والحساب والملائكة والجنة ويعتقدون بتناسخ الأرواح وإرجاع الأشياء إلى أصلين : هما النور والظلمة ومنهم من يميل إلى أكل النبات ويمتنع عن أكل اللحوم » .

(١)

وكان ابن المقفع (روزبة بن دازويه) فى مقدمة حملة هذه الدعوات وقد بقى أميناً لعقيدته المجوسية إلى زمن الدولة العباسية حيث أسلم على يد عيسى ابن على عم المنصور وترجم كتب مزدك وابن ديصان ومرقيون وألف فى الطعن فى القرآن . وفى طريقه ساريشار بن برد الذى عرف بإفحاشه فى الهجاء والغزل القبيح .

وقد واجهه الخليفة المهدى وقال له : أتحض الناس على الفجور وتقذف المحصنات والمخبآت وكان يدين بالرجعية ويكفر جميع الأمة ويصوب رأى ابليس

فى تقديم النار على الطين وينكر البعث والحساب ويفضل شعره على القرآن وكان متعصباً لقومه على العرب وكذلك ظهر (أبو العتاهية) الذى يكشف شعره عن الأثنينية المجوسية فى الخير والشر والنور والظلمة وقد أخذها من المانوية. وعندما مال إلى الزهد قوى ذلك إتهامه بالزندقة لما انتشر فى شعره من معانى الوثنية والتعدد ، بل أن هذا الزهد الذى عرف به إنما هو مبدأ أصيل من مبادىء المانوية .

وكان أبو نواس من أبرع هؤلاء الدعاة وقد أولى الخمر والغلمان اهتماماً كبيراً ، يستخف بالعقيدة وينشر الضلال والزندقة . وهو من كبار الثنوية وقد ثبت تأثره بالمانوية والمزدكية وقد حمل الدعوة إلى التحرر من القيود والتمتع بالملذات وأعلن إنكار البعث ولم يؤمن إلا بما يقع عليه الحس .

أما الغزل بالمذكر فقد كان جزءاً أساسياً من المانوية كما ذكر ذلك البيرونى: وقد أكد الباحثون (ومنهم حمزة الأصبهانى جامع ديوان أبى نواس) إن أبا نواس هو الذى ابتدع الغزل بالمذكر وهو الذى أدخل إلى الأدب العربى افتتاح القصائد بالخمر بعد أن كانت تفتتح بالتغنى بالاطلال .

وشهد الباحثون أن فى شعره مظاهر واضحة من المانوية والمزدكية من حيث إثارة الشك فى العقيدة ومراجعة الدين والإباحية المطلقة والغزل بالمذكر ومن هؤلاء الدعاة صالح بن القدوس وابن الراوندى .

(٢)

وابن الراوندى يهودى الأصل وقد كان أباه يدين باليهودية ثم أسلم وقد كشفت الوقائع خطره وعمله فقد روى أن بعض اليهود قال لبعض المسلمين : « ليفسدن عليكم هذا كتابكم كما أفسد أبوه التوراة علينا » .

وكان أبوه قد انشق لأمر ما عن أهل طائفته ثم أخذ يثير عليهم عجاج الجدل

والمشاغبة (كما فعل ابنه من بعد) فلما لم يتم له ما أراد انقلب مسيحياً نكاية فى بنى دينه اليهود .

وقد حذق ابن الراوندى أساليب المعتزلة فى الكلام ثم استغلها للهجوم على الإسلام : قال البلخى : إنه كان فى أول أمره حسن السيرة حميد المذهب ولم يلبث أن انسلخ عن الدين وأظهر الإلحاد والزندقة وطردته المعتزلة فوضع الكتب الكثيرة فى مخالفة الإسلام .

ومن ثم ظهرت معارضاته للقرآن الكريم ومهاجماته للكتب المنزلة ثم وضع التأليف للرافضة ضد أهل السنة والاعتزال .

قال أبو العباس الطبرى : إن ابن الراوندى كان لا يستقر على مذهب ولا يثبت على حال حتى أنه صنف لليهود كتاب (البصيرة) رداً على الإسلام لاربعمائة درهم أخذها فيما بلغنى من يهود سامرا فلما قبض المال رام نقضه حتى أعطوه مائة درهم أخرى فأمسك عن النقض[1] .

وقال آخرون أن طريقة ابن الراوندى فى حياته المذهبية هى التلاعب بالفرق وبالملل وبأهل كل منها يمدح اليوم مذهباً ويحقر آخراً .

ومن كتبه الملعونة : كتاب التاج يحتج فيه على قدم العالم وكتاب (الزمردة) وكتاب (القرنة) فى الطعن على النبى وكتاب (اللؤلؤة) فى تناهى الحركات .

وفى مختلف كتبه أثبت الالحاد وأبطل التوحيد وجحد الرسالة .

يقول سليم خياطه فى ختام بحثه عن ابن الراوندى[2] .

« نسجل اعجابنا بهذه المدنية الإسلامية السمحة التى كانت تأذن لأمثال

---

(١) د/ معاهد التنصيص : عبد الرحمن العباسى .

(٢) المقتطف : أبريل ١٩٣١

أبن الراوندى بهذا الاجتراء على عقائدها ، وبهذا التهجم والتنقص من تفكيرها وهى ساكنة هادئة تولف الكتب رداً عليها ودحضاً لما انهال به عليها من (زيف).

وإن تاريخ المدنيات القديمة لا نروى لنا سيرة أى جرىء متهور بلغ به تهوره إلى الحد الذى بلغ بصاحبنا » .

* * *

ونستطيع أن نضيف إلى هؤلاء : هذا الحشد من وضاع الكتب فى الانتحال والترجمة من أمثال أبو عبيده وعلان الشعوبى وحماد الراوية وخلف الأحمر وابان بن عبد الحميد اللاحق والفضل بن اسماعيل، وكل هؤلاء كانوا من الزنادقة الثنوية ينتمون إلى المانوية والمجوسية .

ملحق (٢)

أتباع الغنوص فى التصوف

هوجم ابن عربى من أجل القول بوحدة الوجود .

وقد رد عليه ابن الخياط والحافظ الذهبى وابن تيمية وابن اياس والتفتازانى وقد تأثر ابن عربى بالفكر اليونانى والفكر الغنوصى . وكانت نظريته فى مظهرها وجوهرها غريبة عن طبيعة الإسلام القائمة على الفطرة والتوحيد والبعيدة عن تعقيدات الكلى والهيولى والصدور وغيرها من مصطلحات لم يعرفها صدر الإسلام ولم تجر على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم .

وهى نظرية لا تتفق مع ظاهر الشرع ولا مع العقل الذى يأبى أن يجعل الله حالا فى العالم كله (تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا) .

هذا فضلا عن أن القول « بوحدة الوجود لا يتفق مع إقامة الأخلاق على أساس وثيق » .

فان وحدة الوجود تنكر المسئولية الفردية التى هى أساس الجزاء الأخروى .

ومن آراء ابن عربى الخاطئة المعارضة للإسلام : قوله ان من وصل إلى درجة معينة فى العبادة يباح له أن يتجاوز حدود ما أنزل الله .

وقد تابع ابن عربى فى هذا الرأى كثير منهم الشعرانى الذى نقل مثل هذه الآراء فى كتابه (اليواقيت والجواهر) ويعلق السيد محمد رشيد رضا على هذا الاتجاه فيقول[1] : إن لشذاذ الصوفية القائلين بوحدة الوجود أقوالا كثيرة

---

(١) جـ ٣ تفسير المنار ص ٣١٦

مخالفة لعقـــائد الإسلام القطعية المعلومة من الدين بالضرورة كقول بعضهم (ما الكلب والخنزير إلا إلهنا) وقول عبد الكريم الجيلى إن النصارى إنمـا كفروا بحصر الألوهية فى المسيح وحده لا فى إثباتها له .

وقال : إن ابن عربى يتكلم عن حظ المؤمن من النبوة ، ووحدة الإلهام فى الرؤيا واليقظة دون وحدة التشريع للأنبياء الذى هو من كلام الله . وقد اختلف الرأى فى ابن عربى لعبارته الرمزية التى حاول بها إخفاء مقصده وإبهامه من وراءها ، فاعتقد قوم بضلاله وعد مبتدعا اتحاديا وشك قوم فى أمره ، وفوضت جماعة أمره إلى الله .

وقد أشار الدكتور عبد الله عفيفى إلى المصادر التى استقى منهـا ابن عربى فلسفته الصوفية فردها إلى الهلينية والغنوصية . وكشف عن الفرق بين ابن عربى والحلاج فقد أخذ ابن عربى بمذهب وحدة الوجود وأخـذ الحلاج بمذهب الحلول .

وكلاهما خارج عن الاسلام هذا بفرضه وحدة الكون والله تبـارك وتعالى والثانى بأثنيته (القائلة بأن هناك حقيقة إلهية وحقيقة بشرية) .

وأشار الدكتور عفيفى إلى أن كتبه حافلة بما استعار من ألفاظ : أفلاطون وأرسطو وأفلوطين .

ويقول لويس ماسنيون أن عقيدة الحلاج كانت شديدة الصلة بالمسيحية والفلسفة الهندية واليونانية .

وقد ذهب الحلاج مذهبا غريبا لحاول أن يؤيد نظريته الوافدة بتأويل القرآن والحديث ولاريب أن التعمل واضح مما ذهب إليه لأنه حاول أمراً

لاتقبله الفطرة ولايقره العقل وهو أن يجعل الله تبارك وتعالى هو العالم كله [١].

وقد أثارت فكرة وحدة الوجود وخاصة فى كتابات ابن عربى رد فعل عنيف لتعارضها مع أصول الاسلام واعتبرها المحدثون والمفسرون والفقهاء وعلماء الكلام والصوفية السنيون ، عقيدة متناقضة مع العقيدة الاسلامية تناقضاً مطلقاً بحيث لا يمكن التوفيق بينهما بأى وجه من الوجوه .

ولقد سمى (اسين بلاسيوس) كتابه عن ابن عربى « الاسلام المتنصر » .

Elslam Cristiani Zada

وأخطر آراء ابن عربى هى قوله بما تقول به الباطنية من أن للقرآن وجهين : ظاهر وباطن . وأن الفقهاء وقفوا عند الظاهر دون أن يدركوا المعنى الباطن الذى أدركه هو وأداه إلى هذا القول الزائف كذلك تتسم كتاباته بالألغاز والتعميات .

وقد ادعى أن علم الصوفية سر لا يفشى لأهل الظاهر وذهب مذهب رجال الكنيسة وكانت أفكاره فى مجموعها قريبة من أفكار اللاهوت المسيحى ، ولا ريب أن ابن عربى ثمرة من ثمار جماعة أخوان الصفا ومفاهيم القرامطة والباطنية والفلاسفة الذين انتحلوا مذهب أرسطو ممزوجا بالأفلاطونية الجديدة .

يقول دكتور أبو العلا عفيفى : مذهب ابن عربى ينظر إليه من ناحيتين : الفلسفة البحتة ، وناحية الصوفية .

فهو من الناحية الفلسفية لاشك من أتباع المذهب الأفلاطونى الجديد الذى

---

(١) دكتور محمد يوسف موسى : فلسفة الأخلاق

عرفه لا فى أصله بل عن طريق أخوان الصفا ، أما فى الناحية الصوفية فهو يشارك الحلاج فى أسلوبه ومنهجه ويختلف عنه فى عاطفته .

ويقول أن ابن عربى استمد الكثير من مادة مذهبه من رسائل أخوان الصفا ولاسيما الأجزاء التى لها أصلها من الأفلاطونية الجديدة والتى أدخل عليها أخوان الصفا عناصر غريبة من مذاهب أخرى : أغريقية أو مسيحية أو فارسية الأصل .

هذه العناصر منها مذاهب الأغريق على اختلاف طبقاتهم تتخللها عناصر مستمدة من المذهب المانوى أو الزرادشتى ممزوجة بشىء من التصوف الاسلامى وآراء المتكلمين مضافا إليها قليلا أو كثيراً من القرآن والحديث [1] .

(ويشير الدكتور أبو العلا إلى أثر أخوان الصفا فى شهاب الدين السهروردى المقتول) ، وعبد الحق بن سبعين الأندلسى .

كما تأثر ابن عربى فى نظريته بفلسفة فيلون اليهودى الاسكندرى وفلسفة الرواقيين ويختم رأية فى الحلاج فيقول :

لم يكن الحلاج فيلسوفاً بأى معنى من معانى الكلمة ولكنها شطحات تعبر عن وجدان عميق عتيق ، وإن العبارات وقعت فى نفس ابن عربى موقعا خاصاً فأولها ، ومعنى هذا أن التأويل هو أبرز مفاهيمه وبالجملة فان الحلاج من نتاج الفكر البشرى الوثنى الهلينى الغنوصى ، ولقد واجهه الكثيرون ودحضوا زيف آرائه وفى مقدمتهم السراج البلقينى والسيوطى .

---

(١) م ١/ج١ مايو ١٩٣٣ مجلة كلية آداب القاهرة .

(٢)

أما الحلاج فقدكان سابقا على ابن‌عربى : وهو رجل مجوسى الأصل اشتغل بالمخارق والحيل وادعى العلم بالأسرار ثم تناهى إلى ادعاء النبوة ثم الربوبية ، واستغوى غلمان قصر المقتدر بالله العباسى لينفذ بهم إلى تحقيق غايته فى قلب الدولة وتسليمها للقرامطة فأدى ذلك إلى قتله .

وذكر إمام الحرمين فى كتابه (الشامل) أنه كان بين الحلاج وبين الجنابى رئيس القرامطة اتفاق سرى على قلب الدولة وأن هذا هو السبب الحقيقى فى قتل الحلاج .

وقد أجمع المؤرخون على أن سبب قتله هى تهمة القرمطية فقد ثبت أنه كان وكيلا لهم والقرامطة سفكوا الدماء وخربوا البلاد وأنشأوا لهم عاصمة فى هجر وحملوا إليها الحجر الأسود فظل بها نحو ثلاثين عاما .

(٣)

حمل السهروردى لواء فكرة الاشراق واستمدها من الفلسفة الهايلية والغنوصية ، وتجد مادتها فى المجوسية والمانوية وغيرها .

وقد عرف السهروردى بأنه فارسى من أزربيجان من دعاة الباطنية المعروفين بالتأويل وقد وصفه صاحب النجوم الزاهرة بأن زيه كان زرياً منكراً رزى الخلقة ، دنس الثياب وسخ البدن لا يغسل له ثوبا ولا جسما ولا يدا ولا يقص ظفرا ولا شعرا . وزادوا على ذلك فقالوا : إن القمل كان يتناثر على وجهه ويسعى على ثيابه وأن كل من يراه يهرب منه » .

وقد وصفه تلميذه السهروردى : فى كتابه نزهة الأرواح : أنه كان مستوى القامة يضرب شعره ولحيته إلى الشقرة ، وكان يميل إلى السماع ويبدى احتقاراً

شديد لكل مظاهر السلطان والأبهة ، ثيابه مهلهلة ، وصف بأنه الحربندا (كلمة فارسية معناها مكارى) (أى حمار) وقد أشارت كتب كثيرة إلى قذارته منها (آثار البلاد وأخبار العباد للقزوينى وأعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ج ٤).

ولاريب أن هذه الصورة لايقرها الاسلام وأن الاسلام دعا إلى النظافة، وكان النبى أنظف الناس وكان يعرف بريح المسك .

ملحق (٣)

مصادر الغنوصية

استقت «الغنوصية» مفاهيمها من عقائد وفلسفات ومذاهب متعددة عرفها الفكر البشرى قبل الإسلام وكلها فرق تحركت فى إطار الوثنية وعارضت مفهوم التوحيد :

١ - البوذية والبرهمية . والمانوية والمزدكية والدهرية والأفلاطونية الحديثة .

فقالت « الدهرية » بقدم العالم وان العالم بلا إله ولا صانع ، وهم ينكرون وجود الخالق جل وعلا وان الدهر قديم ، ويقولون بأن الأشياء ليس لها أول البته وإنما تخرج من القوة إلى الفعل فإذا خرج ما كان بالقوة إلى الفعل تكونت الأشياء من ذاتها لا من شيء آخر .

وقال الطبيعيون بأن التراب والماء والنار والهواء هى أصول كل شيء .

وقالت الثنوية : أن صانع العالم إثنان : الخير والشر والنور والظلام وهما قديمان لم يزالا .

وقالت البرهمية : (ومنها دهرية وثنوية) بتعظيم النار والنهى عن القتل والذبائح وإباحة الفاحشة وعبادة البقر ، وقامت (أى البرهمية) على التناسخ (إنتقال النفس من جسد إلى جسد) والتثليث (براهما ، فنشوا ، سيفا) والتجسد وإنكار وجود الله والآخرة لأنهما غير محسوسين .

وقالت «الصابئة» بعبادة الملائكة واعتبروها آلهة وقالوا ان العالم لايفنى .

وقالت « المجوسية » بعبادة النار والصلاة إلى الشمس . ومنعوا الإغتسال تعظيما للماء واستعملوا بدلا منها بول البقر ولا يرون ذبح الحيوانات ، كما أحلوا أكل الميتة وقالوا أن الأرض لا نهاية لها .

وقالت « المزدكية » بشيوعية المال والنساء ، وقد أدت دعوتهم إلى إنتشار الإباحة والفوضى الأخلاقية وقد اعتنقها آلاف الناس إرضاء لشهواتهم .

وقالت المانوية بأن خالق الكون هو إله الشر .

ودعت « البوذية » إلى تجريد النفس وقمع الشهوات ورفض متاع الحياة وقالت بالتجسد والتقمص والتناسخ .

وقد اتسم طابع الفلسفات الشرقية (الغنوصية) بصيغة شعرية ، لا صيغة عقلية ورضيت فى كثير من مواقفها بالتعبير الشعرى المملوء بالمجازات والاستعارات والخيالات .

وأن من يقرأ عصارة الفكر البشرى وحصيلة التراث القديم يرى كيف تراكمت آراء ونزعات متضاربة فاسدة غاية التضارب والفساد ، تقوم على الإباحة والشك والضلال والاضطراب ، أين منها ذلك الدين القيم « الإسلام » القائم على التوحيد .

وقد أخذ القرامطة شيوعية الأموال التى دعا إليها مزدك ، وأدخلت فى التصوف وحدة الوجود والحلول والاتحاد والإشراق .

الباب الخامس

الفلسفة المسيحية الغربية

(١) أصول الفلسفة المسيحية الغربية

(٢) مسيحية بولس

(٣) المسيحية والدولة الرومانية

(٤) تداخل المفاهيم وانحراف التفسيرات

(٥) الأناجيل

(٦) الكنيسة

(٧) الرهبانية

الفصل الأول

أصول الفلسفة الغربية المسيحية

لم تكن رسالة المسيح عيسى بن مريم التى جاء بها من عند الله إلا إحدى ديانات بنى إسرائيل التى توالت بعد رسالة موسى عليه السلام ، وهى رسالات خاصة باليهود ومكملة للرسالة الأم أو محررة لمفاهيمها أو مركزة على عنصر معين منها مايكون قد أصابه من الفساد ، وقد توالى أنبياء بنى إسرائيل بالرسالات خلال هذه الفترة التى سبقت رسالة المسيح عيسى بن مريم (ومنها طالوت وداود وسليمان والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى) ثم جاء المسيح عيسى بن مريم رسولا إلى بنى إسرائيل فى ختام هذه الرسالات المكملة وكانت رسالته تركز بالأهمية على الزهد فى مواجهة العسف والتكالب المادى الذى وصل عند اليهود إلى أقصى مدى وتركز على التسامح فى مواجهة التحدى والانتقام الذى عرفوا به.

ومعنى هذا إن رسالة المسيح عيسى بن مريم هى ديانة قومية تعد حلقة فى سلسلة ديانات ورسالات أرسلها الحق تبارك وتعالى إلى بنى إسرائيل وتحمل طابع الأخلاقيات والروحيات وهى فى جملتها مجموعة من الوصايا التى تصحح الجوانب التى أصابها الاضطراب من الديانة اليهودية .

وقد سجل المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ذلك حين قال :

ما جئت لأنقض الناموس ولكن جئت لأكمل .

فلم تكن رسالة المسيح عيسى بن مريم رسالة مستقلة ولا دينـاً عالمياً

ولكنها كانت عملا مكملا خاصاً لليهود فى ظل تحديات خطيرة انحرفت عنها الرسالة الأصلية حين غلب تكالب اليهود على المال وبلغ الربا أقصى مداه وبلغ اليهود غاية الظلم والعسف والانتقام ، فكانت رسالة المسيح عيسى بن مريم هى عمل مكمل ومصحح لا تنقض (الناموس) الديانة الأصلية ولا تخــرج عنها ولا تسن شريعة خاصة .

ومن هنا فإن المسيح وأتباعه الذين أطلقوا على أنفسهم النصارى أو المسيحيون وقد وجدوا معارضة شديدة من اليهود ، ومقاومة لاحد لها عرضت السيد المسيح نفسه للخطر على النحو الذى عرف « من تألب رؤساء الدين عليه حتى صدر أمر الحكومة الرومانية بطلبه فطلبوه ليوقعوا عليه حكم الصلب فنجاه الله منهم برفعه إليه كما ورد فى القرآن » .

٢ — كما تعرضت حياة أتباعه والحواريون للخطر والاضطهاد سنوات طويلة .

ومن هنا فالمسيحية السماوية المنزلة التى دعا إليها السيد المسيح كانت ديانة موحدة تدعو إلى الزهد فى الدنيا والتطلع إلى الآخرة ، وتجنح إلى التخفيف من قسوة المادية التى وصل إليها اليهود فى هذه المرحلة من حياتهم .

فالمسيح عيسى بن مريم فى الحقيـــقة التى تكشف عنها وقائع التاريخ والدراسات الصحيحة والمصادر الأصيلة وفى مقدمتها القرآن الكريم هو آخر أنبياء بنى إسرائيل، أرسل إليهم خاصة ليذكرهم بالتوراة التى أنزلت إليهم والتعاليم التى جاء بها من سبقه من الرسل والأنبياء وليبين لهم العقائد الصحيحة التى تركوها واعتنقوا غيرها من العقائد الباطلة الفاسدة .

«وقد شملت رسالة عيسى كما جاءت فى القرآن جميع العقائد الأساسية فى الدين : الإيمان بالله الواحد الأحد والإيمان برسالة الأنبياء والمرسلين والتصديق برسالة موسى والبشارة برسالة محمد .

(إنى رسول الله إليكم جميعاً مصدقاً لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى إسمه أحمد) .

وهى إلى ذلك تقوم على الإيمان بالبعث والقيامة والجزاء والجنة والنار .

٣ – وتعاليم السيد المسيح تركز بالأخص على الحب والتسامح والصبر وعدم الإيذاء أو التفكير فى الانتقام وقد صور السيد المسيح مفهومه هذا فى قوله المشهور :

« قد سمعتم أنه قيل أحبب قريبك وابغض عدوك أما أنا فأقول أحبوا أعداءكم وباركوا لاعنيكم وأحسنوا إلى مبغضيكم ،لا تقاوموا الشرير، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر ، ومن أراد أن يخاصمك و يأخذ ثوبك فخل له رداءك أيضاً ومن سخرك ميلا فامش معه ميلين » .

٤ – يمكن القول أن رسالة السيد المسيح المكملة للناموس إنما جاءت محررة للمجتمع اليهودى والرومانى من الانحراف الذى أصابه ومن إيغاله فى الوحشية والمادية والقسوة والترف .

ومن المقطوع به أن عيسى لم يجىء بأمر جديد من أصول الدين ولا بأمر من أمور العبادات التى لم تكن معروفة من قبل وإنما ركز على عناصر معينة هى من أصل الدين اليهودى ثم انحرف اليهود بها عن أصولها فجاء ليعيد لها مكانها الصحيح وهى أمور التسامح والزهد والأخلاق والحب ودفع الشر ،كما أنه جاء ليحل لليهود بعض الذى حرم عليهم .

الفصل الثاني

مسيحية بولس

فى العام الثامن للميلاد ظهر أحد دعاة المسيحية الذين كان لهم فى تاريخها أبعد الأثر ، ذلك هو (شاءول) اليهودى الرومانى الذى كان فى أول عهده من أعظم أعداء المسيحية ومن أنشط المضطهدين لفئة الحواريين القليلة العدد ، فأنزل بهم ألوانا من الاضطهاد والقتل والتعذيب ، ثم تحول فجأة إلى المسيحية وغير اسمه فجعله (بولس) وهو الذى يعد فى الحقيقة مؤسس المسيحية الغربية المعروفة .

وذلك بعد أن وضع النهاية لرسالة المسيح عيسى بن مريم التى جاءت من السماء والتى كانت إحدى ديانات بنى إسرائيل والمكملة لرسالة موسى ، فقد أخرجها بولس من أصولها جميعا وأنشأها خلقاً آخر .

ذلك أن بولس كان على إلمام كامل بالفلسفة اليونانية فى عصره ، وكان عالماً باليهودية والميثرائية وديانة ذلك الزمان الذى تعتنقها الإسكندرية ومن ثم فقد نقل إلى المسيحية خيوطاً مختلفة من هذه الفلسفات والأديان وصاغها على النحو الذى شكل به هذه العقيدة الجديدة التى لم يقل بها المسيح والتى باعدت بين دعوته الربانية السماوية المتصلة برسالة التوحيد الأساسية وشكلت تلك الصورة المعقدة التى تكمن فى « التثليث » و « الفداء » و « الصلب » .

وفى عديد من النصوص التى أثبتها الباحثون نجد هذه الحقيقة واضحة :

* * *

يقول بيرى :

« كان عيسى يهوديا وقد ظل كذلك أبداً ولكن شاءول كون المسيحية على حساب عيسى فشاءول الذى سمى فيما بعد (بولس) هو فى الحقيقة مؤسس المسيحية وهو يمتاز بأنه صاحب دراية فى السياسة والابتكار .

« أدخل بولس على ديانته بعض تعاليم اليهود ليجذب إليه العامة من اليهود وأدخل صوراً من فلسفة الأغريق ليجذب اليه إتباعا من اليونان » .

فبدأ يذيع أن عيسى منقذ ومخلص وسيد (Lord) استطاع الجنس البشرى بواسطته أن ينال النجاة ، وهذه الاصطلاحات التى قال بها بولس كانت شهيرة عند كثير من الفرق اليهودية فانحازوا إلى ديانة بولس ، وعمد كذلك ليرضى المثقفين اليونان فاستعار من فلاسفة اليونان فكرة اتصال الاله بالأرض عن طريق الكلمة (فيلون) أو ابن الاله أو الروح القدس .

بدأ بولس ديانته فى أنطاكية حيث نشأ لأول مرة التعبير الشهير (المسيحية Crristian) وبدأت تنتشر هذه الديانة فى المدن حيث تكثر الحاجة والفقر ، فبولس هو المؤسس الحقيقى للديانة المسيحية وقد طور فكرة « المسيح » من الناحية اللاهوتية والناحية الإنسانية وجعلها تتناسب مع فكرة الانقاذ القديمة فقدم أدابا مستحدثة فى طابع قديم مألوف وبهذا فصل دعوة عيسى عن اليهودية .

ولم ينفر بولس من الطقوس الوثنية بل على العكس اقتبس كثيراً من هذه الطقوس ليضمن نشر ديانته بين الوثنيين وليبعد ديانته عن أن تذوب فى اليهودية ومنها أن جعل عطلة الأسبوع يوم الأحد وأهمل يوم السبت وهو اليوم المقدس عند اليهود كما غير أيام الأعياد ، وعيسى أصبح ابن الله حملت به أمه العذراء عملا غير طبيعى واحتلت صورة العذراء والمسيح مكانا مقدساً احتلته قديمة صورتا حورس وأوزيريس ووضعتا فى كل الكنائس »(١) .

---

(١) الأديان العالمية : بيرى Berry

« وعلى الرغم مما أخذت المسيحية من الوثنية لم تصر المسيحية وثنية في روحها بل ظلت متمسكة بتحفظها الديني الذي ورثته عن اليهودية كما حافظت على ابتعادها عن الناحية الجسمانية والشهوانية » .

٢ — ويقول هـ.ج.ولز :

كان القديس بولس من أعظم من أنشأوا المسيحية الحديثة وهو لم ير عيسى قط ولا سمعه يبشر النـاس ، وقد أوتى ذلك الرجل قوة عقلية عظيمة كما كان شديد الاهتمام بحركات زمانه الدينية ، فتراه على علم عظيم باليهودية والميثرامية وديانة ذلك الزمان الذي تعتنقها الاسكندرية ، فنقل إلى المسيحية كثيراً من فكراتهم ومصطلح تعبيرهم ولم يهتم بتوسيع فكرة عيسى الأصلية وتنميتها وهي فكرة ملكوت السموات ولكنه علم الناس أن عيسى لم يكن المسيح الموعود فحسب ، ولا زعيم اليهود الموعود فقط ، بل إنه ابن الله نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قرباناً ويصلب تكفيراً عن خطيئة البشر فموته كان تضحية مثل ممات الضحايا القديمة من الآلهة في أيام الحضارات البدائيـة من أجل خلاص البشر . وقد استعارت المسيحية أشياء كثيرة من هذه الديانات كالقسيس الحليق وتقديم النذور والهياكل والشموع والترتيل والتماثيل التي كانت لعقائد متراس الاسكندرية بل تبنت أيضا حتى عباراتها وأفكارها اللاهوتية .

«وراح القديس بولس يتقرب إلى عقول تلاميذه بالفكرة الذاهبة إن شأن عيسى كشأن أوزيريس : كان رباً مات ليبعث حياً وليمنح الناس الخلود »[١].

* * *

ومن هـذين النصين ونصوص أخرى كثيرة مماثلة يتكشف تحول الدين

---

(١) مختصر تاريخ العالم : هـ . ج . ولز .

الذى جاء به المسيح عيسى بن مريم إلى دين جديد أقامه بولس وأخرجه عن جميع الملامح والصلات والقيم التى كان قائما عليها :

(أولا) حول المسيحية من دين مكمل للرسالة التى جاء بها موسى إلى دين عالمى، فقد كان بولس هو أول من فصل المسيحية عن اليهودية وقال بعالميتها والانتقال بالمسيحية من بساطتها الأولى إلى الفكرة الفلسفية المعقدة[١] .

(ثانيا) دعا بولس إلى مخالفا للأصول الحقيقية لدعوة السيد المسيح ومعارضا لها بأن المسيح هو ابن الله الحى الذى بعثه الله ليكون فداءاً للبشرية وكفارة عن ذنوبها وخطاياها منذ ما أسماه خطيئة آدم ، وأن المسيح ابن الله قد ظهر وتجسد على الأرض ، وصلب ومات ليكون موته كفارة عن ذنوب البشر .

(ثالثا) قال بولس بالتثليث .

(رابعا) وضع رسائل تعد الآن مصدر التشريع فى المسيحية . فقد شرع قوانين للمسيحيين يبتغونها فى حياتهم العامة ، فهو الذى أوصى بما نراه اليوم فى الكنائس من التسابيح والأغانى الروحية والمزامير والتراتيل وهو الذى قال بعدم وجوب الختان .

* * *

يرد الكثير من الباحثين عمل بولس إلى مخطط اليهود القائم على تحريف الأديان وتبنى الفلسفات المادية والوثنية على مدى العصور من أجل تأكيد خطتهم الأساسية فى السيطرة العالمية وإخضاع العالم للربا والإباحية .

وهى رسالة قديمة عاشوا لها وظلوا يتعاورونها على مدى العصور ، وقد

---

(١) أحمد شلبى وفريد وجدى وأحمد حسين وعمر عنايت .

جاءت نبوة موسى عليه السلام لتحريرهم منها غير أنهم لم يلبثوا قليلا حتى حرفوا الرسالة وزيفوا الكتاب (التوراة) وأدخلوا فكرهم فى التوراة نفسها بعد تحريفها ورفع ما يتعارض مع أهوائهم : « تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً » .

ثم كانت المشنا والتلمود تفسيراً وتأكيداً لهذا الاتجاه وفى العصر الحديث ظهرت البروتوكولات وكما زيف اليهود التوراة والدين الذى أرسل به موسى، وأفسدوا كل ما جاء به الأنبياء الذين أرسلوا من بعد موسى إليهم ، كذلك فعلوا برسالة المسيح عيسى بن مريم ، وكان بولس (الحبر اليهودى شاؤول) هو الذى حمل لواء هذا التغيير على النحو الذى نقل دعوة عيسى من حيث هى رسالة تكميلية إلى بنى إسرائيل إلى ديانة عالمية ثم نقلها من حيث هى دعوة إلى التوحيد إلى التثليث ومن حيث أن المسيح رسول الله إلى القول بألوهيته ومن حيث أن صلب المسيح إنما هو محاولة أنقذ الله منها نبيه عيسى إلى عمل وقع من أجل الفداء والتكفير عن خطيئة البشر .

ولم يقف بولس عند هذا بل إنه أضاف وحذف كثيراً من أصول الدين الذى جاء به المسيح عيسى بن مريم على النحو الذى انحرف به انحرافاً كاملا عن مصادره وقيمه بما أصبح ديناً جديداً باسم المسيحية الغربية .

وقد كسب اليهود القائمون على فلسفة الربا والإباحة من هذا العمل كسباً كبيراً فقد عزلوا ذلك الرباط القائم فعلا بين دعوة موسى بالتوراة وبين دعوة عيسى بالإنجيل كآخر أنبياء بنى إسرائيل . كما نقلوا المسيحية من دين توحيدى سماوى له سماته البسيطة الفطرية إلى فكرة فلسفية معقدة .

فضلا عن أن كل ما دعا إليه بولس لم يقل به المسيح ولا أحد من أصحابه وحوارييه .

وقد اتجه بولس بالمسيحية على النحو الذى صاغها عليه إلى شعوب الإمبراطورية الرومانية بعد أن لم يقبل بها أهل الشام .

وفى نطاق الامبراطورية الرومانيه تحرك بولس على النحو الذى حقق به انتشار دعوته فقد عمل على إرضاء مختلف الطوائف الوثنية والقادة والحكام بإضافات مختلفة اختارها من الفلسفات القديمة والأديان الوثنية

« وطلب من العبيد الذين اعتنقوا المسيحية أن يطيعوا سادتهم وأن يخدموهم فى أمانة وإخلاص مهما عذبوهم أو قسوا عليهم وأن يخضع الكل للسلاطين والحكام من غير تذمر أو احتجاج »[١] .

وقد كان هذا عاملا من العوامل التى تركت السلطات له حرية العمل . كما أعفى المسيحيين الجدد من فريضة الختان التى كان اليهود يفرضونها على أنفسهم ، كما أعفاهم من كل الطقوس والعبادات .

* * *

وقد أجمل بعض الباحثين « إضافات بولس » إلى المسيحية وتحريفاته لها وفق الخط الذى أراده لتغيير جوهرها على هذا النحو[٢] :

(١) جعلها دعوة مفتوحة لغير اليهود من جميع الأمم ولو أدى ذلك إلى التساهل فى بعض التشريعات والطقوس إلى تضايق الوثنيين كالختان والسبت وتحريم الخنزير .

(٢) إخراج المسيحية من البساطة اليهودية إلى تعقيدات الفكر اليونانى وهو أول من أتاح للمسيحية امتصاص الكثير من المعتقدات والطقوس الوثنية وخصوصاً اليونانية .

(٣) جعل اللاهوت المسيحى قائماً على أن كل إنسان مذنب منذ ولادته

---

(١) دكتور أحمد شلبى .

(٢) عبده فراج : معالم الفكر الفلسفى .

ووارث لخطيئة آدم ومستحق للعذاب الأبدى وأن الله قد أرسل ابنه المسيح إلى العالم ليكفر عن خطيئة الناس بموته على الصليب فداء لهم .

(٤) أدخل بولس فى المسيحية عقيدة الكلمة (اللوجوس) التى كان يقول بها فيلون اليهودى فى الاسكندرية كما أدخل عقيدة التجسيد والواقع أن عقيدة الخالق بالكلمة من أقدم العقائد ويمكن الرجوع بها إلى كهنة ممفيس .

(٥) انتهى إلى عقيدة جديدة تمزج المسيحية بالأفلاطونية الجديدة وكذلك بالمعتقدات المصرية والفارسية والهندية وقولهم بإلهين أحدهما إله الخير وهو إله المسيحية فى (العهد الجديد) لأنه يدعو إلى الحب والسلام والصفح عن الأعداء والآخر إله الشر وهو يهوه إله اليهودية فى (العهد القديم) لقسوته وحبه للانتقام وحكمه بأن العين بالعين .

* * *

ويربط بعض الباحثين بين بولس فى المسيحية وعبد الله بن سبأ فى الإسلام وكلاهما يهودى دخل ديناً جديداً لافساده وضربه من الداخل وتحريفه[1] .

ويردون دخول بولس إلى المسيحية إلى عداوته التى عرفت من قبل ، والتى اتخذت نفس الطريق الذى يتخذه اليهود عادة ، من الانتقال إلى الدين الذين يريدون تخريبه والعمل من داخله . وقد اتخذ بولس هذا الأسلوب ووجد فرصة متاحة فى فترة وصلت فيها المسيحية إلى حالة بعيدة من الضعف فاستعمل سلاح التزييف فأتى على حقائقها الأساسية وحرف معالمها ومظاهرها .

يقول الدكتور أحمد شلبى الذى أجرى مقارنة بين بولس وعبد الله بن سبأ :

---

(١) الدكتور أحمد شلبى : المسيحية .

« ان أفكار عبد الله بن سبأ لم تستطع أن تعيش وتنمو كما عاشت ونمت أفكار بولس ، وذلك لأن القرآن كان محفوظاً ومكتوباً وهو خير حارس للإسلام ، أما إنجيل عيسى فكان قد ضاع بين طيات الأحداث فلم يكن للمسيحية عماد يحميها من الصدمات العنيفة » .

وقد سارت آراء بولس فى العالم الغربى خلال النصف الثانى من القرن الأول الميلادى بعد أن مزجها بالفلسفة اليونانية وقد عكس هذه الصورة إنجيل يوحنا » .

(٢)
المسيحية والدولة الرومانية

ولدت المسيحية فى أورشليم من فلسطين فى آسيا ثم لم تلبث إن عبرت إلى أوربا فاستقرت فى الدولة الرومانية ذات الحضارة العريقة وذات النظام الاجتماعى الذى شكلته الفلسفة اليونانية الوثنية والقانون الرومانى ، وفى هذا الجو بكل قيوده وتحدياته عبرت المسيحية إلى أوربا وتشكلت فى داخل هذا الفكر على النحو الذى قام عليه بولس منحرفاً بها من نهجها الربانى المنزل من السماء حتى يمكن القول بأن المسيحية الغربية هى مسيحية بولس وليست مسيحية المسيح ، وفى ظل هذا التشكل نشأ الفكر الغربى والفلسفة الغربية .

ومر فى ثلاث مراحل :

(المرحلة الأولى) منذ عبرت المسيحية إلى الدولة الرومانية إلى أن أعلن قسطنطين اعتناقه للمسيحية .

(المرحلة الثانية) منذ أعلن قسطنطين اعتناقه المسيحية سنة ٣١٦م إلى ظهور دعوة لوثر وانقسام الكنيسة .

(المرحلة الثالثة) منذ ظهور الدعوة إلى التحرر من الأديان ونقدها وهى المرحلة التى بدأها نيتشة وماتلاها من غلبة الطوابع الفلسفية الجديدة حين امتدت المسيحية إلى أوربا وصلت إليها نظاماً روحياً وإرشاداً خلقياً ولكنها لم تضع لها أسساً للتشريع والاقتصادوالسياسة ، فقدكان هذا المنهج الاجتماعى قدتشكل وتكامل قبل وصول المسيحية ولذلك فقد ارتضت المسيحية أن تكون عنصراً من العناصر الثلاث المشكلة للفكر الغربى .

وقد ظلت المسيحية منذ وصولها إلى أوربا حتى أعلن قسطنطين تنصره عام ٣١٥م وهى تواجه أضطهاداً شديداً وصراعاً قوياًمن الوثنيين أصحاب القوة والنفوذ فى الدولة الرومانية .

وظلت إلى ذلك الوقت وما بعده بقليل تحمل فى أعماقها وجه الخلاف بين القائلين بأن المسيح نبى مرسل والقائلين بأنه ابن الله ، ولقد اختارت المسيحية الغربية أن تقف مع التثليث والوهية المسيح وكان لذلك أثره فى غلبها عن القول ببشرية المسيح فى مؤتمر نيقه .

ولقد كان للفكر الغربى بوثنياته وفلسفاته اليونانية والبابلية والهندية والفارسية أكبرالأثر فى تحريف المسيحية عن أصلها الأصيل حتى ليقول(برنارد لويس) : إنه لم يعتنق المسيحية منذ نشأتها سوى فرد واحد هو المسيح وان كنا نرى أن أجيالا قد اعتنقت المسيحية الحقيقية حتى جاء الإسلام .

وقد أشار إلى ذلك العلامة ارنست دى بنسين فى كتابه (Aslaw or frue Chiristiunity) حين قال : أن العقيدة والنظام الدينى الذى جاء فى الإنجيل ليس الذى دعا إليه السيد المسيح بقوله وعمله وان مردالنزاع القائم بين المسيحية اليوم وبين اليهود والمسلمين ليس إلى المسيح بل إلى دهاء بولس ، ذلك اليهودى والمسيحى وشرحه للصحف المقدسة على طريقة التجسيم والتمثيل وملئه هذه الصحف بالنبوءات والأمثلة . انبولس فى تقليده لاسطفانوس راعى المذهب

الإنسانى قد ألصق بالمسيح التقاليدالبوذية ، انه واضع ذلك المزيج من الأحاديث والأقاصيص المتعارضة التى يحتوى عليها الإنجايل اليوم والتى تعرض المسيح فى صورة لاتتفق فى التاريخ أصلا ، ليس المسيح بل بولس ، والذين جاءوا بعده من الأحبار والرهبان الذين وصفوا تلك العقيدة والنظام الدينى الذى تلقاه العالم المسيحى كأساس للعقيدة المسيحية الأرثوذكسية خلال ثمانية عشر قرناً ، فى خلال الفترة من دخول بولس بالمسيحية الى الدولة الرومانية الى دخول قسطنطين اليها ٣١٦ م واجهت المسيحية صراعاً جباراً مع الوثنية الامبراطورية الرومانية فقد ظلت الفلسفة اليونانية والفكر الرومانى معارضاً شديد المعارضة للمسيحية رغم ما أصابها من تحريف .

ذلك أن أوربا اعتنقت الديانة المسيحية التى وفدت اليها من الشرق بعد أن حولتها الى عقيدة تراقب ضمير الإنسان وسلوكه الى مجرد طقوس تعبدية يلجأ اليها الإنسان ليكفر عن خطاياه أو يستدر عطف الإله .

ولم يجعلوا للدين قط تلك الفعالية اليقظة التى تسير أعمال الانسان كما هو الانسان فى الاسلام .

«حاولت الكنيسة الكاثوليكية فى العصور الوسطى بواسطة البابوات ان تمكن للدين فى قلوب الناس وتصرفاتهم عندما قيدت ذلك بقيود بغيضة لم يلبث العقل الأوربى حين تفتح فى عصر النهضة أن رفض الدين المسيحى كله»(١).

ذلك أن المسيحية حين وصلت إلى أوربا لم تكن هى فعلا المسيحية الشرقية الربانية المنزلة على المسيح عيسى بن مريم ولكنها كانت جماعا من الوثنية والفكر اليونانى والغنوصية بجمعا فى إطار باسم المسيحية .

فهى حين واجهت الاضطهاد فى أول الأمر كانت تجد من بعض مفاهيمها

---

(١) اسماعيل أدهم أحمد : (ك) لماذا هو ملحد .

الباقية من الرحمة والمحبة وغيرها عاملا مؤثرا فى الأمم التى اضطهدتها الدولة الرومانية وكانت سلاحاً فى مواجهة النفوذ الرومانى بمطالبه القاسية . ولا ريب أن الاضطهاد أفقد المسيحية مراجعها الأصلية ومكن بولس من الاقتباس من الفلسفة الأغريقية دون أن يخشى مراجعاً .

فلما دخلت الدولة إلى المسيحية واعتنقتها واتخذتها دينا للدولة لم تلبث أن تحولت على أيدى الكهنة والكنيسة تحولا خطيراً وأصابها تعقيد بالغ رفضه العقل البشرى وعارضته طبيعة النفسية الأوربية التى عاشت فى أعماق الوثنية اليونانية وكرهت كل قيد ، ذلك أن المسيحية ذهبت إلى أبعد مدى فى الدعوة إلى الزهادة واعتزال الحياة وتحريم طيبات الدنيا .

(٣)

إستمر إضطهاد المسيحية أكثر من ثلاث قرون حتى سنة ٣١٣

وفى مؤتمر نيقة تغلب مفهوم التعدد على مفهوم التوحيد .

وكان مفهوم التعدد هو مفهوم قساوسة الرومان أما قساوسة المشرق فقد قالوا بأن المسيح نبى وليس إله .

وكان أريوس المصرى هو حامل لواء الدعوة إلى التوحيد والقائل (أن الأب وحده الله والابن مخلوق وقد كان الأب إذ لم يكن الابن) .

وقتل أريوس مع بعض من أيدو رأيه ونجح رأى كاهن روما .

« ثم فرض القرار فرضاً على الناس وحرقت كل ما سواه[١] وصودر وأفنى كل ما كتب متجها غير ذلك الإتجاه » .

---

(١) أحمد شلبى : المسيحية

ومن المعروف أن تحول المسيحية من دين توحيدى الى دين مثلث ومن دين يهودى إلى دين عالمى . وكان نتيجة دخول الأفكار اليونانية والفلسفة الأغريقية وكان لاستعارته من قبل فكرة الإتصال بالإله بالأرض عن طريق الكلمة أو ابن الإله أو الروح القدس وبذلك انتقلت المسيحية من دين شرقى إلى دين غربى ولكن هذا التحول لم يمض دون صراع طويل فقد قام الخلاف بين بولس وأنصاره وبين المسيحيين الحقيقيين وامتد قروناً بعد وفاة بولس .

ولما انتصرت فكرة الرومان المعددة على فكرة المسيحين الموحدين، قضى على كل كتابات الموحدين وقبرت وأعدمت نهائياً .

ولقد كان بولس يتخذ مع مخالفيه فى الرأى أسلوبا غاية فى العنف والحدة بل والتحقير والازدراء . وكان ذلك مقدمة لسلوك تابعيه وقومه لهم ، حتى قضوا عليهم نهائيا من كل مجال للمعارضة أو إبداء الرأى .

وبالجملة فقد كان بولس يهودياً ورومانيا ، وكان الهيكل الذى صنعــــه للمسيحية متصلا بمزاجه النفسى وثقافته الغربية ولم يكن يتصل بروح الشرق أو طوابع الدين الموحى به أقل إتصال وقد سار على نهجه كثيرون منهم واحد من كتبة الأناجيل الأربعة (لوقا) فلوقا هو تلميذ بولس وانجيله هو فكر بولس .

ومختلف آراء بولس التى ضمنها المسيحية هى آراء الفكر الوثنى اليونانى الذى تطور فى مدرسة الاسكندرية على أيدى أفلوطين ثم فيلون اليهودى .

وقد استمرت مدرسة الاسكندرية التى قامت على الفكر الهلينى وأنشأت من بعد الفكر الهلسنتى ، استمرت بعد المسيح فانجبت أفلوطين ٢٧٠ م الذى جدد مذهب أفلاطون ونما نظرية الفلسفة فى الفيض والعقل والنفس .

ومن خلال هذا التطور الذى يحمل طابع اليهودية فى بولس والهلينية فى

الفكر الدخيل وطابع أوربا والرومان فى تشكيل الصورة وبنائها وامتدادها بعد بولس الذى مات سنة٦٥ ظهرت جبهة تحمل الدعوة إلى تأليه السيد المسيح وتصفه بأنه الابن وقد ظل الصراع قائما بين الشرقيين حملة المسيحية الحقيقية وعلى رأيهم أريوس وبين الغربيين حملة المسيحية الغربية حتى انعقد مؤتمر نيقه (٣٢٥ م) وتغلب بكل أسباب السياسة والقهر على رأى الأغلبية القائلة بالتوحيد وانعقد بدونهم فى أقلية تقول بألوهية المسيح حيث اتخذ قراراً بذلك فرض من بعد على المسيحيين فى كل مكان .

ثم أصبح لهؤلاء القائلين بألوهية المسيح كل النفوذ والسيطرة وأصبح للأناجيل التى اختاروها الطابع الرسمى المقرر بينما قضوا على كل ما عداها بالفناء مما يعارض رأيهم وفى مقدمته انجيل برنابا وكان برنابا قد أنشأ انجيله للرد على ما أسماه ضلالات بولس[١] .

وكان ذلك كله مقدمة لنفوذ الكنيسة الذى سيطر على أوربا سيطرة كاملة بعد سقوط الامبراطورية الرومانية سنة ٤٧٦ م .

(١) أحمد شلبى : المسيحية .

الفصل الرابع

تداخل المفاهيم وانحراف التفسيرات

إن أكثر ما أصاب المسيحية من إضطراب وتداخل فى المفاهيم إنما جاءها من الفلسفتين اليونانية والغنوصية . وقد صور هذا المعنى المؤرخ ليون جونيه حين قال :

« إن المسيحية تشربت كثيراً من الآراء والأفكار من الفلسفة اليونانية فاللاهوت المسيحى مقتبس من نفس المعين الذى كانت فيه الافلاطونية الحديثة ولذلك نجد بينهما مشابهات كثيرة » .

وتكاد تجمع مراجعات الباحثين على أن « المسيحية مجموعة من الاقتباسات من الوثنية واليهودية والحياة الشرقية والرومانية وفيها عناصر أجنبية كثيرة بارزة بها كاملة أو محرفة » .

ومن اليهودية اقتبست المسيحية فكرة الأبوة بين الله الناس ، أى أبوة الإله للخلق ومن الحياة الشرقية اقتبست المسيحية الفنون والرسوم التى ازدانت بها الكنائس كما اقتبس إستعمال الفسيفساء والصور والبخور والأنغام .

ومن الفلسفة الأغريقية اقتبست المسيحية (الكلمة) وهى ترادف (الإله) عند الأغريق لأن الكلمات لا تفى بالاستعمال .

وعندنا أن أخطر ما واجه المسيحية هى ديانة الاله مترا أو الديانة المترائية وهى إحدى الديانات البشرية المنتشرة فى ذلك الوقت فى حوض البحر المتوسط

وخاصة فى أوربا ذلك أن معظم الأقطار التى انطوت فيها كانت من هذه الديانة وأبرز معالم (عبادة الاله مترا) هى :

إن الاله مترا وسيط بين الله والبشر وانه مات ليخلص البشر من خطاياهم ودفن ثم عاد إلى الحياة وقام من قـــبره مخلصاً ومنقذا ويعمد أبنائه وله عشاء مقدس .

ويكاد يكون الاله مترا هو الصورة التى نقلها بولس إلى المسيحية ووضع فى إطارها السيد المسيح .

أما فكرة ابن الاله «فقد كانت تسود العالم المصرى القديم» وتقوم عليها الديانة الفرعونية البشرية : (ايزيس وأزوريس وحورس) وفى الهند كانت البرهمية تقوم على التثليث أيضاً (براهما — فنشو — سيفا) .

وصورة العذراء الأم وهى تحمل المسيح هى صورة ايزيس الأم وهى تحمل الاله الابن حورس .

* * *

ولذا كانت أبرز انحرافات المسيحية وهى كثيرة هى :

(أولا) التثليث : وألوهية المسيح .

(ثانيا) تجسد الابن وظهوره بمظهر البشر ليصلب تكفيرا للخطيئة التى إرتكبها آدم أبو البشر .

(ثالثاً) عالمية المسيحية .

فانما هى فى مجموعها قد جاءت مقتبسة من الفكر البشرى الذى عاش موجات تتضارب من خلال الأديان السماوية التى إنحرفت عن أصولها فأخذت وأعطت،

وربما كانت الفلسفة اليونانية والفارسية والمجوسية والفلسفة الهندية وهى بين عقلية وغنوصية التى عرفتها بابل واليونان وفارس هى المصادر التى استمدت منها اليهودية أولا إنحرافها عن الدين المنزل على موسى، ومنها استمدت المسيحية أيضاً إنحرافها .

أما اليهودية فقد إنحرفت على النحو الذى استوعب فكر اليهود ومفاهيمهم فى الربا والإستيلاء على العالم ، أما المسيحية فقد تدخلت اليهودية فى تحريفها لإخراجها من أصلها السماوى الذى أنزلت به لإصلاح دين بنى إسرائيل إلى ديانة بشرية خالصة .

(١)

التعدد = التثليث

أخـــذت المسيحية (مسيحية بولس) التثليث من الثقافات المحيطة بها و (تعدد الآلهة موضوع يكاد يكون عاماً فى جميع الثقافات القديمة قال به المصريون القدماء وقال الأشوريون والبابليون والفرس والهنود والصين واليونان على اختلاف فى عدد الآلهة ومكانهم واختلاف فى تصور الآلهة بعضهم من بعض أو صلتهم بالبشر)[١] .

ولقد ظهرت فكرة التعدد فى الأديان البشرية والوثنية ، ففى الهند كانت البرهمية مثلثة ، وكانت المجوسية ثنائية .

ويذهب كثير من الباحثين إلى أن « القول[٢] بتحديد الآلهة بثلاثة عمل له صلة بعبادة الأبطال تلك العبادة التى بدأت منذ فجر التاريخ والتى لا تزال لها

---

(١) عن نص لإبراهيم بيومى مدكور (تاريخ الفلسفة) .

(٢) أحمد شلبى : المسيحية .

بقايا فى عالمنا الحاضر وارتباط التثليث بعبادة الأبطال مرجعه أن الجماهير كانت تعبد البطل لعمل رائع قام به ثم يتخذ البطل له زوجة فتحتل معه مكان الألوهية وتسجد لها الجماهير ثم يصل إلى البطولة أكبر أبنائه فيتم الثالوث » .

ويرجح الكثيرون أن البابليين أول من قال بالثالوث فى الألف الرابع قبل الميلاد وكان البابليون يدينون بالتعدد ، وقد جعلوها أثلاثا كل مجموعة ثلاثة (السماء والأرض والبحر) ثم (القمر والشمس والعدالة) الخ .

ثم تطورت فكرة التعدد وتفلسفت وظهرت بدعة التعدد فى وحدة والوحدة فى تعدد وقال بها الهنود قبل المسيح بألف عام .

وفى الاسكندرية أقام بطليموس الأول معبداً عظيما هو معبد السرابيوم كان يعبد فيه نوع من ثالوث الأرباب مكون من سرابيس وإيزيس وحورس وقد سجلت دائرة معارف القرن التاسع عشر الفرنسية هذا الموقف : فقالت :

عقيدة التثليث وإن لم تكن موجودة فى كتب العهد الجديد (الإنجيل) ولا فى أعمال الآباء الرسوليين ولا عند تلاميذهم الاقربين إلا أن الكنيسة الكاثوليكية والمذهب البروتستانتى التقليدى مدعيان أن عقيدة التثليث كانت مقبولة عند المسيحية فى كل زمان رغما عن أدلة التاريخ التى ترينا كيف ظهرت هذه العقيدة وكيف نمت وكيف علقت بها الكنيسة بعد ذلك .

إن (بولس) خالف عقيدة التلاميذ الاقربين لعيسى وقال أن المسيح أرقى من إنسان وهو نموذج إنسان جديد إلى عقل سام متولد من الله وكان موجوداً من قبل أن يوجد هذا العالم وقد تجسد هنا لتخليص الناس ولكنه مع ذلك تابع الإله الأب .

وكان الشأن فى تلك العصور أن عقيدة (إنسانية عيسى) كانت غالبة مدة تكون الكنيسة الأولى من اليهود المتنصرين فإن سكان مدينة الناصرة وجميع

الفرق النصرانية التى تكونت من اليهودية اعتقدت أن عيسى إنسان بحت مؤيد بالروح القدس وما كان أحد يتهمهم إذ ذاك بأنهم مبتدعون .

وقال جوستين مارشير وهو مؤرخ لاتينى فى القرن الثانى أنه كان فى زمنه فى الكنيسة مؤمنون يعتقدون أن عيسى هو المسيح ويعتبرونه إنساناً بحتاً وان كان أرقى من غيره من الناس وحدث بعد ذلك أنه كلما نما عدد من تنصر من الوثنيين ظهرت عقائد جديدة لم تكن من قبل .

ولاشك أن « التثليث » طارىء على الأديان والعقائد التى كانت كلها موحدة فالتوحيد فى الأصل دين كل الرسل « غير أن الأمم[1] بعد وفاة الرسل تدخل إلى تعاليم الأديان جميع أهوائها الموروثة لها من الوثنية الأولى فترد الأمر لأصله من التشبيه والتجسد والتعديد فى ذات الخالق الأقدس . أما الأديان فى مبادئها فكانت بريئة ذلك كله وكان أتباعها الأولون على غير ما عليه أتباعها الآخرون .

(٢)

الخطيئة والفداء

قال بها بولس ، ولم تلبث المجامع أن أعتبرتها جوهر الإيمان المسيحى :

وقد صورها بولس على هذا النحو : إن الله لم يغفر لآدم خطيئته بل إن غضبه لم تقف عن حد آدم بل تناولت كل ذريته من بعده ، فقضى عليهم أن يعيشوا فى الخطيئة أبداً وأن يلاحقهم الموت بالتالى .

ويرى هـ . ج . ولز : أن فكرة أن المسيح ابن الله نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قربانا ويصلب تكفيراً عن خطيئة البشر : هذا المفهوم كان معروفا فى

---

(١) محمد فريد وجدى : دائرة المعارف .

الحضارات البدائية وانه شبيه بمات الضحايا القديمة من الآلهة من خلاص البشرية .

وليس فى الإسلام أن الخطيئة موروثة فى الإنسان قبل ولادته ولا أنه يحتاج فى التوبة عنها إلى كفارة من غيره .

أما خطيئة آدم فقد تاب عنها وغفر الله أمرها وهى لا تنسحب مطلقاً على غيره ولن يكون البشر كلهم خطاه بخطيئة واحد منهم ، وكل خطيئة تمحوها التوبة وخطيئة آدم كسائر خطايا الناس تغسلها المغفرة ممن يملك المغفرة وهو الله تبارك وتعالى ، وقد سجل القرآن دحض هذه الفرية فى عبارات واضحة صريحة:

« فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه أنه هو التواب الرحيم » وبذلك انمحت معصية آدم بتوبته دون أن تستتبع عقوبة لأحد وأن الله سبحانه وتعالى قد كتب فى صحف إبراهيم وموسى ان لا تزر وازرة وزر أخرى) .

فلا يرث مولود خطيئة والد وانه ليس للإنسان إلا ما سعى[1] .

* * *

ومن فكرة « الخطيئة » جاءت فكرة « الخلاص » وهى زائفة زيف الخطيئة .

(٣)

أسرار الكنيسة السبعة

وهنا ما يسمى بالأسرار السبعة التى لا يعرفها إلا رجال الكنيسة وفيها تتمثل سلطتها : وهى : المعمودية والميرون والتناول والتوبة أو الاعتراف

(١) محمود محمد شاكر — من بحث له بمجلة الرسالة سنة ١٩٦٤

والمسحة والزواج والكهنوت ، والمعمودية هى الولادة الجديدة التى يتطهر فيها الفرد من خطيئة آدم وهذه النعمة تمنحها الكنيسة فى صورة رش الماء والتغطيس فيه . والميرون هو حلول روح القدس فى الإنسان الذى نال المعمودية والتناول هو العشاء الربانى حيث يتناول المؤمن جسد الرب ودمه الأقدمين ، والاعتراف هو مبدأ الحصول على المغفرة ، والمسحة سر ينال بها المؤمن الشفاء الجسدى بعد تلاوة الصلاة ثم يدهن بالزيت المقدس . أما الزواج فهو ربط الزوجين برباط لا ينفصم ، والكهنوت هو السر الذى ينال به الإنسان النعمة التى تؤهله لأن يؤدى رسالة المسيح بين البشر .

(٤)

عالمية المسيحية

حول بولس المسيحية من ديانة يهودية مكملة لرسالة موسى وقاصرة على بنى إسرائيل إلى ديانة عالمية ، مفتوحة لكل الأمم ؛ ويقول المؤرخون : أن عالمية المسيحية كانت نقطة تحول فى تاريخها . فدخلها الوثنيون الأوربيون واليونانيون وأتباع ديانة ميتراس) وبذلك تحولت من دين شرقى إلى دين غربى .

كما جعل طاعة السادة والطبقة الحاكمة من طاعة المسيح .

السيد المسيح : بين مفهوم المسيحية ومفهوم اليهودية :

إنحرف التصور الوافد إلى المسيحية بمفهوم السيد المسيح أكثر من إنحراف :

فقال رأى بأن السيد المسيح نبى الله المرسل إلى بنى إسرائيل ليس إنساناً عادياً بل هو إنسان سماوى وكائن معجز خلقه الله قبل الدهور وهو يحمل لقب ابن الإنسان : أى أنه يظهر فى صورة إنسان وإن كانت طبيعته تجمع بين الله وبين الإنسان وهذا الوصف اقتبسه المسيحيون من اليهود وأسندوه إلى عيسى بن مريم .

وقال رأى بأن السيد المسيح شخصية أسطورية وهمية لم تتحقق أبداً ولم تدخل مجال التاريخ الصحيح .

وكان اليهود يقولون بانتظار المسيح المنتظر قبل أن يرسل الله سيدنا عيسى وكانوا يذكرونه كلما حاقت بهم الأزمات فلما ظهر المسيح عيسى بن مريم وأعلن أنه المسيح الذى ينتظره اليهود أنكروه ورفضوا دعوته وألقوا القبض عليه وحكموا عليه بالموت صلباً لولا أن نجاه الله وقالوا أنهم إنما ينتظرون مسيحاً آخر ليس نبياً بل ملكا وقد قدم التلمود سيدنا عيسى فى صورة فاسدة تخالف ما جاء فى القرآن مخالفة كاملة عندما قال : إن يسوع الناصرى موجود فى لجات الجحيم بين القار والنار وقد أتت به أمه عن طريق الخطيئة .

وما تزال صورة السيد المسيح عيسى بن مريم فى الانجيل قريبة مما جاء فى القرآن : فهو إنسان نبى جاء لهداية البشر ، وتكشف نصوص إنجيل متى عن إنسانيته ونبوته ورسالته وهى توحيد الله والدعوة إلى سبيله وهى بذلك مختلفة كل الاختلاف عن الصورة التى رسمها بولس والتى اعتمدتها مجامع نيقه وغيرها من بعد وخرجت بها عن إطار إنسانية المسيح عيسى بن مريم .

* * *

وبالإضافة إلى هذا صورة السيد المسيح فى نظر اليهودية وهى صورة قاسية بشعة ، فيها إنكار وفيها تصوير خاطىء وجرأة على الحقائق التاريخية .

وهناك آراء أخرى تنكر وجود السيد المسيح أصلا وتعتبره أسطورة وكل هذه الآراء تختلف مع المفهوم الحقيقى للمسيح كما جاء به القرآن .

الفصل الخامس

الأناجيل

يمكن أن توصف الأناجيل بأنها خلاصة لسيرة المسيح عيسى بن مريم رسول الله ودعوته وهى بهذا تختلف اختلافا أساسيا عن الأنجيل بوصفه الكتاب الذى أنزل من السماء .

وقد كتبت الأناجيل الموجودة جميعها بعد وفاة المسيح وأنجيل متى أقدم الأناجيل كتب عام ٦٠ بعد الميلاد باللهجة الأرامية الفلسطينية (أى بعد عيسى بثلاثين عاما)

والإنجيل كلمة يونانية معربة بمعنى البشارة . وهو اسم أطلق على الكتب التى وضعت بعد زمن المسيح والتى تروى أحواله وأعماله وأقواله ومواعظه ومعجزاته ويعرف « الانجيل » بالعهد الجديد تمييزاً له عن التوراه التى تسمى العهد القديم .

وقدم قام بكتابه هذه الأناجيل بعض تلاميذ المسيح ومن جاء بعدهم من تلاميذهم ، وقد بلغت نيفا ومائة من الأناجيل ، غير أن الكنيسة لم تعترف إلا بأربعة منها واعتبرت الأخرى منحولة وهذه هى : متى ، مرقس ، لوقا ، يوحنا وهذه الأناجيل هى التى أقرتها الكنيسة واعتبرتها وحيا مقدسا .

* * *

أما الانجيل بمفهوم الاسلام فهو الكتاب الذى أنزله الله على رسوله عيسى بن مريم عليه السلام ، والقرآن يقرر أنه كتاب سماوى منزل .

أما هذه الأناجيل فهى أسفار كتبها أناس من البشر .

وقد كتب متى أنجيله باللسان العبرانى فى بلاد العبرانيين وتركه للمؤمنين من اليهود ويرجح الكثيرون[١] أن متى ألفه باللغة الآرامية ، ثم ترجم إلى اللغة اليونانية .

وتكاد الأناجيل الثلاثة (متى ومرقص ولوقا) أن تجمع على « أن الله واحد هو خالق الكل والمهيمن على الكل وأن المسيح بشر سوى ومبعوث إلهى جاء يبشر بالرحمة والمحبة وطهارة النفس والجسد ولاتوجد فيه أية اشارة من قرب أو بعد لهذا التثليث الذى هو رمز مسيحية اليوم وشعارها وجوهر عقيدتها »[٢] .

أما إنجيل يوحنا فهو مكتوب تحت تأثير (بولس) ولذلك فقد استقى مصادره من فلسفة اليونان وبدأ مختلفاً أشد الاختلاف مع الأناجيل الثلاثة الأخرى .

ذلك أنه هو الانجيل الوحيد الذى يتحدث عن ألوهية المسيح وأنه ابن الله كما ينطوى على عقيدة التثليث ويشير إلى مايصفه بقصة صلب المسيح وأنه صلب ليفدى العالم ويطهره من خطيئة آدم .

« بذلك يخالف كل المخالفة الأنجيل الذى يذكر القرآن أنه كتاب مقدس أنزله الله على عيسى وقد أشار القرآن فى أكثر من موضع إلى أن هذا الانجيل قد حرف وبدل وزيد عليه » .

وإذا كانت الأناجيل الثلاثة متقاربة فى تاريخ تأليفها فإن أنجيل يوحنا يختلف عنها إذ تأخر تأليفه أكثر من ربع قرن بهذا الاتجاه الذى حمل لواءه بولس .

---

(١) الدكتور على عبد الواحد وافى : بحثه فى كتابة عن اليهود

(٢) أحمد حسين

ويحددون لوضع أنجيل يوحنا أواخر القرن الأول المسيحى .

ويرى فيه الباحثون « انعكاساً »[١] لآراء الفلسفة التى كانت سائدة فى العالم الهلينى فى هذه الفترة كما يعبرعنها الفيلسوف اليهودى فيلون ونظرية الكلمة وهى آراء حاول بها فيلون التوفيق بين الفلسفة الأفلاطونية والعقيدة اليهودية ، ثم انقلب إلى المسيحية بعد ذلك .

وقد ألفت جميع أسفار العهد الجديد باللغة اليونانية - ماعدا إنجيل متى الذى ترجم اليها ومن اللغة اليونانية ترجمت أسفار العهد الجديد إلى اللغة اللاتينية . وعن اليونانية واللاتينية ترجمت هذه الأسفار إلى معظم لغات العالم قديمها وحديثها .

(٢)

هناك إجماع بين الباحثين الأوربيين على الكتاب المقدس كتبه الإنسان وأن أغلب كلماته كتبها أشخاص مجهولون لاتعرف أسماءهم .

وان تدوين اليهود للكتاب المقدس بدأ قبل ألف سنة من ميلاد المسيح ومن ثم أخذوا يسجلون القصص والقصائد القديمة وأضافوا اليهـــا قصصا وقصائد جديدة وقد استلزم الأمر أن تعاد كتابة لفائفهم عدة مرات وأن تنقل وتنسخ مما أوجد فرصا عديدة لاتحصى لتغييرات كثيرة لاحد لها بعضها مقصود والبعض الآخر غير مقصود .

وان ذلك انتهى إلى أنه لايوجد نص أصلى لأى جزء من الكتاب وأن العهد الجديد ربما حوى تغييرات أكثر وأبلغ من العهد القديم »[٣].

* * *

(١) نفس المصدر : على عبد الواحد واف   (٢) احمد شلبى

(٣) مجلة لايف عدد ٧ أبريل ١٩٦٥ ترجمة الدكتور أمير رضا — الوعى الاسلامى مايو ١٩٦٦

وقد وجه الباحثون الغربيون إلى الكتاب المقدس ملاحظات مختلفةوكلها تقريبا تجمع على أنها كتبت بأيدى أناس مختلفى الأزمنة والبيئات .

ومما جاء عن الانجيل أن سبعين إنجيلا كانت رائجة فى القرون الأولى من المسيحية (آدم كلرك) وأن النصارى لا يعتقدون كون هذه الاناجيل عن المسيح وكونها من تصنيف الحواريين (لاردنر) وأن المسيحيين بدلوا أناجيلهم ثلاث أو أربع مرات بل أزيد تبديلا غير مضامينها (أكهوف) وأشار كثير من المؤرخين : أن نسخ الاناجيل الاصلية وقتها كانت مفقودة لا أثر لها لأنها كانت قد أحرقت مع كتب النصارى فى عهـــد القيصر دقلديانوس وأن الاناجيل الحاضرة مجموعة روايات مختلفة ببعض آيات مأخوذة من كتب يختلف بعضهـا عن بعض كما يقول (أيرونيموس) الذى اعترف بأنه أضاف وغير ونقح ماشاء وبدل منها من عن له ، وماظن أنه يوافق مذهب البابا وينصره على مخالفيه

وتكاد تجمع مراجع كثيرة على أن (ايرونيموس) هو المنشىء الحقيق لهذه الاناجيل .

(٣)

من الاناجيل التى أبطلهـا البابا فى القرن الخامس للمسيح : أنجيل برنابا وبرنابا هذا يهودى دان بالنصرانية وكان من أتراب بولس وطاف آسياالصغرى وسوريا وبلاد اليونان وقتل فى قبرص نحو عام ٦٣ للمسيح وقد وجدت نسخة من أنجيل ينسب إليه فى مكتبة فينا كتب كما رجح العارفون فى القرن السادس باللغة الايطالية القديمة .

ويشير بعض مؤرخى برنابا إلى أنه حوارى من أنصار المسيح الذين عاصروا بولس بل كان هو الذى عرف التلاميذ ببولس بعـد أن اهتدى ورجع إلى أورشليم .

ولما كانت الكنيسة قد اعتمدت نظرية بولس التى جاءت مخالفة لما تلقاه الحواريون عن المسيح ، فقد اعتبر أنجيل برنابا غير قانونى أو غير صحيح .

وفى هذا الانجيل أمر يتنكره الباحثون أشد الاستنكار وهو تصريحه باسم النبى محمد قائلين أنه لا يعقل أن يكون ذلك كتب قبل ظهور الاسلام .

وقد نقل محمد بيرم عن رحالة انجليزى أنه رأى فى دار الكتب البابوية فى الفاتيكان نسخاً من الانجيل مكتوبة بالقلم الحميرى قبل بعثة النبى وفيها يقول المسيح (ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) .

وأبرز ماتضمنه إنجيل برنابا : التوحيد وأن المسيح رسول الله وأن المسيح لم يصلب ونبوة محمد [1] .

---

(١) المنار م١١ ص ١١٤ و ١١٥

الفصل السادس

الكنيسة

تركزت المسيحية منذ تشكلها الذى عرفت به ديانة مستقله عن اليهودية فى مؤسسة خاصة حملت لواء الدعوة ونشرها وتفسير النصوص وإصدار القرارات الخاصة بالعقيدة ، ومن ثم أصبح للكنيسة نظام خاص يخضع له كل من يدين بالمسيحية كما أن لها أسرارها الخاصة .

يقول الأستاذ أحمد حسين : إن الكنيسة فى المسيحية لا تقابل المسجد وهى شىء يكاد يعز على التصور والتصديق فهى ليست كما يتصور الكثيرون مجرد هذا المبنى المعين الذى تقوم فيه الطقوس على سبيل التخصص والتحديد ولكنها فى معناها العام تشمل مجموع المسيحيين ، بل إنها المسيح نفسه ، إنها جسده ولحمه ودمه وهم يستندون فى هذا على ما جاء فى إنجيل يوحنا »[1] .

وتتصل بالكنيسة المسيحية ما يسمى بالمجامع المسيحية : هذه المجامع التى وصفت العقيدة والتعاليم التى تطبقها الكنيسة . وفى هذه المجامع تقرر تأليه المسيح وإقرار التثليث والخطيئة والفداء وصلب المسيح وقد اختصت الكنيسة نفسها بأسرار سبع : هى المعمودية ، المسيح بالميرون المقدس ، العشاء الربانى . التوبة والاعتراف . الكهنوت . المسح على المريض ، الزواج[2] .

---

(١) أحمد حسين : الاسلام ورسوله بلغة العصر ص ١٢٦ .

(٢) راجع تفصيل ذلك فى (ك) المسيحية للدكتور شلبى ولأحمد حسين فى المصدر السابق .

وقد أقامت الكنيسة نظاماً كاملا على رأسه البابا والبابا هو الرئيس الأعلى للكنيسة وممثل المسيح فى العالم .

وتعتقد الكنيسة الكاثوليكية منذ القرون الأولى أن البابا معصوم من من الخطأ فى أمور الإيمان وآداب الدين . ومعلم عام الكنيسة .

والكنيسة الكاثوليكية هى كبرى الكنائس فى العالم وهى ذات التاريخ الطويل فى الدين والسياسة وهى التى حملت لواء الحروب الصليبية التى استمرت مائتى عام على العالم الإسلامى .

وهى حاملة لواء محاكم التفتيش .

ويعتقد أتباع الكنيسة الكاثوليكية إنهم وحدهم ممثلو الدين الذى بشر به المسيح وأخذه عنه الحواريون :

ويقول الأب لويس شيخو اليسوعى : إن أصل الكثلكة: تلك الجماعة الأولى التى أنشأها السيد المسيح بذاته فكانت كنيسة ألفها من الإثنى عشر رسولا ثم من الإثنين وسبعين تلميذاً ثم شاع إسمهم فعرفوا بالمسيحيين »[1] .

* * *

ويشير الباحثون إلى أن نظام الكنيسة وسلطة رجل الدين قد بدا واضحاً فى القرن الرابع حيث عد بابا روما رئيساً للكنائس كلها . وقد أصبح للبابوات نفوذ ضخم مع تدهور الامبراطورية الرومانية فى الغرب وبرز منهم رجال مشهورون منهم جوليان الأول وغوريغوريس.

وقد احتضنت الكنيسة: الفلسفة الإغريقية والطقوس الوثنية القديمة

---

(١) م ٢٥ المشرق سنة ١٩٢٧ .

« فأصبحت تزدان بالنقوش والفسيفساء والصور والزجاج الملون وكثرت بها الأبنية المرصعة بالأحجار الكريمة .

كما أذاعت الكنيسة معجزات نسبتها الى القديسين لتثبت بذلك حقها اللاهوتى وقد استعارت الكنيسة من الرومان أوضاع رجال الدين وتوزيع السلطات وأصبح للكنيسة رجال منقطعون لها ولا عمل لهم سواها أطلق على هؤلاء رجال الدين للتمييز بينهم وبين غيرهم من المتعقبين .

ومن أبرز البابوات الذين تصدروا فى النفوذ السياسى جريجورى رئيس أساقفة روما الذى استولى على السلطة السياسية فى روما وقد عمل من ٤٤٠ — ٤٦١ وظل السلطان فى يد البابوات اثنى عشر قرناً .

«وقد برز استيلاء البابا جريجورى على السلطان السياسى عندما بدأت الامبراطورية الرومانية تتشطر «هنالك استولت على الأمور السياسية والروحية وكونت الكنيسة بذلك دولة . وادعت الحق فى أن تمد حكمها فتشمل جميع المسلمين فى كل البقاع . وفرضت للبابا السيادة العليا فى القضاء والإدارة واعتبر المشرع والمفسر النهائى للكتاب المقدس .

وعد رجال الكنيسة أنفسهم ممثلين لله » .

* * *

ولقد كان لهذا التطور الخطير فى مفاهيم الكنيسة ونفوذها أبعد الأثر فى الدعوات التى ترددت بالإصلاح خلال مرحلة طويلة ظهرت خلالها البروتستانتية ثم لم تلبث فى مرحلة بعدها أن واجهت خصومة عنيفة حين وقفت فى وجه العلم وقاومت حركته الى الاكتشاف وبناء الحضارة .

وقد احتضنت الكنيسة فى هذه المراحل طغيان الأمراء ثم زادت بتعذيب

العلماء، وفرضت مفهوماً مقدساً غير قابل للنقد أو البحث أو المعارضة ، وقد وصل ذلك الى غايته فى الطغيان معارضاً للنهضة ومؤازراً للنفوذ الاستبدادى للملوك والأمراء فكانت ثورة أوربا على الكنيسة والتحرر منها تحرراً كاملا وعزلها عن ميدان السياسة والاجتماع وايقافها فى حدود أسوارها والفصل بينها وبين الدولة

البروتستانتية

تعد حركة الإصلاح الدينى التى قام بها مارتن لوثر التى بدأها عام ١٥١٧ وامتدت الى وفاته ١٥٤٦ ثورة ضد فساد الكنيسة فى روما ومحاولة لتصحيح ما أصاب العقيدة المسيحية من ضعف واضطراب .

فقد هاجم نظام الكنيسة الكاثوليكية وهاجم قوانينها ، ووصفها بأنها تخرج عن تعاليم الكتاب المقدس . وركز كثيراً على فساد البلاط البابوى وانغماسه فى الترف والبذخ ، واستئثار رجال الكنيسة من الرومان دون غيرهم بالمناصب الكبرى ، هذا الى فساد النظام القضائى وتفشى الرشوة فيها كما هاجم الامتيازات التى منحها رجال الكنيسة لأنفسهم .

وأنكر لوثر حق البابا فى بيع صكوك الغفران بل وأنكر عليه حق منح الغفران بأى وجه من الوجوه وهاجم احتكار الكنيسة لقراءة الإنجيل وتفسيره ، وعمل على ترجمته الى اللغة الألمانية وأعلن حق كل مسيحى فى تفسير الإنجيل ومطالعته . ومن هنا أطلقت الكنائس البروتستانتية على نفسها اسم الكنيسة الإنجيلية .

كما رفضت دعوة لوثر التى كانت نواة الحركة البروتستانتية فكرة العشاء الربانى ورفض عبادة الصور والتماثيل وأنكر حق الكنيسة فى غفران الذنوب .

وكان من أهم أعمال لوثر ترجمة الإنجيل ووضعه بين يدى المؤمنين به .

وكانت حركة (كلفن) خطوة أخرى فى هذا الاتجاه الى الإصلاح وان اختلف مع لوثر فى بعض التفاصيل فقد أعلن عداءه للتصوير والأيقونات فى الكنائس لأنها تشغل عن العبادة . واستهجن استعمال الآلات الموسيقية فى الكنائس .

ولم تكن دعوة كالفن ولوثر هى الأولى من نوعها فى تاريخ الكنيسة وقد سبقتها محاولات متعددة منها محاولات وكليف فى انجلترا وهوس فى بوهيميا وان لم تحقق ما حققته هذه الحركة التى وصفت بأنها حررت العقول من الرق وخلصت النفوس من شوائب الأوهام .

وان أخذ على لوثر عنفه وشراسته فى معاملة البابا والكنيسة الكاثوليكية وان كان الفريقين قد تبادلا أساليب الهجاء فى أشد صوره قسوة وقد مضى لوثر إلى أبعد الغايات فأحرق خطاب البابا بحرمانه من الكنيسة علانية .

(٢)

ومن خلال دعوة لوثر وكلفن انقسمت الكنيسة فى أوربا وانشطر المسيحيون الى كاثوليك وبروتستانت وكان ذلك عاملا هاماً فى قيام المذابح والفتن والمعارك التى استمرت من أوائل القرن السادس عشر الى منتصف القرن السابع عشر .

وقد حاولت الكنيسة الكاثوليكية على أثر ذلك اجلاء حركة اصلاح واسعة . لمواجهة سيطرة البروتستانتية على بعض أقطار أوربا (ألمانيا وانجلترا) غير أنها لم تستطع أن تخطو مثل خطواته فقد أنقص لوثر أسرار الكنيسة السبعة الى اثنين : وهى التعميد والقربان المقدس كما رفض استحالة المادة الى

لحم المسيح ودمه ورفض حق الكنيسة فى تفسير الإنجيل كما أعلن حرية رجال الدين فى الزواج، ودعا إلى إزالة الرهبنة، وأنكر الاعتراف وما يتبعه من غفران والتخلى عن عبادة القديسين وعبادة مريم العذراء.

ومن هنا فقد اكتسحت البروتستانية أوربا ووجدت فى خصومة بعض الملوك للكنيسة الكاثوليكية فرصة لاحتضانها ودفعها إلى الأمام.

* * *

ويمكن رد هذه الحركة الإصلاحية أساساً إلى تعاليم الإسلام التى كانت قد وصلت إلى قلب أوربا وكان لها أثرها فى الداعيتين لوثر وكلفن، ويبدو ذلك واضحاً فى الدعوة إلى فهم الإنجيل دون وساطه الكنيسة وهو مفهوم إسلامى وكذلك يبدو أثر الإسلام فى محاربة الصور والموسيقى وفى الدعوة إلى التحرر من نظم الزواج والرهبنة وغيرها.

* * *

غير أن هذه المحاولة التى قامت بها البروتستانتية لم تستطع أن تخرج المسيحية عن انحرافها الأصيل الذى بدأت به حين فرض عليها بولس مفاهيم الفلسفات اليونانية والغنوصية ومهما بدت هذه الفوارق بين الكاثوليكية والبروتستانية واضحة فإنها ليست فوارق جوهرية إذ أن المذهبين كلاهما يعتقد بالتثليث وألوهية عيسى وكونه جاء ليفدى البشر من خطيئة آدم. والخلاف بينهما ينحصر فى تقرر حرية البحث والنظر فى الأمور التى فرضتها الكاثوليكية كعبادة الأولياء والصور والرسوم والرهبنة. ومن هنا فإن الخلاف بين الكاثوليكية البروتستانتية ليس فى الأمور الجوهرية كالتثليث وألوهية عيسى التى خضعت لها البروتستانتية ولم تستطع التحرر منها[1].

(١) واجع فريد وجدى مادة (نصرانية) دائرة المعارف.

الفصل السابع

الرهبانية

ظهرت الرهبانية فى القرن الثالث الميلادى من خلال نظام الكنيسة وعدها المورخون تطوراً فى الحيـــاة الروحية وقد وضع نظامها فى الشرق القديس باسليوس وفى الغرب القديس مارتان وقد كانت تطوراً لمفهوم العبادة فى المسيحية فى إطار نهج بولس ومن خلال مفاهيمه ، وليس شأن الرهبانية فى المسيحية إلا شبيه بشان ألوهية المسيح والتثليث والخطيئة والصلب وغيرها من مفاهيم جاءت إليها من الأديان الأخرى فقد عرفت فى البوذية وغيرها من الأديان الأرضية قبل المسيحية وكان الرومان يرغمون العذارى على عدم الزواج لكى يكرسن حياتهن لخدمة النار المقدسة :

وقد بدأت الرهبانيـــة المسيحية فى المشرق حين أقامها القديس باخوميوس فى مصر وقد تطور نظام الرهبانية فى الغرب فأنشئت الأديرة حول الكنائس وأصبحت نظاماً عاماً حتى هاجمته البروتستانتية فى البلاد التى سيطرت عليها وترتبط الرهبانية بمفاهيم العزلة والانفصال عن المجتمعات والإقامة فى اديرة خاصة وهى فى هذا تتعارض تماماً مع مفهوم الدين كما أنزله الله .

ولما كانت المسيحية قد انحرفت عن مفهوم الرسالة المنزلة فقد أخذت تنقل من الأديان والمذاهب والفكر البشرى القديم ، وقد عرفت الرهبانية منذ أجيال قبل أن تنقلها المسيحية إليها وعرفتها الديانات الهندية القديمة كما عرفها اليهود وقبل المسيحية ، وعرفتها أقاليم آسيوية أخرى . ثم ظهرت ثانية فى المسيحية عنـدما

امتنع الرجال والنساء عن الزواج وأكل اللحوم وأوقفوا أعمارهم على العبادات ثم عاشوا ناسكين منعزلين ، وانتشرت دعوتهم فى غرب أوربا فى عهد القديس اثناسيوس ثم القديس بيركيوس الذى وطد دعائم هذا النظام فى الغرب .

وقد تأثرت الكنيسة القبطية بعقائد قدماء المصريين وربطوا بين زوال الجسد بعد الموت وبين احتقار متاع الحياة ومن هنا نشأ مفهوم الزهد والرهبة والرحيل إلى الصحراء وقد تركزت الأديرة فى وادى النطرون (مائة دير) وجزيرة سيناء .

وقد اتخذ اللفظ اللاتينى Monasticism من مفهوم المكان المنقطع أو المنفرد ، وهى تعنى النظام الخاص الذى اتبعته جماعات دينية مراعية فيه شرائط الفقر والعزوبة والطاعة العمياء والعزلة على الناس ومجافاة متع الحيـــاة من الزواج وزينتها وزخرفها .

وقد وصفها القرآن الكريم بعبارة واضحة تكشف عن أنها لم تكن من أصول المسيحية « ورهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا أجرهم وكثير منهم فاسقون » .

ويتعارض مفهوم الرهبانية مع مفهوم الإسلام أو مفهوم الدين السماوى الحق ، ذلك أن الله تبارك وتعالى لم يشأ للانسان أن يعتزل الحياة من أجل العبادة ولكنه رضى له أن يمارس الحياة ويتصل بأهلها ويقارف متاعبها ويتمتع بما أحله له من زينة ومتاع ، وأن يقف عن حدود ما حرم عليه .

وان عبادة المؤمن إنما تكون بالعمل والاتصال بالناس ومجاهدة الحياة ومواجهة الصعاب أقوى منها بالهرب منها بالعزلة والاعتكاف والزهادة :

ويرجع بعض المؤرخين قيام نظام الرهبنة فى الغرب واستشراؤه إلى

الاضطهاد الذى واجهه المسيحيين خلال حكم الامبراطور الرومانى (دنسيوس) مما اضطر المسيحيون إلى الهرب إلى الجبال والإقامة فى الصوامع .

وقد تكاثر هؤلاء فى القرن الثالث الميلادى حتى ملأو البرارى الجبلية بآسيا الصغرى وسوريا ومصر وظهرت رهبنة للأنات . وقد ضم وادى النطرون خمسة آلاف راهب ، وضم أحد الأديرة عشرة آلاف راهب وخمسة عشرة آلاف راهبة .

غير أن الباحثين يرون[1] إن الإفراط فى الاعتزال والتقشف والزهد جلب على كثيرين الدعارة والمجون واليأس والانتحار ، وجعل بعض الرهبان أداة خطرة فى يد رجال ذوى مطامع » .

وقد أشارت دائرة لاروس إلى الرهبانية فقالت أن الرهبان لم يراعوا الرهبنة حق الرعاية .

كما هاجم هذا النظام كثير من القسس : فقد كتب القس شيرو تليان فى القرن الثالث المسيحى على ما ترويه دائرة معارف لاروس :

لسنا من البراهمة ولا من معتزلة الهنود فلا نعتزل الناس فى الغابات بل نعمل لإصلاح المجتمع الإنسانى .

وأشارت دائرة لاروس إلى أن الفساد لم يلبث أن تطرق إلى نظام الأديرة وأصابها الملل وأصبحت بعيدة عن المبادىء المنشأة لأجلها .

وقالت أن الرهبان الذين أخذوا على أنفسهم أن يعيشوا بلا زواج لم يقوموا بما تعهدوا به من العفاف بين رجال الدين من الجنسين .

---

(١) السياسة الأسبوعية فى ١٩٢٨/١١/٢٤

فقد قال (دوبرتو) بعد أن زار الأديرة فى النمسا وفى الممالك الأخرى التابعة للملك فرديناند الأول أنه رأى مائة وعشرين ديراً تحتوى على ٤٣٠ راهباً و ١٦٠ راهبة و ١٩٩ سرية و ٥٥ امرأة متزوجة و ٤٤٣ طفلا وقال أنه يخشى أن يتكلم عن راهبات زمانه تفادياً من أن يظن أنه يتكلم بإسهاب ومجون وندد بالأديرة وسرد بعض جمل شديدة الطعن جداً على أديرة زمانه .

وأشارت دائرة المعارف إلى أن هذا الفساد ليس مرتبطاً بزمن دون زمن، ففى الأزمنة القديمة لام القديس (سيريايين) والقديس (بازياها) عذارى زمانهما اللاتى وقفن حياتهن على الله على ما يظهر من عدم عفافهن . ورأى جان كريزوستوم انه لا يكفى قتل الراهبة التى تخون عفافها بل رأى أن تقطع الى نصفين أو تدفن حية مع شريكها فى الإثم .

* * *

وقد هاجمت البروتستانتية نظام الرهبنة وأبطلته وسمحت لرجال الدين بالزواج ، وبقيت المذاهب المسيحية الأخرى على موقفها من اقرار الرهبنة وتطبيقها معارضة بها الطبيعة الإنسانية ومفاهيم الدين الحق وقد كانت الرهبانية احدى التحديات الكبرى التى واجهها الفكر الغربى الحديث حين انتقل من النقيض الى النقيض فدعا الى الإباحة والكشف وأقام مذاهب الجنس والتحليل النفسى ، بل ان فرويد يذهب الى أنه انما كان رد فعل لمفاهيم الحرمان والكبت ومعارضة الطبيعة البشرية والوقوف فى وجه حاجات الجسد وطاقاته .

وليس أدل على فساد نظام الرهبنة من أنه كشف عن معارضته لفطرة الانسان من حيث حاجاته وقدراته ، ومن حيث عجز الكثيرين عن التقيد بالرهبانية ، وتنفيذها لمنافاتها للطبيعة البشرية التى أعطيت قوى ذاخرة فى أعماقها لا يجوز القضاء عليها أو تجاهلها أو قتلها .

ولذلك فقد كان موقف الإسلام من الرهبانية ومن اذلال الجسد ومن

تحريم الطيبات واضحا وصريحا ، فقد رفض هذه المغالاة ودعا الى أطلاق حاجات الجسد وفق نظام كريم هو نظام الزواج .

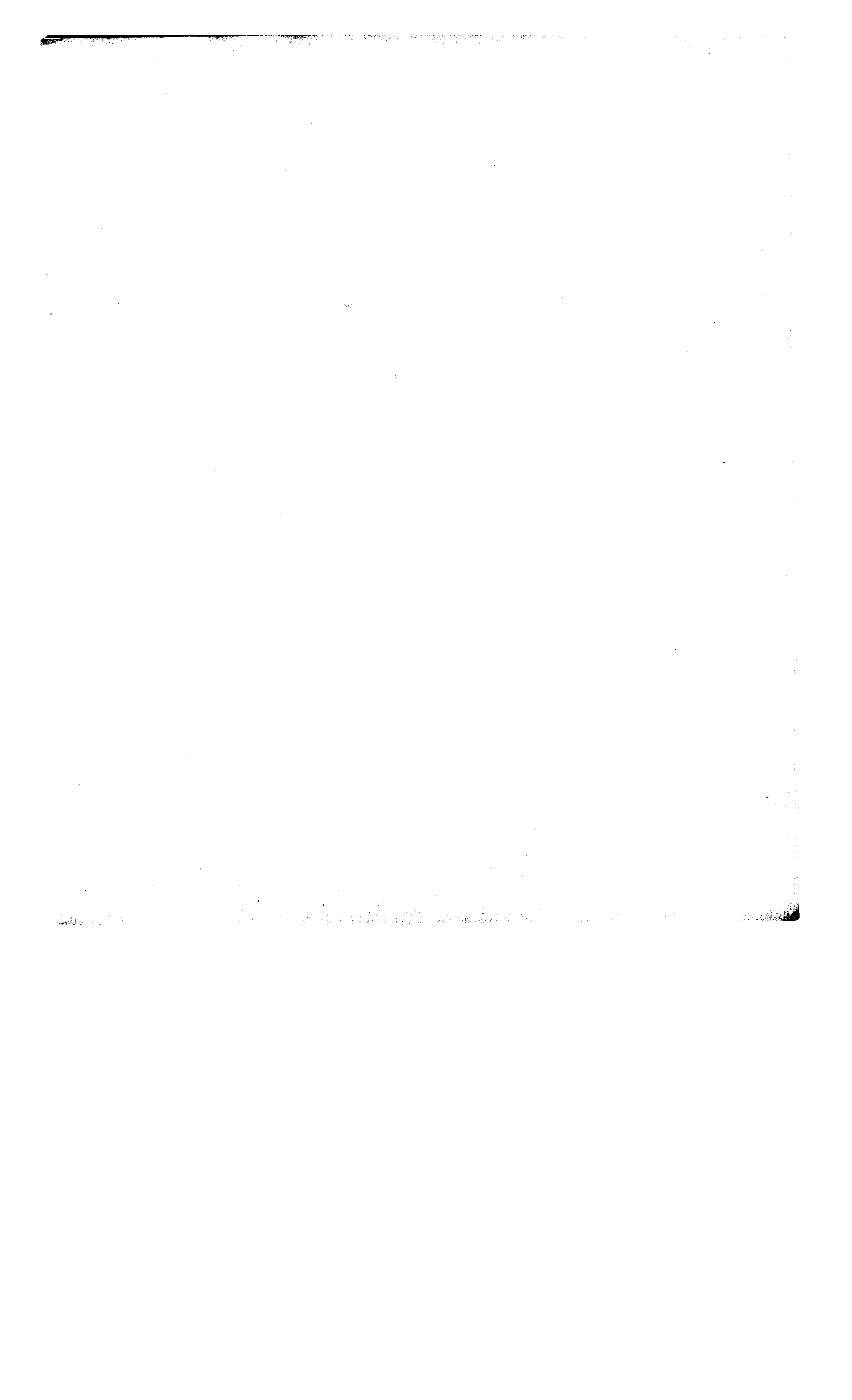
ولذلك فقد أنكر الإسلام مثل هذا الزهد أو هذا التصوف ونهى عن الرهبانية وقال ان رهبانية المسلمين هي الجهاد .

وقد حاول بعض المسلمين نقل مثل هذه المفاهيم الى الإسلام فأنشأت بعض الفرق التكايا التي تعلم فيها الزهاد بعيداً عن متاع الحياة الدنيا ، غير أن هذه الفرق لم تلبث أن انحرفت وضلت لأنها لم تستطع الحفاظ على روح الإسلام في مفاهيمه للنفس البشرية وحاجاتها وقواها .

وكانت أغلب هذه الدعوات تقوم على أيدي أقوام يضمرون المفاهيم المجوسية والهندية القديمة ويحاولون بدعوتهم تدمير الإسلام من الداخل .

الباب السادس

الوثنية العربية



الوثنية العربية

تختلف الوثنية العربية عن الوثنية الاغريقية فى أمرين هامين :

(الأول) أن العرب كانوا موجودون منذ دين ابراهيم واسماعيل ثم انحرفوا عن التوحيد فقد عرف العرب حنيفية ابراهيم وبقيت منها بقايا إمتدت إلى زمن البعثة المحمدية . وقد عرف العرب فى الجزيرة أنبياء مثل شعيب وهود (وهم من الأنبياء العرب) دعوهم إلى التوحيد غير أنهم لم يلبثوا مع مرور الزمن أن التمسوا أصناما وأوثاناً يتخذونهم وسيلة إلى الله (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) .

(الثانى) ان الوثنية العربية كانت قريبة الأمد فلم تبلغ أكثر من قرن ونصف قرن فى تقدير أغلب المؤرخين وهى لذلك لم تكن لها فلسفة ومثل كالفلسفة اليونانية .

فالوثنية فى الحجاز وجزيرة العرب — على حد تعبير السيد محب الدين الخطيب ،[1] كانت مرضاً أجنبيا طارئاً عليها من شرق الأردن وبلاد كنعان حمله منها عمرو بن لحى فى بعض الوقت الذى تولت فيه خزاعة الحكم فى الحجاز قبل الهجرة بنحو أربعمائة سنة فهى أقصر وثنيات العالم عمراً .

ولأنها كانت قصيرة العمر فى بلاد العرب فلم تقم لها عندهم هياكل ولا تهاويل ولا أنظمة وأساطير كالتى كانت للوثنية العريقة فى الهند والصين ومعابد الفراعنة وأثينا وروما .

---

(١) الرعيل الأول — محب الدين الخطيب عن كتاب الأصنام للكلبى .

يقول الكلبي[1] : كان الذى سلخ بهم إلى عبادة الأوثان والحجارة أنه كان لايظعن عن مكه ظاعن إلا احتمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم وصبابه بمكة فحيثما حلوا طافوا به كطوافهم بالكعبة . وكان بعض هذه الأحجار مربعة مثل اللات أو لوحاً من الحجر الأبيض كذى الخلصة أو صخرة طويلة أو نتوءا فى الجبل كأنه تمثال إنسان .

وذكر ابن الكلبي أن بين الأصنام التى كانت العرب تعبدها تماثيل على صورة إنسان مثل هبل (وكان من عقيق أحمر على صورة الانسان مكسور اليد اليمنى أدركته قريش فجعلوا له يدا من ذهب) ومنها أساف ونائله وقد زعموا أنهما كانا رجلا وامرأة من جرهم دخلا الكعبة فوجدا غفلة من الناس فأتيا المنكر فمسخا حجرين .

وقد فرق ابن الكلبي بين أنواع الأوثان : فما كان من حجارة تعبد فهى الأنصاب ، وماكانت تماثيل فهى الأصنام والأوثان والمصنوع من خشب أو ذهب أو فضة على صورة انسان فهو الصنم فان كان من الحجارة فهو الوثن.

وقد وجد فى الكعبة يوم فتح مكة ثلاثمائة وستون صنما .

ولما دخل النبي الكعبة بعد الفتح والأصنام منصوبة حول الكعبة جعل يطعنها بشباة قوسه فى وجوهها وعيونها ويقول :

« جاء الحق وزهق الباطل »

ثم أمر بها فكفئت على وجوهها ثم أخرجت من المسجد فحرقت .

* * *

(١) كتاب الأصنام للكلبى .

وقد فرق صاحب كتاب الأساطير العربية قبل الإسلام بين الأصنام فقال إن أعظمها اتخذت شكل الإنسان وصورته وقد كانت الآلهة من أبناء آدم ولكن مرور الزمن والأجيال كبر همهم ورفع شأنهم الى درجة الآلهة وأول مظهر للدين عبادة القبيلة (الرب والأمير) كان ود وسواع ويغوث ويعوق ونسراً قوماً صالحين فصنعوا أصناماً على صورهم .

والواقع أن الجاهلية العربية لم تعبد الأصنام وحدها ولكنها عبدت آلهة متعددة : عبدت الطبيعة ممثلة فى الكواكب والنجوم واتصل ذلك بالسحر والكهانة والعرافة .

وقد أشار القرآن الى عبادة الكواكب فقال : « لا تسجدوا للشمس ولا للقمر » ولما كانت العرب تفخر بكوكب الشعرى لضخامته قال « وانه هو رب الشعرى » .

وكانت الصابئة تعبد الكواكب . وقد عرف عن العرب الجنوبيين عبادة القمر بينما عبد الشماليون الشمس .

وكان السحر والكهانة من أعمال رجال الدين ، وكان للكهانة شأناً خطيراً فى نفوس الجاهليين وقد ظـــل الناس على اعتقادهم فى الكهانة حتى أبطلها الإسلام .

وكانت الكهانة تعنى التنبؤ بالغيب وكان الكهان بمثابة الأحبار عند اليهود والرهبان عند النصارى وكان لكل قبيلة كاهن .

وعرف العرب العيافة والاستسقام بالأزلام ، وهى أسهم مكتوب عليها جل الفعل والنهى عن الفعل .

وكانت العرب تعرف الطيرة : وهى أن يفزع الطائر بعصاه فإذا تيامنت

تفاءل ولقد ألغى الإسلام هذه المفاهيم جميعاً وأنكرها وقال الرسول: لا طيرة ولا فأل .

وكان السحر من أخطر مفاهيم الجاهلية وللسحر أصول وثنية قديمة وكان اليهود هم القوامون عليه ، وهو يتصل بالأرواح واسترضائها يدفعون به شر الأرواح الخبيثة .

وقد عد السحر والكهانة فى الإسلام من الموبقات مثل الشرك حتى قال الرسول اجتنبوا الموبقات : الشرك بالله والسحر .

* * *

وكان بعض أهل الجاهلية على مذهب الدهريين : وقد وصفهم القرآن حين قال : « وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر » .

وقد عرف العرب فى الجاهلية عبادة الأرواح وعبادة الأموات .

كما أبطل الإسلام عادات النفث فى العقد ، وهى من أعمال السحر (عقد عقد والنفث فيها) .

وقال الرسول : لا عدوى ولا هامة ولا صفر[1] . وحسم القرآن الأمر فقال : قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا .

ويمكن القول بأن الجزيرة العربية حفلت بصنوف عديدة من العبادات الدينية :

---

(١) أما الهامة فقد كانوا يجمعون دم الميت فانتصبت طيراً هامة وقالوا انها ترجع الى رأس القبر كل مئة سنة ، أما (صفر) فهى دابة قالوا أنها أعدى من الجرب عند العرب وقد أبطل النبى أنها تعدى .

منها عبادة آباء القبائل ، وعبادة الظواهر الطبيعية ، وتقديس الأحجار والأشجار والآبار والمياه وعبادة الجن والأرواح ، وعبادة الأسلاف .

وقد عرفت العرب تعدد الآلهــة والشرك والتوحيد وكان منها الحنفاء الذين كانوا على دين ابراهيم ولم يكونوا يهوداً ولا نصارى .

وقد ركز الإسلام على أن أكبر عبادات الجاهلية هي الشرك : وهو اتخاذ آلهة أخرى مع الله ، أو أولياء من دون الله (الذين اتخذوا من دونه أولياء ، ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) .

وقد عرفت الجزيرة العربية اليهودية والنصرانية ولكنها لم تعتنق احداها .

ويمكن القول على الجلة أن وثنية العرب قشرية ، وان الأساطير العربية قبل الإسلام قليلة مما حمل بعض المستشرقين الى القول بأن العرب لم تكن لهم أساطير دينية ، وذهب رينان الى أن العرب موحدون بطبعهم وان دياناتهم هي من ديانات التوحيد[1].

وقد أشار الإسلام الى « الشرك » بحسبانه أخطر أخطار الوثنية العربية .

وقد جمع الشرك (١) عبادة غير الله من حجارة أو أصنام أو قوى طبيعية (٢) اتخاذ البشر آلهة أو أنصاف آلهة (٣) اشراك أشياء مع الله كافتراض ان لبعض المخلوقات خواص من صفات الله كالاعتقاد والتثليث ، وان الإبن وروح القدس لها صفة الأبدية والقدرة والعلم وهي من صفات الله وأن ثمة خالقاً للشر وخالقاً للخير أو أن للمادة والروح صفة الأبدية أو أنها واجب الوجود (٤) اتخاذ بعض الناس بعضهم أرباباً (٥) طاعة الإنسان لهوى نفسه فلا يهوى شيئاً الا اتبعه وانما كانت طاعة هوى النفس شركاً لأن الإيمان يوجب

---

(١) انتفعنا في هذا البحث بكتاب العرب قبل الاسلام (الجزء السادس)

طاعة الله وحده وعلى ذلك فطاعة غير الله بما لا يرضى به تعالى كإتباع هوى النفس ويعد شركاً .

* * *

وفى مقابل الشرك جاء الإسلام ليجدد دعوة الأنبياء ودعوة ابراهيم عليه السلام الى التوحيد فقد حرر الإسلام الفكر البشرى من العبودية لغير الله من جماد وحيوان ونبات وأجرام سماوية وقوى طبيعية ، وارتفع بالإنسانية من ذل العبودية لأخيه الإنسان ولم يختص انساناً بمرتبة الألوهية ولا بمنزلة الخلود .

(قل انما أنا بشر مثلكم يوحى إلى إنما الحكم إله واحد) .

« وبذلك حل الاسلام القيود التى طالما رسف العقل البشرى فيها » .

ولا شك أن توحيد الله ينطوى على وحدة النوع البشرى ، وان الاعتقاد بوحدانية الله يرفع عن العقل البشرى ظلم الجهل ويزحزح عن كواهه نير العبودية ويمهد أمامه سبل الترقى .

(٢)

الفرعونيـــة

أما النحلة الفرعونية التى فشت فى مصر فقد عبدت آلهة كثيرة وعرفت أديانا كثيرة . وتشابهت مفاهيمها مع الأديان الوثنية القديمة ومفاهيم الفرس والهند وبابل واليونان كما عرفت التثليث فعبدت (ايزيس وأزوريس وحورس).

وكانت ايزيس هى آلهة الخصب والنماء وكانت أختاً للإله أوزويرس وكان أبوهما هو (حب) أى الأرض وأمهما (توت) أى السماء وقد تزوجا وأنجبا الإله حورس فكون ثلاثتهم مايعرف فى الديانة المصرية القديمة بالثالوث المقدس وقد غزت أسطورة ايزيس الديانة المسيحية فأبدل بهما المسيح والسيدة العذراء .

وقد احتك المصريون بمدرسة عين شمس ومدرسة الاسكندرية وأثر فيهم الفكر الاغريقى تأثيراً شديداً فتشكل خليط من الفكر الشرقى الغنوصى الى جانب الفكر الوثنى اليونانى .

كما عرف الفراعنة الطقوس المختلفة فى المعابد ، وكان الكهنة من أصحاب الإقطاعات والنفوذ وقد عرفت الفرعونية الى جوار التثليث ، الأكليروس وأقامت معابد الفراعنة حرسا خاص على نظام الملشيا لتنفيذ أوامر رؤساء الكهنة .

كما عرفت الفرعونية نظام الطبقات على أساس الإستبداد والظلم جعلت على رأسه الكهنة أو الأسرة المالكة ، وفى نهايته الفلاحين والعمال .

كما عرفت الفرعونية صكوك الغفران التى تسمى تعاويذ القلب التى يؤثر بها الكهنة فى قلوب الموتى . وأشركت المرأة فى معابد آلهة المصريين القدماء .

وعرفت الديانات الفرعونية القربان على مفهوم الوسيلة والوساطة ، كما عرفت الموسيقى والأناشيد والخمر والخنزير ، وتوابيت الموتى ، والعلامات والرموز ، كما عرفت الفرعونية تقديس الحيوانات : العجول والكباش والأوز.

وقد عبدت الأحياء من أمثال هورس ذى العينين وألهت فرعون حياً وميتاً وقد اقتبست المسيحية عن الفرعونية عديداً من هذه النظم وارتبطت بها ،

الكتاب الثاني

ما بعد الإسلام

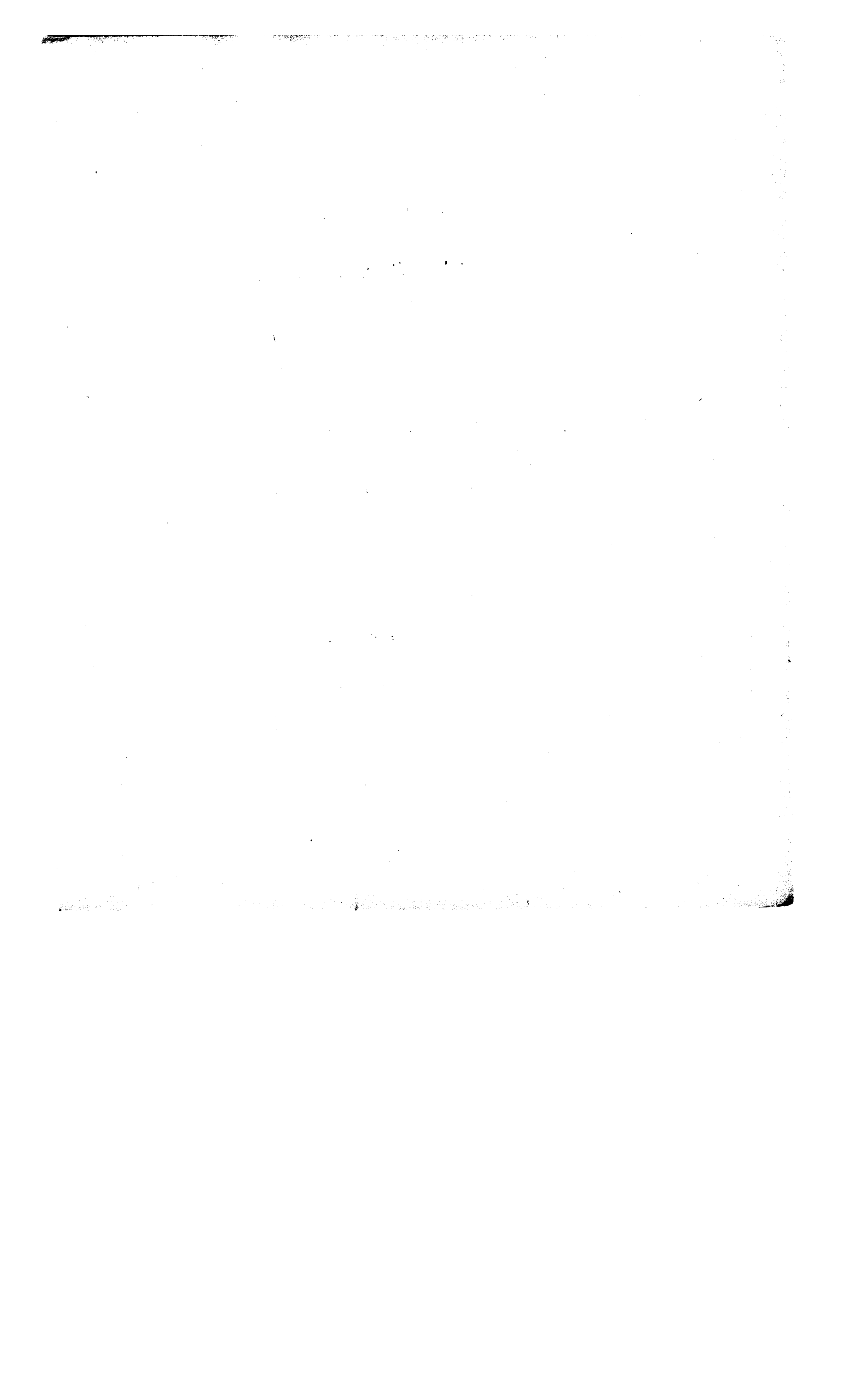
عصر النهضة

عصر التنوير

الماسونية

الثورة الفرنسية

بروتوكولات صهيون



الباب الأول

ما بعد الاسلام

(١) ما بعد الإسلام

(٢) اليهودية فى اطار الفلسفات

(٣) عصر النهضة

(٤) ضوء الإسلام فى الفكر الغربى

الفصل الأول

ما بعد الإسلام

سيطرت المسيحية الغربية [نتاج المزج بين الفلسفة اليونانية ومفاهيم الإله مثرا على النحو الذى صاغها إياه القديس بولس] سيطرت على الحضارة الرومانية على أوربا بعد أن اعتنقها قسطنطين وعقدت المجامع لإقرار مفاهيمها فى التثليث والخطيئة والفداء والصلب وكلها مفاهيم دخيلة على الدين الذى أنزل على المسيح عيسى بن مريم فقد نقلت المسيحية من الأسطورة ديانة مثرا نقلا مباشراً فمثرا هو إله الخلاص والمسيح هو إله الخلاص والمثراوية تحوى المعمودية والعشاء الربانى والمثريون يمارسون عبادتهم فى المغاوز والكهوف والمسيحية هى عبادة مثرا فى ثوب جديد. فقد « دخلت الوثنية والشرك فى النصرانية بتأثير المنافقين الذين تقلدوا وظائف خطيرة ومناصب عالية فى الدولة الرومانية بتظاهرهم بالنصرانية ولم يكونوا يحفلون بأمر الدين ولم يخلصوا له يوماً من الأيام .

وكذلك كان قسطنطين قد قضى عمره فى الظلم والجور ولم يتقيد بأوامر الكنيسة إلا قليلا فى آخر عمره ٣٢٧ م .

« إن الجماعة النصرانية كانت قد بلغت من القوة بحيث ولت قسطنطين الملك ولكنها لم تتمكن من أن تقطع دابر الوثنية وتقتلع جرثومتها وكان نتيجة كفاحها أن اختلطت مبادئها ونشأ من ذلك دين جديد تتجلى فيه النصرانية والوثنية سواء بسواء .

« هناك يختلف الإسلام عن النصرانية إذ قضى على منافسة الوثنية قضاءاً باتاً ونشر عقائده خالصة .

« وأن هذا الإمبراطور الذى كان عبداً للدنيا والذى لم تكن عقائده الدينية تساوى شيئاً رأى لمصلحته الشخصية ولمصلحة الحزبين المتنافسين: النصرانى والوثنى أن يوحدهما ويؤلف بينهما، حتى أن النصارى الراسخين لم ينكروا عليه هذه الخطة.

ولعلهم كانوا يعتقدون أن الديانة الجديدة ستزدهر إذا طعمت ولقحت بالعقائد الوثنية القديمة وسيخلص دين النصرانية عاقبة الأمر من أدناس الوثنية وارجاسها »[1]

* * *

أما معطيات المسيحية الجديدة للفكر الغربى فقد امتدت من القرن الرابع حتى القرن الخامس عشر وغلب عليها الطابع الفلسفى.

ويرى رابوبرت مؤلف مبادىء الفلسفة ان الفلسفة المسيحية تنقسم إلى عصرين كبيرين: ابتداء من العصور المسيحية الأولى وفيه كان كثير من آباء الكنيسة فلاسفة قبل أن يكونوا رجال دين فرأوا من الضرورى أن يؤيدوا أنفسهم وعقائدهم أمام الوثنيين وقد ختم هذا العصر عملياً فى الحقيقة بالآب أوغسطينوس ٣٥٤ — ٤٣٠ م غير أن بعض الكتاب الكنائسيين الذين هم فى المرتبة الثانية ساروا على هذا النمط إلى القرن التاسع (عصر الآباء)ومن القرن التاسع إلى القرن الخامس عشر ويلقب بالعصر المدرسى لأن التعليم كان يقوم به جماعة الرهبان فى مدارس الكنائس وقد أنشأ شارلمان كثيراً من هذه المدارس فى جميع أنحاء فرنسا وكانوا يرمون إلى إلباس مآرب الكنيسة لباساً فلسفياً ويطلق هذا الاسم على تلك العصر فى القرون الوسطى الذى كانت فيه الفلسفة تدرس

---

(١) ماذا خسر العالم: أبو الحسن الندوى.

تحت سلطان الدين وكان الغرض تطبيق التعاليم المسيحية على العقل(وقد استمر هذا العصر من القرن التاسع إلى ظهور النهضة فى القرن ١٥) وقال رابوبرت ان مباحث المسيحية الفلسفة استمرت أكثر من خمسمائة سنة وان فلسفة العصر المدرسى هى فلسفة أوربا التى انتشرت بين الكنائس فى شكل لاهوتى وقد أشار هيجل إلى هذه المرحلة فقال ان اللاهوت فى العصر المدرسى لم يكن مقصوراً على ما يختص بالله من العقائد بل كان يشمل أدق الأفكار عن فلسفة ارسطو والأفلاطونية الحديثة وكانت الفلسفة توفق بين العقل والدين - وبين الطبيعة وقدرة الله .

وقال رابوبرت: ان المسيحية تأثرت أولا بآراء أفلاطون ثم أخذت تخضع لنفوذ أرسطو منذ القرن الثالث عشر وان آراء آباء الكنيسة فى العصر الأول استمدت من آراء اليونان والرومان » .

كذلك أكدت أغلب الدراسات الفلسفية[1] عن هذا العصر: امتزاج الفلسفة اليونانية بكثير من أصول النصرانية ولا سيما مسألة التثليث . وقد وقع الخلاف حول شخصية المسيح وهل هو رسول الله كما يقول الإسلام أم أن الله تجسد فى المسيح (سبحانه وتعالى عما يقولون علواً عظيما) وقد أخذ كل فريق من الفريقين الاستعانة بالمذاهب الفلسفية المختلفة .

كما أدى استمرار النزاع قروناً متتابعة إلى اراقة الدماء ووقوع الفتن وكان مصدراً من مصادر التفرقة بين السلطتين المدنية والروحية .

ويرد[2] بعض الباحثين موقف المسيحية حين عبرت إلى أوربا ومواجهتها للفلسفة اليونانية الوثنيـة إلى أحد أمرين : اما أن تطغى المسيحية وتكتسح أمامها جميع المذاهب الفلسفية وإما أن تتودد إليها وتجعل منها سنداً وتستمد منها

(١ ، ٢) تاريخ الفلسفة: محمد على مصطفى وأحمد عبده خير الدين

فى تأييد العقائد الدينية وقد اختارت الطريق الثانى ذلك أن كثيراً ممن اعتنقو الدين الجديد كانوا فلاسفة قبل أن يكونوا مسيحيين .

ولهذا اخذ رجال المسيحية يدرسون الفلسفة ويمزجونها بالدين ويجعلون للعقائد الدينية سنداً منها ، وبذلك أخذت الفلسفة اليونانية تدخل فى المسائل الدينية لتحديد ماهية الله وكنهه وطبيعة المسيح وهل هو إله أو إنسان .

وكانت المبادىء التى اشتملت عليها المسيحية قريبة الصلة بتعاليم افلاطون والرواقيين من بعدهم

(٣)

من هذه الدخائل التى أصابت المسيحية أولا على أيدى بولس ثم باتصالها بالفلسفة اليونانية فى مهدها مباشرة قد صاغت من المسيحية نهجاً عجيباً بعيداً عن الفطرة والطبيعة البشرية ، معقداً أشد التعقيد وفرضت مفاهيم غريبة غاية الغرابة .

(أولا) تذهب المسيحية إلى أن الطفل شرير بطبعه وأنه يولد محملا بكثير من الشرور والآثام فيجب أن يقمع ذلك بالشدة والعنف وأن يسلك به سبيل التعذيب والايلام، وليس الطفل شرير بطبعه كما تقول الفلسفة المسيحية ـ والإسلام يقرر أن كل مولود يولد على الفطرة وقد استمد (روسو) وجون لوك هذا المعنى فقال روسو أن الطفل خير بطبعه ، وان عقليته كالصحيفة البيضاء يسطر فيها المرء ما يشاء

(ثانياً) تنص التعاليم الأخلاقية المسيحية على نبذ الجسد وعلى الغلو فى كبح شهوات البدن الطبيعية مما أدى إلى افساد أخلاق الأفراد وإرغامهم على مخادعة المجتمع والظهور بمظهر الفضيلة .

(ثالثاً) المسيحية تعتبر الإنسان دنساً مذنباً خاطئاً وأن الإنسان يولد حاملا لما تسميه الخطيئة الأصلية التى ورثها عن أبيه آدم .

(رابعا) تقوم العقيدة المسيحية على الاعتقاد بتجسد الله فى البشر والإيمان بأنه (جل وعلا عما يقولون علواً كبيرا) يلبس جسد الإنسان ، وأنه أرسل ابنه افتداء للبشر من خطاياهم فمات من أجلهم على الصليب .

وقد أثار هذا المفهوم شكوك أمم كثيرة وخاصة الصين واليابان وقد اتفق تركيب المسيحية الغربية مع الفكر الأوربى لأنه استمد أصـــوله من الوثنية والهلينية واكتفى بالمسيحية إطاراً له .

(خامسا) غلبة طابع الاغريق المشبع بالفجـور والحب الجسدى العنيف والوثنية .

(سادسا) المسيحية عقيدة مكملة لدين موسى وشريعتها فى التوراة فلما انتقلت إلى أوربا كانت الشريعة فى الإمبراطورية الرومانية هى القانون الرومانى ، ومن هنا احتجز الكهنة لأنفسهم ملكوت السماء ففرضت الكنيسة ضرائب مالية وعقلية وروحية فادحة وصكوكا للغفران كما فرضت التعذيب والحرمان لكل دعاة العلم النظرى والتجريبى (جرادنو برونو — كوبرنيكوس — جاليلو) .

(سابعا) فصلت المسيحية الإنسان عن الحياة : اعتماداً على قول «لاتهتموا لحياتكم ولا لأجسادكم أو قول منسوب للمسيح : ان مملكتى ليست فى هذا العالم .

(ثامنا) لم تقدم المسيحية الأوربية للنهضة طريقا ، ولكن النهضة بدأت بعيداً عن المسيحية والكنيسة وقامت على أساس غير دينى (Lecular) وارتكزت على محور يباعد بينها وبين الدين ، وقد عادت الى منابعها قبل المسيحية فاستمدت

من التراث اليونانى والرومانى القديم وتنكرت للمسلمين أصحاب المنهج العلمى التجريبى الذى قدمه المسلمون بعد أن أخذته واعتمدت عليه .

وعاشت قروناكاملة بشخصيةمزدوجة : مسيحية الظاهر ووثنيةالمضمون .

(تاسعاً) اهتزت المسيحية فى نفوس الغربيين نتيجة أمرين أولهما عدم إتفاقها مع العقل الذى يجرب ويحلل ويستنبط وذلك لتعقيد فكرة التثليث ولانكار فكرة الإنصراف عن الدنيا ونتيجة تحكم الكنيسة فى عقول وقلوب المسيحيين فضلا عن تأييد الكنيسة للحكم الاقطاعى .

(عاشراً) كانت المسيحية الغربية هى التى نادت بمحاربة المسلمين واحتلال بيت المقدس وشن الحروب الصليبية على الشام وفلسطين ومصـــر وعلى المغرب كله .

(٥)

نتج عن انحراف المسيحية عن أصولها الطبيعية أموراً خطيرة : كان أشدها خطرها أن « ادعى رجال الدين أن الله اختصهم بين عباده ليكونوا وسطاء بينه وبين الناس ، وطلبوا من الناس الخضوع والطاعة العمياء وحالوا بينهم وبين الكتاب المقدس ، وحرموا عليهم النظر فى الكائنات وفهم احداث العالم ، ولم يسمحوا لأحد بحرية الفكر وتعصبوا للنصوص الدينية وفسروا كل شىء على مقتضاها وتعددت تقاليد الكنيسة رغبة فى التعمية على العامة واقحام الدين فى كل شىء حتى لم يبق للفكر منزع

ومن ثم « ساد الجهل وعم الاعتقاد فى الخرافات وشغل النـاس بأمر الآخرة ونسوا نصيبهم من الدنيا وأصبح التعليم مقصوراً على تلقين العقائد المسيحية ، فالبابا فى روما خليفة المسيح يكره العلم والتفكير فى خلق السموات والأرض » .

« وفصلت الكنيسة فى جميع المسائل الجوهرية كخلق الانسان وطبعه والغاية من حياته ووضعت، أصول العلم وفروعه على نحو ما تأسس فكرها بأن المسيح أرسل ليضحى بنفسه ويخلص الناس من الخطيئة الأولى وتحمل الأفراد أينما كانوا لخطيئة آدم وخلاصهم بموت المسيح .

وقالت الكنيسة أن الانسان مؤلف من عنصرين : النفس والجسم وأن هناك نزاعا مستمراً بينهما وأن الكمال الروحى الذى ينشده الانسان لايتم إلا إذا فارقت الروح الجسد .

« وقولهم إن العقائد المسيحية لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، ومن ثم فلابد من الايمان بهذه العقائد إيمانا اعمى ولو لم يفهمها الناس .

« وقولهم أن الكتاب المقدس جمع كل شيء ولم يبق للنظر والبحث مجالا بعد النصوص الدينية

« ومن هنا جاء اضطهاد الكنيسة للعلم

فقد قدمت الكنيسة معلومات جغرافية وتاريخية وطبيعية وعدتها من أصول الدين فلما عارض رجال العلم هذه المعلومات قامت قيامة الكنيسة فأنشأت محاكم التفتيش لمعاقبة الملحدين والزنادقة وعاقبت ثلاثمائة ألف أحرق منهم اثنان وثلاثون ألفا وهم احياء منهم برونو وجاليلو .

وكان هذا مقدمة لدفعة عنيفه من الفكر الأدبى لمعارضة المسيحية ثم مغايظتها وانتقل الفكر الغربى انتقالا خطيراً من مفاهيم الزهادة إلى الوثنية ومن جحود الكنيسة الى الانحلال ومن تسلط رجال الدين إلى الإباحة .

ولم تكن تلك المعلومات الكنسية فى الواقع حقائق إلهية ولكنها كانت اجتهادات آخذت طابع القداسة (مثل عمر الأرض وعمر الانسان) فكانت

سببا فى قيام الصراع بين الدين والعلم وقد « انهزم فيها الدين مع الأسف وسقط رجال الدين » .

(٦)

وكانت محاكم التفتيش من أسوأ صفحات الفكر البشرى الذى أدخلته المسيحية أوربا .

فقد اتجهت الكنيسة إلى الانتقام العنيف من معارضيها ويعد البابا كوبلورى التاسع (١٢٢٧ — ١٢٤١) المسئول عن إيجاد محاكم التفتيش التى ملأت قلوب الناس رعبا فى العصر الوسيط ، وقد اعتمدت البابوية فى ذلك على « الدومينكان » الذين شبهوا أنفسهم بكلاب الله فى اصطياد « الهراطقة » للمحافظة على الكنيسة

وقد ظلت محاكم التفتيش تعمل ثلاثة قرون وكانت مصدراً لانفراط عقد الوحدة فى المسيحية وتذرعت بالتعذيب لاجبار المتهمين على الاعتراف .

وحملت الكنيسة باسم المسيحية الغربية فظائع (سانت بارتلمى) وهى المذبحة التى قامت بين البروتستانت والكاثوليك وأمر بها شارل التاسع فى ليلة ٢٤ أغسطس ١٥٧٢ وقد استمرت ثلاثة أيام انحى فيها الفرنسيون على رفات البروتستانت بجميع نواحى فرنسا .

وتعد مذبحة (الألبيجواه) من أشد هذه المعارك سوءاً ، وقد قامت للقضاء على طائفة دينية انتشرت فى القرن الحادى عشر بجنوب فرنسا .

وقد أمر البابا انيوسان الثالث بابادتها عن آخرها فأبيدت وقتل فى حرب الكاثوليك على البروتستانت ١٦٠ ألفا .

كما قتل توركادا الدومنيكى الأسبانى (١٤٢٠ — ١٤٩٨) ستة آلاف إنسان بالنار .

(٧)

وكانت بدعة الرهبانية من أخطر ما أدخلت الكنيسة المسيحية إلى الدين الخالص.

وقد وصفت هذه الرهبانية على لسان بعض المؤرخين بأنها أخطر من إباحية روما الوثنية .

وقد رسم ليكى فى كتابه تاريخ أخلاق أوربا صورة بشعة لهذه الرهبانية التى استفحل أمرها وزاد عدد أتباعها على عدد أهل مصر فى نهاية القرن الرابع.

وأبرز أخطاء الرهبانية الأوربية : تعذيب الجسد ممن يقف على قدم واحدة ثلاث سنوات أو يحمل قنطاراً من الحديد . أو ينام فى المستنقعات . ومنهم من يتستر بشعره الطويل أو يمشى على أيديه وأرجله كالأنعام أو من يسكنون مغارات السباع والآبار النازحة والمقابر يأكلون الكلأ والحشائش . ويعدون طهارة الجسم منافية لنقاء الروح ويتأثمون من غسل الأعضاء . ويبقون على ماهم فيه من النجاسات والدنس[١] منهم من لم يمس الماء وجهه طوال عمره ومنهم من لم يمس وجهه ولا رجله الماء خمسين سنة وهم يخطفون الأطفال ويهربونهم إلى الصحراء والأديرة التى كان لها تاريخ طويل .

وكانت أخطر الأديرة : الأديرة النسائية والنسوة المكرهات على دخول الدين ومن نتيجة حياة العزوبة التى كان الرهبان يزينوها للناس لم يتضاعف سكان القارة الأوربية فى ألف سنة .

وكان للرهبانية أثرها السلبى فى أخلاق الأوربيين فقد اختفت الفتوة والمروءة والشجاعة والسماحة وكان الرهبان يتركون الأمهات والأزواج عالة يتكففون الناس ويتوجهون قاصدين الصحراء . إلى غير ذلك من الإسراف

(١) أبو الحسن الندى : ماذا خسر العالم .

فى الرهبانة والزهد على مافيه من مخالفة الفطرة وعلى ما كان من أثره من إباحية الفجور والشهوات حتى قال الراهب جيروم ان عيش القسوس ونعيمهم كان يزدى بترف الأمراء الأغنياء المترفين فقد انحطت أخلاق البابابوات إنحطاطاً شديداً وفشت فيه الرشوة والربا .

(٨)

فى ظل هذه الصورة القاتمة ، ومن تضاعيف هذا الاضطراب العنيف الذى بلغت به المسيحية الغربية حدها فى الإنحراف بزع ضوء الإسلام صافيا نقياً مجدداً للفكر الربانى ، ماحياً كل تعرضات الوثنية والإباحية والتثلية والتثليث كاشفاً بالحق كل الشبهات والضلالات التى حاول دعاة الفكر البشرى السطو بها والسيطرة عن طريقها على مقررات الأديان وحقائق الألوهية وأهواء الشرك .

وانطلق الإسلام يكتسح الأقطار وفى أقل من قـــرن وصل إلى أوربا واقتحم الأندلس ونشر لوائة وقدم للفكر البشرى حقائق جديدة ، من ضياء التوحيد ، ووضع أصول المنهج العلمى التجريبى .

ومن ضوء الإسلام انطلقت صيحة الحرية التى غيرت وجه أوربا والفكر الغربى كله إلى الآن فان انطلاقة الحرية والمعرفة والعدل والأخلاق والإيمان بالغيب كان ذلك كله ثمرة من ثمار الإسلام .

الفصل الثاني

اليهودية في إطار الفلسفات

عندما فتح الأحبار باب التحريف لدين موسى سقطت اليهودية ، سقطت في براثن الفلسفات القديمةوخاصة الفلسفة اليونانية الوثنية ،كما احتوتها الفلسفة الغنوصية .

«فقد قام حاخامو اليهود بتفسير الفلسفةاليونانية وادعوا أنها قطعة متكاملة من الشريعة اليهودية» يقول أحد الباحثين «اتضح أخيراً أن المعارف اليهودية اليونانية تخفي في طياتها شخصية يهودية على أمل اقرار السيادة على الشعوب بواسطة تلك المعارف ولكن انقلبت آية سياستهم المذكورة . اذ أن قسيسا يدعى أوزيب نشر في أحد كتبه بعض الفصول من كتاب (نومى نوسى)القائلة بفكرة أخذ فيلسوف اليونان أفلاطون كثيراً من أفكاره عن موسى عليه السلام وزعم أن أفلاطون هو نفس موسى عليه السلام .

«وكان عدد من الحاخاميين يدعون بأن الفلسفة اليونانية مقتبسة من عقائد يهودية وان فيلسوفا يهوديا يسمى (توراه ارستوبول) قد ادعى مطابقة أفكار بعض فيلسوفى اليونان أمثال أفلاطون وسقراط مطابقة تماما لقواعد اليهودية وأوامرها ، وان حاخام اليهود وفيلسوفها المشهور (فيلون) يقول: ان النظريات هي نفس ما جاء في دين اليهود تماما» .

ويرد هذا الباحث التحول الذى حدث في الفكر الغربي الى هذه المفاهيم ويقول «فان حقيقة الفلسفة العلمانية التي سادت على مدنية الغرب وتغذى

الحركات المعادية للقومية والدين والتاريخ هي من (اليهوا) أي من اليهود وشريعة التوراة .

وان الحاخاميين كانوا يضعون خيوطهم لجر المدنية الغربية النصرانية نحو اليهودية ، وعندنا أن هذا هو سر تعلق الفكر الصهيوني اليهودي الذي سيطر على أوربا بالهلينية ودعوته الحارة الى العودة اليها والتحرر من معطيات الإسلام التي انتقلت الى أوربا وكذلك من بقايا المسيحية .

(٢)

وفى هذا يقول الدكتور على سامى النشار .

« أثرت الغنوصية فى اليهودية وسيطرت على فيلسوفها الكبير (فيلون) وقد مهد فيلون لظهور المسيح فقد أثر أكبر الأثر فى القديس يوحنا الإنجيلى، وكل ما ذكره يوحنا الإنجيلى إنما هو مأخوذ من فيلون » .

وقد أثار فلاسفة المسيحية الغنوصية فى القرن الثانى الميلادى وجه الخلاف بين إلهيم (إله العهد الجديد) وبين إله يهود (إله العهد القديم) وفكرتهم العامة إن هناك إلهين . إله العهد القديم وهو إله قاس جبار منتقم ، وإله العهد الجديد وهو إله طيب خير . الأول رئيس الملائكة الأشرار والثانى رئيس الملائكة الأخيار . الأول صانع العالم المحسوس والثانى صانع العالم المعقول . وقرروا أن هذا هو الحل الوحـــيد لتفسير التعارض الكبير بين التوراة والإنجيل[١] .

---

(١) ذكره دكتور على سامى فى كتابه : الفكر الفلسفى فى الاسلام

وقد أنشأت الماسونية فى العصر الحديث تفسيراً معاكساً لذلك فادعت أن الشيطان هو إله الرحمة وأن الله (جل وعلا) هو غير ذلك .

(٣)

وأشار الدكتور على العنانى إلى هـذه الصلة بين اليهودية وبين الفلسفة الهلينية، فقال : اكتشف الدين الإسرائيلى فى الوقت الذى امتزج فيه مع الفلسفة الدينية اليونانية هذه العوامل : تمزيق الوحدة الإسرائيلية، سقوط إسرائيل، السبي المتكرر والهجرة، المظالم التى حلت بالشعب المختار .

وكانت الاسكندرية نقطة الاتصال بين النظر الفلسفى الهلينى الجديد والعقائد الإسرائيلية التى أحست بالصلة والقرابة بينها وبين الأفكار الدينية والإغريقية الحديثة . ونتيجة لهذا شاع هذا الاتجاه بمدرسة الاسكندرية وأخذ شكله النهائى عند (فيلون) الفيلسوف اليهودى بهذه المدينة .

وقد أراد فيلون أن يوجد تلافيا بين النظريتين اليهودية واليونانية باسم حكمة الاسكندرية .

ويخلص الدكتور على العنانى إلى إقران « الفلسفة اليونانية الدينية والديانة الإسرائيليه الفلسفية .

(٤)

من هذه النصوص وغيرها يتبين « أن اليهودية مسخت التعاليم السماوية المقدسة ومزجتها ببعض المفاهيم الوثنية فقد تأثر اليهود بالديانات البابلية القديمة وقبل سبى بابل لم يكن المعبد اليهودى قد أخذ شكله القائم على التعصب والغدر والخيانة إلا أن اليهود مسخوا الكثير من العقائد البابلية وحولوها إلى قوى شريرة وحولوا الكثير من القيم الخيرة إلى أفكار تحث على التعصب وتؤكد على أن المعبد بحاجة إلى إراقة الكثير من دماء القرابين لكى تنتشى الآلهة العطشى التى لم تكن فى حقيقتها إلا ردود الفعل لدى بعض المتعصبين وإعادة كتابتها بشكل يجعل من بنى إسرائيل قوماً مفضلين على غيرهم تسرى فى عروقهم

دماء التعصب فى الوقت الذى ينظرون فيه إلى غيرهم من أهل الأرض نظرة وضيعة .

« وانقلبت التعاليم الدينية الخيرة لدى اليهود إلى مخططات سياسية واقتصادية استخدمت القيم الدينية الخيرة كغطاء لإضفاء نوع من القدسية والشرعية على ما ترتب من جرائم القتل والاستباحة والابتزاز والاغتصاب .

« وبذلك انقلب الدين اليهودى إلى ما نسميه باليهودية وهى نزعة ميكافيلية قبل أن يوجد ميكافيلى .

«فقد ضربت اليهودية بكل القيم الدينية عرض الحائط واستغلت المصاعب التى من الممكن أن يتعرض لها كل شعب خلال مروره فى أدوار التاريخ المختلفة فصاغت من بعض تلك الصعوبات سياسة بنيت على الحقد والكراهية. فعرضت عليهم أن يتكتلوا وأن يكونوا عصبة لا بدافع الحفاظ على جماعتهم وروحهم الجماعية ولكن لكى يعملوا على تدمير العالم المحيط بهم توهما منهم بأن قوى العالم تسعى إلى تدميرهم[1] .

---

(٢) عن باحث مسلم كبير

الفصل الثالث

عصر النهضة

ثمرة من ثمرات الاسلام فى جناحيه : الإصلاح الدينى والمنهج العلمى

كان الإسلام بنظرته الحاثة على البرهان والنظر فى الكون منطلق عصر النهضة بعد أن ترجمت آثار الاسلام فكان لها أثرها فى مجالات عدة :

١ - الاسلام ومفاهيمه هو مصدر الاصلاح الدينى الذى قام به لوثر وكالفن فالاصلاح الدينى علم الناس أن من حقهم الحكم الشخصى على الأشياء ومن ثم تحررت أفكارهم من القيود التى قيدها بها رجال الدين[١] .

٢ - الاسلام ومفاهيمه هو مصدر المنهج العلمى التجريبى الذى نقل البشرية كلها وليس أوربا وحدها من الفلسفة اليونانية النظرية إلى المنهج العلمى التجريبى الذى أنشأه المسلمون تطبيقا لدعوة القرآن إلى النظر فى الكون .

٣ - الاسلام ومفاهيمه صاحب أكبر الأثر فى بناء منهج المعرفة القائم على العقل والقلب معا . والقائم على البرهان المتحرر من التقليد ومن وراثيات الآباء الناظر إلى الأمور نظرة محررة خالصة من أوهام الأساطير والوثنية.

* * *

كان هذا أثر الاسلام إلى الحد الذى يمكن أن يقال معه أن النظرة

---

(١) رابوبرت : مبادىء الفلسفة .

القرآنية الاسلامية التى طرحها على البشرية كلها هى مصدر ذلك التحول الخطير الذى واجه الجمود والقيود والقسر العجيب الذى فرض من وراء الأسرار المقدسة التى لا يجوز أن تدرس عقليا وإنما يؤمن بها دون بحث ولا تحقيق .

ويصور رابوبرت : نتيجة هذه الأطروحة الاسلامية القرآنية التى وصلت إلى أوربا والفكر الغربى فيقول :

« أصبح الحق فى نظر الناس ليس ما اعتبر حقاً منذ قرون ولا ماقال عليه فلان أنه حق سواء القائل أرسطو أوتوماس أكويناس أو غيرهما ، إنما الحق ما برهن لى عليه واقتنعت بكونه حقاً » .

« لقد تميز هذا العصر بحرية الفكر واستقلاله وبكسر القيود التى كبله بها رجال الدين فتداعت عقائد القرون الوسطى الجافة ونبذت أراؤها وأهمل الجدل فى عالم الغيب»[١] .

كان هذا هو المنطلق الخطير الذى كسر قيود العصور الوسطى وفتح آفاق عصر النهضة إلى بناء العلم والتجريب على نفس الأسس التى أقامها المسلمون فى الأندلس والتى تسربت إلى أوربا ثم امتلكتها أوربا ملكية خالصة بعد أن أخرجت المسلمين والعرب من أوربا وحرمت عليهم البقاء وراء صخرة طارق .

وإذاكانت هذه الحقيقة قد أغمضت أوربا عنها العين وأنكرتها سنوات طويلة فان الحقيقة لم تلبث أن أعلنت وتكشفت على أيدى أمثال : جوستاف لوبون وكارليل وغيرهم حتى بدت مشرقة كفلق الصبح فى السنوات الأخيرة عندما قدمت الدكتورة هونكه كتابها : شمس الله تشرق على الغرب .

---

(١) ص ٩٥ مبادىء الفلسفة .

ذلك أنه لا ريب فى أن الإسلام : ذلك الضياء الذى ألقاه الله إلى البشرية فى أحلك فترات حياتها هو الذى هداها إلى الحق كله : التوحيد والعلم التجريبى والبرهان ومنهج المعرفة وهو الذى حطم كل الأصنام ودمر كل الأساطير ودحض كل الشبهات التى تجمعت يوماً ما تحت اسم الفكر البشرى : الهلينى الغنوصى والوثنية العربية .

كان ضوء الإسلام أقوى من ظلام هذه المذاهب .

وكان صوت القرآن أعلى من كل أصوات الفلسفات .

لقد كان فكر الإسلام هو الذى دفع الغرب على طريق النهضة والحضارة غير أن أوربا قبلت من الإسلام هذه الجوانب وحدها ثم أعرضت عن العقيدة نفسها ولم تدر أنها كانت على خطر الوقوع فريسة فى أيدى القوى الشريرة فى المراحل التالية مباشرة : تلك هى مرحلة عصر التنوير عندما تكالبت قوى اليهودية مرة أخرى على توجيه الفكر الغربى وجهة الوثنية اليونانية وهدم كل ماأعطته المسيحية الشرقية من عناصر الرحمة وما أعطاه الإسلام من عناصر القوة والعدل .

(٢)

ولاريب أن الإسلام هو الذى هز الفكر الغربى اللاهوتى كله ، وكشف أخطائه وجموده ووثنيته وفتح الطريق بالفكر الربانى الأصيل لهزيمة الفكر البشرى الوثنى المادى الاباحى وتحقيق عديد من خطوات التحرر كانت أبرزها سقوط عبادة الصور والطقوس وإعلاء مفاهيم الفروسية الإسلامية والمروءة والنخوة ونصرة الضعيف .

هذا فى المجال العام أما فى مجال العلم فانه قدم منهجاً علمياً أصيلا يتمثل فى تصحيح مفاهيم اليونان فى العلوم والفلك ومقدمات الطب وتحريرها من الطابع النظرى فكان المسلمون أول من وضع أسس المختبرات العلمية فى مجال الكيمياء وأول

من أستعمل الأرقام الحسابية بما فيها الصفر حتى أمكن بناء المعادلات البسيطة والمركبة .

واستطاع عديد منهم أن يكشف أخطاء أرسطو وجالينوس ، أما فى مجال النجوم فقد حرروه من خرافات اليونان وحولوه علماً صحيحاً ما تزال آثاره باقية إلى اليوم فى مجال الفلك والبحار وما تزال أغلب أسماء النجوم فى قواميس اللغات الأوربية قاطبة عربية كما وضعها المسلمون .

ولا ريب كانت إنشاءات المسلمين فى مجال المنهج العلمى التجريبى بعيدة المدى ، كانت هى الأساس الذى قام عليه البحث العلمى والتجريبى فى أوربا من بعد مع الإنكار الشديد والتجاهل لهذه الأصول .

ولهذا الأساس فى مختلف مجالات الحساب والجبر والهندسة والمثلثات وعلم الهيئة (الفلك) والفلسفة التجريبية وفى الطبيعات والكيمياء والطب .

وقد أخذ هذه الأصول عشرات من الباحثين وبنوا عليها :

● أخذ دافيد هيوم نظرية الغزالى فى أن الأمور تتم بإرادة الله لها لا بالأسباب الظاهرة .

● أخذ سميث وهيجل وأوجست كونت نظريات ابن خلدون فى علمى الاجتماع والاقتصاد السياسى الذى سبقهم بأربعة قرون .

● سبق المعرى دانتى فى وضع أصول الكوميديا الإلهية .

● سبق ابن مسكويه دارون فى إعلان نظريتى أصل الأنواع والتطور .

● سبق الطرطوشى ميكافيلى فى التأليف فى سياسة الملوك وأخلاق الأمراء .

● سبق على ابن حمد على يوسف بن الخضر المشهور بزين الدين الآمدى الغرب فى إعداد طريقة بريل .

(٣)

ظلت أوربا تتجاهل الأصل الإسلامى والأساس القرآنى فى بناء المنهج العلمى الحديث حتى جاء بريفولت فى كتابه بناء الإنسانية فسجل هذه الحقيقة وكشف هذه الصفحة.

يقول بريفولت فى كتابه : (Making of Humanity) لم يكن روجر بيكون إلا رسولا من رسل العلم والمنهج الإسلاميين إلى أوربا المسيحية وهو لم يمل قط من التصريح بأنه تعلم على معاصريه اللغة العربية وعلوم العرب وهو الطريق الوحيد للمعرفة الحقة . وكان المنهج التجريبى فى عصر بيكون قد انتشر انتشاراً واسعاً وانكب الناس فى لهف على تحصيله فى ربوع أوربا . لقد كان العلم أهم ماجادت به الحضارة العربية على العالم الحديث ولكن ثماره كانت بطيئة النضج وان العبقرية التى ولدتها ثقافة العرب فى أسبانيا لم تنهض فى عنفوانها إلا بعد مضى وقت طويل على اختفاء تلك الحضارة وراء سحب الظلام ولم يكن العلم وحده هو الذى أعاد إلى أوربا الحياة بل إن مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة الإسلامية بعثت باكورة أشعتها إلى الحياة الأدبية . فإنه على الرغم من أنه ليس ثمة ناحية من نواحى الازدهار الآوربى إلا ويمكن إرجاع أصلها إلى مؤثرات الثقافة الإسلامية بصورة قاطعة فإن هذه المؤثرات توجد أوضح ما يكون وأهم ما يكون فى نشأة تلك الطاقة التى تكون ما للعالم الحديث من قوة متمايزة ثابتة وفى المصدر القوى لازدهاره : أى العلوم الطبيعية وروح البحث العلمى .

إن ما يدين به علمنا لعلم العرب ليس فيما قدموه إلينا من كشوف مدهشة لنظريات مبتكرة فحسب ، بل يدين هذا العلم إلى الثقافة العربية بأكثر من هذا : « إنه يدين لها بوجوده نفسه » .

(٤)

هاجمت أوربا تحت ضـــوء الإسلام السارى إليها الكهنوتية والنسك والأساطير ، ووجهت النقد إلى الكتب المقدسة ، وكشفت عن عجز الديانة المسيحية كما صورها الكهنة أن تتفق مع العقل الواعى الذى يجرى ويحلل ويستنبط . من فكرة التثليث إلى فكرة الانصراف عن الدنيا وكان من نتيجة اهتزاز النفس البشرية الغربية نتيجة تحكم الكنيسة وتأييدها للحكم الإقطاعى أن خرجت مع أول صيحة عن هذه المضامين فكانت ثورة أوربا على الكنيسة البابوية.

وكان مارتن لوثر قد قرأ أصول الإسلام وألم بها وكانت دعوته كلها مستمدة من القرآن وقد كانت مواقف الكنيسة ضد التقدم والعلم مشهورة حتى لقد تأكدت حقيقة لاريب فيها : إن الأوربى لم يتمكن من الخلق والابتكار إلا بعد أن تحرر من هذه القيود وواجه الفكر الإسلامى فى يسره وإشراقه وفطريته استمداداً من التوحيد واعترافا بالإنسان : عقلا وروحاً وجسداً وبكل غرائزه ونزواته واستجابة لها فى حدود وضوابط وتحت ضوء الخلق والإيمان والاعتدال .

وإذا كانت المسيحية قد عجزت أن تعطى أوربا شيئاً حتى جاء الإسلام فإن هناك من يرى أنها كانت مصدراً لانهيار الدولة الرومانية .

فقد شهد جيبون فى كتابه سقوط روما بأثر المسيحية الغربية فى الحضارة فقال: إن مسئولية انهيار الحضارة الرومانية ترجع إلى المسيحية وإذا كان ارنولد توينبى يعيب على جيبون رأيه هذا ويؤمن بدور الدين فى مجريات التاريخ فإنه ينسى أن جيبون حين يكل إلى المسيحيه أثرها فى سقوط الحضارة الرومانيه لا يعنى الدين فى أصله الأصيل وإنما يعنى ذلك الشكل الذى جمع بين إطار المسيحية الشرقية ومضمون الفكر اليونانى الوثنى والقانون الرومانى القائم على العبودية واعتبار كل ما خارج روما عبيد .

الفصل الرابع

ضوء الإسلام

فى الفكر الغربى

بزغ ضوء الإسلام على عالم مضطرب بين الوثنية والإباحية، وبين مفاهيم البشرية وفلسفات الأديان المنزلة التى تحولت من مفاهيمها الأصيلة إلى مفاهيم مختلطة، فيها الحق والباطل والأصيل والزائف، وكانت آخر المراحل لهذه القضية : ذلك الاضطراب والزيف الذى أصاب اليهودية ثم أصاب المسيحية نتيجة لسلطان الفلسفة اليونانية عليهما، هذه الفلسفة اليونانية التى هى من صنع اليهود أساساً لإفساد الأديان، فضلا عن اقتحام اليهود للمسيحية السمحة وإفسادها من الداخل وتحويلها من دين خاص جاء لليهود وحدهم إلى دين عالمى وتحريف مفاهيمها بإدخال مفاهيم الفلسفات والأديان البشرية من تثليث وخطيئة وصلب وفداء.

وبعد خمسة قرون من صراع عجيب بين اليهودية والمسيحية وبين الغنوصية والهلينية، بين الوثنية والشرك، وبين الثنية والتثليث، وبين الإباحية والإلحاد، من خلال ركام ضخم من ضلالات الفكر البشرى وأهواء البشرية فى صراعها واضطرابها. جاء القرآن صادعاً بالحقيقة الكبرى : فى أمر الإله الواحد الأحد الفرد الصمد وفى أمر البعث والجزاء وفى مختلف قضايا الألوهية والإنسان والكون والحياة على نحو واضح صريح، سمح كريم فى حدود الطبيعة الإنسانية ومقدرتها مع السماحة والغفران والعفو.

ولقد تناول القرآن مختلف الشبهات التى لصقت بمعنى الألوهية والإنسان والأديان والوجود والحياة فدحضها وأبان فيها عن وجه الحقيقة .

وقدم للبشرية منهجاً نقياً خالصاً ، وفق قدراتها وفى حدود الله التى رسمها للناس ضوابطاً لوجودهم وتقريباً لهم من المنهج الربانى فى الحيـاة لإقامه المجتمع الصالح .

وقد بنى الإسلام مجتمعه من نقطة أولى ، هى محمد صلى الله عليه وسلم الذى كون الجماعة الأولى وبناها على مفاهيم الربانية الخالصة وجاء القرآن خلال ثلاثة عشر عاماً يهدى هذه الجماعة إلى الحق فى كل أمورها ويرد على تساؤلاتها فى مختلف شئون الحياة والكون والتاريخ والحضارات القديمة والأديان السابقة وكل دقيق وجليل من قضايا الإنسان :

حتى قال أبو بكر : لو ضاع منى عقالا لوجدته فى كتاب الله كذلك وكشف القرآن عن حقيقة أساسية هى أن الأديان كلها من أصل واحد ومنبع واحد ، وأنها جميعها من الله وأنها دعت إلى توحيد الله ورسمت للبشرية منهجها فى الحياة وأن رؤساء الأديان حرفوا أديانهم وأدخلوا أهوائهم وأفسدوا مقرراتها الأصـيلة السمحه ، حتى انحرفت عن طبيعتها فجاء الإسلام مقراً بهذه الأديان جميعاً والرسل جميعاً ، مطابقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليـه فالإسلام هو دين الله الخاتم للإنسانيه جميعاً ، والقرآن هو كتاب الله الخاتم الذى أعترف بكتب الله جميعاً والتوراة والإنجيل ومحمد رسول الله ونبيـــه خاتم الأنبياء والرسل جميعاً .

ولقد قص الله تبارك وتعالى فى القرآن كل ما اختلف فيه اليهود والمسيحيون عن أديانهم وما حرفته الفلسفات والمذاهب من آراء وأفكار .

وهو بهذا كله قد وضع الإنسان على عتبة عهد جديد ، بحيث جعل كل ما سبقه يمثل عصر الجاهليه السابق للدين الخاتم .

وقد وقف الإسلام من الفكر البشرى منذ بزوغ فجره موقفاً حاسماً صريحاً ، انتهى بالتفرقه الواضحة بين الفكر البشرى بكل مقدراته ودخله وفساده وضلاله وبين الفكر القرآنى الربانى الخالص .

الباب الثاني

عصر التنوير

(١) عصر التنوير

(٢) المفاهيم الماسونية ثمرة عصر التنوير

(٣) أصول الماسونية

(٤) الثورة الفرنسية

(٥) المفاهيم الصهيونية

الفصل الأول

عصر التنوير

أو سيطرة اليهودية التلمودية على الحضارة والفكر الغربى

كان عصر التنوير هو نقطة التحول فى الفكر الغربى ومقـــدرات العلم والحضارة ، لتحقيق الأهداف التى رسمتها اليهودية التلمودية من أجل السيطرة على العالم وتحقيق غايتها عن طريق تخطيط طويل المدى يستهدف احتواء المسيحية والكنيسة والفكر الغربى كله .

وقد قام عصر التنوير على أسس واضحة رسمتها الفلسفة الماسونية من خلال محافلها وتصدر رجالها لقيادة الفكر الجديد فى أوربا .

أولا : مواجهة صاخبة عنيفة المسيحية ونقد قاس للكتاب المقدس قام به عدد كبير من الكتاب وعلى رأسهم : نيتشه .

ثانياً : استغلال واضح لمفاهيم دارون البيولوجية وتحوير لنظرية التطور وتوجيهها إلى نظرية اجتماعية عامة .

ثالثاً : ظهرت فكرة الموسوعة التى قام عليها رجال من أتباع الفكر اليهودى التلمودى وعلى رأسهم روسو وديدرو .

(٢)

لخص كثير من المؤرخين مفهوم عصر التنوير على أنه الاحتواء اليهودى التلمودى للفكر الغربى فقد « أزال اليهود مفهوم الدين الحقيقى من الغرب

لفرض مفهومهم الذى يحقق لهم قيام دولتهم ، وورثوا الحضارة الغربية وتسلموها ولم يكونوا قد شاركوا فيها أساساً ، ثم فرضوا أنفسهم على الفكر الغربى وسيطروا عليه سيطرة كاملة وأباحوه للادينية واللاأخلاقية والإلحاد والإباحة وفق مناهج فلسفية ذات طابع علمى براق » فاليهودية التلمودية : هدمت الفكر الغربى أولا ثم سربت هذا الحطام إلى الفكر الإسلامى والمجتمع الإسلامى مستهدفة من ذلك تحقيق غاياتها فى إقامة الدولة اليهودية، لقد حطمت الفكر الغربى الذى كان قد قام أساساً على أصول الإسلام ، ومعطياته، ودفعتها إلى الفكر اليونانى الإغريقى الوثنى لتجعلها محتواه داخل فكرها وأهدافها بعد أن تأكد أن الفكر الهلينى إنما هو يهودى المصدر وكان من ثمرات ذلك ثورات متعددة وانقلابات كبرى فى العالم كله منها الثورة الفرنسية والانقلاب العثمانى .

ويرى بعض الباحثين أن اليهودية التلمودية كانت تحاول احتواء المسيحية والفكر الغربى كله كمقدمة لطرح هذه الفلسفة التى عرفتها الماسونية فى صورة سياسية من خلال بروتوكولات حكماء صهيون ويرى تويلبى أن من أخطر ذلك « محاولة تقبل المسيحية فكرة اليهودية عن الإله الغيور وهى فكرة قادت المسيحيين إلى التعصب الأعمى عوضاً عن فكرة المسيحية (الله محبة) : ومن رأيه أن هذه الردة قد كبدت المسيحية خسارة روحية جسيمة ويعنى هذا أن المسيحية قد وائمت بين فكرين متناقضين (الأولى) فكرة البطش وعدم التسامح وهى صفة إله اليهود (ياهوه) ومن سماته الغضب والقسوة والغيرة و(الثانية) فكرة المحبة والتسامح التى تقوم عليها دعائم المسيحية ، فكان أن ضعف الوازع الدينى وخبا ضياء الدين فى نفوس المسيحيين فأقبلوا على عبادة نظم شاذة مثل النازية والفاشية » .

(٣)

كان كتاب الموسوعة هم طلائع المحافل الماسونية والفلسفة اليهودية التلمودية

وقد أصبحت كلمـــة الموسوعة علما على « تقويض دعائم المجتمع الأوربى وتحطيم الفكر الذى كان يشبه رجال الكهنوت وقد دعا ديدرو إلى الارتياب فى كل القيم وقاد فلسفة الشك . ودعا هولباخ إلى الإلحاد صراحة وإعلاء شأن العقل إعلاء يكاد يصل إلى حد التقديس .

وظهر والمبير ، وفولتير ، ومونتسكيو .

وكانت كلمة الحرية هى « كلمة السر » فى المحافل الماسونية وفى الدعوة التى حملها عصر التنوير ، وكانت كلمة المفكر الحر علامة واضحة على الاتجاه الصريح نحو الإلحاد والإباحية : فكانت الحرية وثنية فى منطلقها ، قائمة على أساس عبادة الجسد وإحياء الغرائز وتبريرها ، والخروج عن نطاق المسيحية كلية . ويصور ذلك أحد الباحثين الغربيين فيقول :

« كان يترصد تحت مظهر الثقافة اللامعة شهوة عارمة ورغبات وحشية لم تكبح جماحها فى هذا العصر نزعة دينية فوجدت فى إيطاليا الشهوة والخيانة والسم والاغتيال بجانب الفن والأدب وبدت الكنيسة ناشزة عن مبادىء المسيحية بأعمالها الدنيوية المفضوحة .

(٤)

هناك شبه إجماع على أن فولتير فى القرن الثامن عشر هو أول حامل لواء نزعة التنوير وقد كان فولتير بالتأكيد من أقطاب المحافل الماسونية ومن أول من وضع موضع التبرير والشهرة من دعاة الشك والإلحاد وهدم ما يطلق عليه الفكر الدينى . ثم جاء من بعده اميل زولا ، وأصحاب الموسوعة .

ويلتقى معنا الدكتور (اسماعيل راجى الفاروقى)[١] على هذا المعنى فتقرر

(١) كتاب الملل المعاصرة فى الدين اليهودى .

إن اليهود عندما عادوا إلى أوربا ولم يكونوا بها فى عصـــر النهضة : سرعان ماحملوا لواء مفهوم التنوير ووصفوا به عصراً جديد بعد عصر النهضة كانوا هم أصحاب القيادة فيه لكل منجزات الأوربيين المسيحيين الذين قاموا بحركتهم مستقلين .

وسرعان مااستطاع اليهود أن يجندوا لدعوتهم الكثيرين وسرعان ما « سرت هذه العقيدة فى الفكر الأوربى سريان اللهب فى القش على حد تعبيره فاعتبر من آمن بها كل انسان آخر متساويا معه فى العقلانية . إذا فلا فرق بين البشر ، وكل ما اصطنع من تفرقة بينهم يجب أن يزول سريعاً ، وهكذا تداخل اليهود فى المجتمع المسيحى بعد أن انقطعوا عنه طوال القرون ».

والمعروف أن ثمرة ذلك هو ماحققته الثورة الفرنسية التى قادتها المحافل الماسونية من أجل كسر قيود المسيحية والكنيسة والمجتمع الأدبى التى كبلت بها اليهود وفسرتهم على التزام (الجيتو) .

يقول الدكتور الفاروقى : جاء دخول اليهود فى الحياة السياسية والفكريه والاجتماعية الأوربية متقطعاً وبطيئاً إلى أن قامت الثورة الفرنسية وتبعها من تبعها من حملات نابليون ، عندئذ انهدم الجدار الفاصل تماما وراح اليهود يمركزون أنفسهم فى شتى المجالات » .

وذلك هو سر عصر التنوير ودعوة الموسوعة فاليهود هم أصحاب الدعوة العقلانية والدعوة العلمانية والحملة على المسيحية وعلى الدين ودعوة الفصل بين الدين والدولة جميعاً وعندنا أن هذه السيطرة التى تمت فى عصر التنوير هى بداية التحول الكامل بالسيطرة اليهودية التلمودية على الفكر الغربى واحتواء الفكر الدينى المسيحى إلا من تيارات قليلة كانت تظهر بين حين وآخر لتفرض وجهة نظر الغرب أو المسيحية أو معارضة التيار الضخم الذى فرض نفوذه باسم الربا عنوانا على الاقتصاد، أو المادية عنوانا على الفكر أو الاباحية عنوانا على السلوك.

(٤)

كانت دفعة عصر التنوير ترمى إلى التحرر من القيم التى قدمها الاسلام وبقايا مفاهيم المسيحية الأصيلة .

وكان المؤشر قد اتجه إلى احياء الفكر الهليني القديم الذى «ينضح بالوثنية من كل جانب[1]» ومن ثم «انتشرت الوثنية فى الأفكار والأخلاق ، وتكونت فى الغرب المسيحى نظرية جديدة فى الإنسان تقنع بما يسمى الطبيعة وتستغنى عما فوق الطبيعة وتسمى المذهب الإنسانى ثم «كان أن تسرب المذهب الإنسانى إلى المسيحية نفسها وأخذ يعمل على تقويضها من الداخل[2]».

فما كانت البروتستانية فى البدء إلا احتجاجا على الغفرانات ودعوى اصلاح الكنيسة والعبادة ، ثم زعمت أن الدين يقوم على الفحص الحر أى الفهم الخاص للكتاب المقدس وعلى التجربة الشخصية بغير حاجة إلى سلطة تحدد معانى الكتاب »

* * *

وقد ظهرت مبادىء التنوير التى شكلتها الفلسفة الماسونية أصلا ثم حملت لواءها الفلسفة الجديدة فى عدة عوامل :

(١) التشكيك فى أصول الأخلاق ومبادىء المعرفة[3].

(٢) إذاعة الالحاد

---

(١) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الحديثة مع التصرف

(٢) نفس المصدر

(٣) نفس المصدر

(٣) الدعوة إلى الدين الطبيعى (أى الدين القائم بالفعل بعقائده وطقوسه ومؤسساته وهيئاته) .

(٤) إنكار الميتافيزيقا (الغيب)

ولاريب أن كل هذه المفاهيم واردة من قبل فى الفلسفة اليهودية التى حلت محل دين موسى وأبرزها مفهوم الاله الخاص : إله الحرب وانكار البعث والغيب .

غير أن عصر التنوير حاول أن يطرح مفهوما لله (تبارك وتعالى جل شأنه عما يقولون) ليس جديداً ، ولكنه منقول من فلسفات الوثنية والغنوصية والحلولية وذلك ما أطلق عليه المذهب الإلهى : الذى يتصور الله (سبحانه) وليس له صلة بالكون بعد خلقه . وقد واجه القرآن الكريم من قبل هذا المذهب وأكد رابطة الكون بالله فى أكثر من موضع وآية منها :

قوله تعالى : « إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده »

فالحق تبارك وتعالى يدير هذا الكون لحظه بعد لحظة ويوم مابعد يوم وهو الذى لاتأخذه سنة ولانوم .

* * *

وفى ضوء حركة التنوير بدأت توضع أسس لتلمدة الحضارة الغربية والفكر الغربى تحاول أن تنكر صلتها بالمسيحية الشرقية وبالاسلام جميعاً وتحاول أن ترد النهضة كلها أصلا إلى الفكر اليونانى الوثنى وتصور فى عداء

شديد للمسيحية: كيف أن الحضارة الرومانية ابتلعت المسيحية وامتصتها وتمثلتها وان هذا كان تحرراً لمنطق الغرب من روح النسك الآسيوية.

وكذلك تصور كيف إستطاع الغربيون بنجاح شارل مارتل من انقاذ العقلية الغربية من نفوذ الاسلام، وأن التحرر الذى استطاعته أوربا والفكر الغربي إنما كان عن طريق ابتعاث الوثنية الأغريقية[١].

* * *

ويحاول الكثيرون فرض هذا التصور: فيقول أحـــدهم: أن الأسس الفكرية الحقيقية فى الغرب يجب أن تطلب «فى فهم الرومانيين القدماء للحياة» وأن نسبة نتاج المدنية الغربية الحديثة إلى النصرانية كان خطأ تاريخيا عظيما»: «وأن الروح الأوربى ظل زمنا طويلا يرزح تحت عبء دينى يطوى فى نفسه احتقار الطبيعة.

«ولقد ثار الفكر الأوربي أكثر من مرة ولكن الكنيسة كانت تقهره مرة بعد مرة، وأن تاريخ العصور الوسطى ملىء بهذا الكفاح المرير عن عبقرية أوربية وبين روح الكنيسة».

ويؤكد هؤلاء المؤرخون التابعون لتيار التنوير على أن العقل الأوربى حين تحرر من «عبودية الكنيسة» تخطى الحدود ووطد عزمه تدريجيا على العداء لكل شكل من أشكال السلطان الروحى على الإنسان ومن ثنايا هذا الخوف الباطن ولئلا تعود تلك القوى التى تدعى السلطان الروحى مرة ثانية إلى التغلب. أقامت نفسها زعيمة بكل ماهو ضد الدين. لقد رجعت أوربا إلى إرثها الرومانى»

---

(١) راجع اسماعيل أدهم أحمد الرسالة م ١٩٣٨

« ولذلك فإن الرقى هو أثر من آثار مقاومة أوربا لكل مبدأ من مبادىء الكنيسة ، وإن أهم الأسباب التي كانت بها مدنية أوربا مناهضة للدين هى « ثورة الطبيعة الانسانية على احتقار النصرانية للدنيا وعلى كبت الرغبات الطبيعية والجهود المشروعة فى الإنسان » .

ويكاد الأمر أن يصل عند بعض الكتاب إلى تحميل المسيحية والكنيسة نتيجة ذلك التحول الخطير الذى وقع فى أوربا والفكر الغربى من النقيض إلى النقيض : من التشكك والزهد والقيود إلى التحرر والكشف والاباحية وقد تم ذلك على مراحل طويلة متعددة .

ولم تكن المسيحية فى الحقيقة مسئولة عن ذلك بقدر ماكان رؤساء الدين الذين حرفوه عن مفهومه الأصيل وأدخلوا إليه ذلك المزيج العجيب من أهواء البشريه والفكر الوثنى الهلينى والغنوصى حتى إذا ما استفاق العقل البشرى بعد أن صدمه الاسلام بصيحته المدوية إلى حرية الفكر الحقيقية والى التماس البرهان وإلى النظر فى الكون » .

كان هذا الاضطراب العنيف التى واجهته أوربا بالخطأ حيث كان فى استطاعتها أن تلتمس الطريق الصحيح بالإسلام ولكنها اندفعت بفعل عناصر القوى الضخمة المسيطرة عليها وأهمها دعاة عصر التنوير من يهود المشنا والتلمود إلى ردة عاصفة نحو الوثنية اليونانية التى كانت اليهودية قد حملتها كل فكرها وأهواءها .

كان هدف اليهودية التلمودية فى دحر المسيحية والكنيسة ونفوذهما ورد البشرية إلى الوثنية هو العامل الأول فى ذلك الهجوم بالتطويق الذى وقعت فيه أوربا فى فخ حركة التنوير ومازال إلى اليوم مرحلة بعد مرحلة . فاذا كان الأوربيون المسيحيون هم الذين حملوا لواء المنهج العلمى التجريبى الاسلامى

ودفعوه مرحلة بعد مرحلة فان اليهود التلموديون هم الذين سيطروا على تحريك هذه الحضارة فى اطارها : إطار الربا والعنصرية وصراع الأجيال والأمم وتمزيق الجبهات وطرح الدعوات والفلسفات والمذاهب فى مختلف مجالات السياسة والاجتماع والتربية وغيرها على النحو الذى يدفع البشرية كلها إلى أن تصل مرحلة التدمير والمواجهة بما يحقق لهم السيطرة العالمية التى يعملون لها منذ أقدم العصور .

الفصل الثانى

المفاهيم الماسونية

(ثمرة عصر التنوير)

إنطلقت حركة التنوير التى قادها يهود التلمود من الفلسفة الماسونية السرية التى ظلت تتداولها المحافل ولا يكشف عنها إلا للذين يصلون إلى أعلى درجاتها والتى تتلخص أساساً فى عبارة واحدة قالها اليهودى « راكتشت » : ان الماسيون الأحرار هم أولئك الذين يبنون المملكة اليهودية العالمية وقد ظل هذا السر خفياً على الناس عامة ، وعن المتصدرين خاصة فى الشرق فكانوا يخدعون بما تحمله الفكرة الماسونية من ظاهرة براقة خاطفة تحت شعار كاذب مضلل هو (حرية وإخاء ومساواة) .

والماسونية هى الحركة الأولى لتطبيق (اليهودية التلمودية) حاملة لواء الجنس المختار بين الأمميين صاحب النبوءة فى السيطرة على العالم والسيادة على الجوييم .

وهى حركة أحكمت أساليبها السرية حتى تستطيع خداع السذج والبسطاء لينضموا تحت لوائها ثم يقعوا فريسة لنفوذها الدموى الرهيب .

وهى بالرغم من ظاهرها البراق فهى تحمل فى تضاعيفها فلسفة مظلمة حاقدة تستهدف بها تشكيل طليعة أو نخبة تتصدر فى كل الأقطار ، ولم يكن الأمر فى أساسه يهدف إلا إلى عمل خطير .

وكلمة الماسون أو الفرماسون وتدلان على الجمعية السرية الماسونية مأخوذة من اللفظ Maçons ومعناه البناؤن الأحرار . ولا شك أنه كان يهدف إلى الإرتباط ببناء هيكل سليمان .

وقد أشارت بروتوكولات صهيون إلى الماسونية ودورها فى البندين السابع والحادى عشر من البروتوكولات وقد كان للماسونية دور ضخم حققت به ثلاثة أعمال كبرى : الثورة الفرنسية والإنقلاب العثمانى والإنقلاب الروسى ثم توارت قليلا حيث برزت الحركة الصهيونية ١٨٩٧ وتحولت من بعد تحت غلاف اسمه الروتارى والليونز .

ولا ريب أن العمل الخطير الذى تصدت له الماسونية كطليعة لمخططات (اليهودية التلمــــودية) كان فى حاجة إلى مؤامرة ضخمة لتحويل المجموعات الضخمة من معتقداتها الأساسية والأصيلة وإغراقها فى مفاهيم جريئة لهدم القيم والفضائل الأخلاقية ومختلف عناصرها الايمانية وذلك عن طريق طرح عقائد جديدة والاغراء بالمال والجنس والتخويف بالقتل والاغتيال .

ولذلك فان الحقيقة الأولى فى الفلسفة الماسونية هى هدم الفضائل المسيحية والاسلامية وغيرها وتقويض الأنظمة الاجتماعية واتخاذ الاباحية كوسيلة للاستيلاء على أصحاب النفوذ وفى عديد من نشرات ووثائق المحافل المــاسونية المختلفة تتكشف هذه الحقيقة واضحة ويتضح أن الغاية هى القضاء على كل اعتقاد دينى وان هذا يتناول كل الأديان على السواء .

ومن عشرات النصوص التى أوردها الباحثون نجد الهدف واضحا والقصد صريحاً .

(١) يقتضى على المــاسونية أن يقيموا نفوسهم فوق كل اعتقاد بالإله أيا كان .

(٢) إذا قال الماسون بوجود الإله أرادوا به الطبيعة وقواها المادية فهم يجعلون الله والإنسان كشيء واحد .

(٣) كل شيء هو مادى فالله والعالم ليسا إلا شيئاً واحداً .

(٤) جميع الديانات هي خيالية غير ثابتة اخترعها ذوو المطامع .

(٥) ان العلم هو الأساس الوحيد لكل معتقد .

(٦) رفض أى عقيدة تقوم على أساس الوحى .

(٧) ان الديانات خرافات .

(٨) الماسونية مندوبة لسحق الرءوس الثلاثة : الدين والسلطان والعسكر وتجعل العالم كله واحداً يصنع كل إنسان ما شاء كهمل الحيوانات والضوارى فى الغابات[1] .

وقد صدرت هذه المخططات عن نفسية اليهود التى تقوم على الحقد والقسوة على الجنس البشرى والرغبة فى السيطرة على القدرات العالمية وفق منهج وحشى عنصرى يستمد تحركه من تركيبهم النفسى .

ولا ريب أن هذه الأفكار هى جماع الفكر البشرى القديم : من وثنى وغنوصى وهيلنى وباطنى وانها تضم وحدة الوجود وأساطير الأولين والإلحاد والتعدد وكل التحديات التى واجهت الأديان المنزلة فالفلسفة الماسونية هى عصارة المذاهب الفلسفية المادية والإباحية التى حاولت من بعد تشكيلها (بالاشتراك مع اليهودية التلمودية) والصهيونية فى صياغة مذاهب هدامة متعددة منها : الثيوصوفية والبهائية والروحية الحديثة .

---

(١) هذه النصوص أوردها مع اسماء مراجعها : الأب لويس شيخو اليسوعى فى كتابه : (خبيئة الفرماسون) .

وتكشف الوثائق والمصادر الصحيحة عن الإنتماء الصحيح للفلسفة الماسونية فيقول (ز . فورستين)[1] .

إن الطقوس الماسونية تظل مشتهاه لأن مبتدعيها قد اغترفوا من الأساطير والشعائر القديمة جميع بقايا الأديان المنقرضة فأشركوا اليهودية ومصر واليونان والكلدان وبحثوا فى النصوص القديمة ليبنوا بناءاً غير متلاحم الأجزاء .

ويؤكد أندرسون : أن للماسونية انتماءاً واضحاً إلى زرادشت معلم المجوس الأكبر .

ويؤكد هدف الفلسفة الماسونية المطروحة عن طريق المحافل نص أوردة الدكتور متعب مناف[2] حيث يقول :

ان الماسونية عصابة دولية قصد منها إلى إماتة الشعور القومى والخلق لدى أعضائها وإيقاعهم فريسة الخوف والطلاسم حتى يبقى كل منهم مشدوداً بالجمعية وعلى استعداد للتضحية بقيمته الدينية والخلقية والقومية فى سبيل الأهداف التى تتطلبها رغبات الطغمة الموجه .

« وقد فسروا هذه المعميات بالشكل الذى يصبغ كل القيم الدينية والقوميـــة وللتأكد من ضرب القيم لابد من إنتزاع كرامة الإنسان عن طريق إيقاعهم تحت عالم الخوف بجو رهيب يجمع بين الهياكل العظمية ومناظر الموت .

ان كشف إنتماء الماسونية إلى اليهودية أمر يكاد تجمع عليه كل المصادر

---

(١) فى كتابه هذه الماسونية .

(٢) الواقع الفكرى والمجتمع العربى .

من حيث أنها أداة من أدواتها ومن أبرز الأدلة على ذلك الانتماء ، هو أن مصطلحات الماسونية وكلماتها وإشاراتها ورموزها وتعابيرها كلها تقريباً عبرية اللغة يهودية الدلالة مما يقطع بأن لليهود اليد الطولى فى تأسيسها .

ولا ريب أن هدف الفلسفة الماسونية كما وضعها دهاقين اليهودية التلمودية إنما يستهدف نسف جميع المدنيات والحضارات وإزالة الأديان السماوية لتحل محلها مفاهيم « التلمود » .

الفصل الثالث

أصول الماسونية

(أولا) تحطيم العقيدة الدينية فى نفوس معتنقيها وذلك بالدعوة إلى عدم التفرقة بين دين ودين أو عقيدة وعقيدة . لأنها بذلك تنسف الدعائم الأساسية للاعتقاد فى نفوس صاحبها «لأنه مادام قد اعتقد أنه لا فرق بين دين ودين آخر حتى ولو كان فى نظره باطلا فليس هناك ما يدعوه إلى الاعتزاز بدينه أو التمسك به»[1] .

ومن هنا يبدو ذلك الاهتمام الواضح والتركيز الدائم فى الماسونية على التراث الوثنى القديم وإحيائه وبعثه وخاصة ما يتعلق بالعقائد المنحرفة عن الدين الحق : كالمجوسية والبرهمية والزرادشتية وعبادة الحيوانات .

وهى من ناحية أخرى تحاول الماسونية أن تجعل من كتب اليهودية المحرفة – المضادة للدين السماوى الذى أنزل على موسى – مصادر أساسية للفكر البشرى مع إيحاءات متعددة تلقى فى العقول ادعاء زائف بأن الدين من صنع البشر وليس من وحى الله .

وقد كشفت وثائق كثيرة عن المحافل الماسونية والشرق الأعظم وزعماء الماسونية وفى مقدمتهم أستاذها الأكبر «ويسيهويت» وسائر قادتها أمثال فولتير ورينان وكولفين وروسو ودلمبار وبرودون .

---

(١) دكتور أحمد الشرباصي : يسألونك .

كشفت عن مفهوم الدين فى عرف الماسونية وفى تعاليمها قوامها إنكار صحة الأديان والوحى والكتب المنزلة وآثار الحرب العوان على الأديان وأتباعها وإقرار الدين الجديد الذى يراه الماسون .

فالماسون أساساً يعتبرون هذه الأديان كلها كخرافة متساوية ، ويعلنون حرية الأديان وإله العقل . وحرية البحث بانتقاد عقائد الدين والقول بأن العلم هو الأساس الوحيد لكل معتقد فهم يرفضون كل عقيدة بنيت على أساس الوحى[١] .

وهذه جملة من الوثائق والتصريحات والنصوص تصور هذا المعنى :

١ — إننا إذا سمحنا ليهودى أو مسلم أو كاثوليكى أو بروتستانتى بالدخول فى أحد هياكل الماسونية فإنما يتم ذلك على شرط أن الداخل يتجرد من أضاليله السابقة ويجحد خرافاته وأوهامه التى خدع بها فى شبابه فيصير رجلا جديداً فلو بقى على ما كان لا يستفيد البتة فى محافلنا الماسونية .

٢ — لا توجد إلا ديانة واحدة عمومية تحتوى قبتها كل الديانات الخصوصية فى العالم فتلك هى الديانة التى نعتقدها وإليها نضم أولئك الذين يتمذهبون بمذاهب خصوصية وهى الديانة التى تعلن بهـا الدول إذا نادت بحرية الأديان[٣] .

٣ — لا نريد إلا أمراً واحداً هو تقويض أركان الديانة الكاثوليكية فإنا نحن الماسون لا يمكننا أن نكف عن الجهاد وما دامت الكثلكة حية فان

(١) م ١٣ المشرق ص ٥٤٣ .

(٢) كولفين · فى محفل منفيس فى لندن — م ١٢ المشرق ص ٩٣٧

(٣) النشرة الرسمية للشرق الأعظم — تموز ١٨٥٦ — نفس المصدر .

الحرب بيننا وبينها حرب دموية لا مناص من ظفرها أو ظفرنا ولا بد من موتها أو موتنا[١] .

(٢)

أما مفهوم الإله فى الفلسفة الماسونية فهو لا يستقر على مذهب واحـــد ولـكنه يجمع بين أغلب ما قالت به الوثنية والمجوسية والفلسفات القديـمة : يقول برودون :

« إذا قال الماسون بوجود الإله أرادوا به الطبيعة وقواها المادية، أوجعلوا الإنسان والله كشىء واحد »[٢] .

ويقول يستهويت · منشىء الماسونية : كل شىء مادى فالله والعالم ليسا إلا شيئاً واحداً وجميع الديانات خيالية غير ثابتة اخترعها الرجال ذوو المطامع » .

وتصف الماسونية الله جل جلاله بأنه مهندس الكون الأعظم: وقد اختاروا له اسماً لم يتسمى به ولا يوجد بين أسمائه الحسنى العديدة ومعنى مهندس الكون الأعظم فى عرف الماسونية : إنه لم يخلق كل الـكائنات من العدم وإنما هو مهندسها فقط ومنظمها .

ويذهب بعض الماسون إلى تأليه الشمس ـ يقول رينان أحد كبار الماسون فى مجلة العالمين : ليس فى العالم عبادة موافقة للعقل السليم ولمبادىء العالم كعبادة الشمس .

ويقول آخر : إن الماسونية هيكل عظيم كهيكل رومية القديم (البانثيون)

---

(١) زعيم الماسونية الفرنسية فى كتابه العدد الأكبر (ص ٥) نقلا عن الأب لويس شيخو من كتابه السر المصون فى شيعة الفرمسون المنشور فى المجلد ١٢، ١٣ من المشرق .

(٢) نشرة الماسون ١٥/أكتوبر/١٨٦٦ نقلا عن المشرق م ١٢

يحفل بجميع الآلهة ، ويتألف من مجموعهم كلهم ، فآله الماسون هو إله الصين والهند وبرابرة أفريقية .

ويذهب بعضهم إلى أن إله الماسون هو (أدونيرام) الذى هو أوزيريس إله المصريين أو ميترا إله الفرس أو باخوس إله اليونان أو أحد الآلهة المتعددين الذين كانوا فى سالف الزمان يمثلون الشمس[1] .

ويقول (فرانندفور) كل اعتقاد دينى أساسه ما وراء الطبيعة (كالإله غير المنظور) إنما هو ضعف فى عقل الإنسان .

ويقول آخر : علينا أن نرقى فوق طبقات كل الأديان بل ونتحرر أيضاً من كل اعتقاد وجود إله أياً كان . لم يوجد أحد يؤمن بالله وبخلود النفس غير البله والحمق ، ان تصور الله (سبحانه) هو ينبوع وركن كل استبداد وكل ظلم ، وقولهم : إذا ذكرت إلها فانما هو الطبيعة ومجموع الكائنات .

(ثانياً) التركيز على الأجناس والعناصر بهدف إعلاء الجنس اليهودى الذى تحيطه دعاية مضللة بأنه شعب الله المختار .

وإن دعواها فى معارضة التفريق بين الأجناس والألوان والأديان إنما تريد أن تهدم كل الحواجز التى كانت تحول بين اليهود وبين السيطرة على المجتمعات عن طريق الانتماء الدينى أو السلالى .

ومن هنا كانت دعوتها إلى هدم الوحدات الكبرى فى أوربا وإعلاء القوميات الضيقة وإثارة نزعات الحقد والكراهية بينها مما يمكنها من السيطرة والتسلط .

---

(١) مجلة المصرق م١٢

وفى هذا المجال تركز الماسونية على محو كل امتياز مصدره الدين أو الوطن: يقول كلافل : ان مسعى الماسونية العظيم بأن تمحو بين البشر كل تمييز يفرق بينهم كشرف الأصل أو الأديان والمذاهب والأوطان .

وكذلك الدعوة الى العالمية للقضاء على الدعوات الوطنية ، ويقول زعماء الماسونية فى عشرات النصوص : ان الوطن خيال باطل وكذب محض ، وان الوطن هو كل ما يغتصبنا وما يجب علينا بغضه أو قولهم :

« الرايات الوطنية هى آيه الظلم والاستبداد فيجب أن تلقى فى المزابل » وكذلك مهاجمة الجندية وشرف العسكرية .

٣ — التركيز على الانحلال الروحى والفساد الخلقى ، وذلك بتشويه القيم الخلقية والمقدسات الدينية ، وذلك باستحياء الفكر الوثنى القديم وبعثه والانتفاع بالمذاهب الهدامة ، ووصفها فى ثوب جديد براق وزائف .

وذلك بإرضاء الغرائز واستثارة الشهوات عن طريق الاقناع بالتحرر من الأديان والقيم والضوابط الخلقية والعامة ، حتى يكون الإنسان مهيئاً للخضوع إلى سلطان الهدف الغامض : وذلك بالسرقة والقتل والتجسس وغيره .

ومن ذلك إباحة الربا والغش فى المعاملات التجارية والتزوير فى العقود والاغتصاب وابتزاز الأموال .

ومن أبرز أهداف الماسونية «محاربة كل شىء إسمه «الأخلاق» :

ويشير إلى ذلك مؤلف كتاب الماسونية وأسرارها[1] : فيقول إن الماسونية تعتبر الإنسان كبهيمة عجماء خالية من النطق فهو على مذهبها إله صماء بلا نفس عاقلة ، وإن غاية الماسونية القصوى أن تسوق البشر إلى فك كل قيد يضبط

---

(١) راجع م١٢ من المشرق سنة ١٩٠٩ .

شهواتهم ليخلعوا كل سلطة وينبذوا كل دين فيعيشوا عيش الحيوانات غير الناطقة وينقادوا إلى أوامر زعماء الماسونية انقياداً أعمى .

ويقول ويسهويت مؤسس الماسونية المنوره : إن أقصى غاية الماسونية أن تجعل الناس همجاً وهملا يعيشون كالحيوانات فى البرارى والقفار ، وتركز الماسونية على « خراب الألفة البشرية ومحاربة الأسرة والهجوم على رب العائلة :

يقول أحد زعمائهم : « إن الأمر الجوهرى فى استمالة الناس إلى جماعتنا إنما هو افراد الرجل عن عائلته وإفساد أخلاقه ، وترغيبه فى العيشة المرة » .

ويقول إن الخلاعة باباً واسعاً لسن الزواج المدنى ويبرر فولتير فى المجمع الفلسفى : الزنا ، ويقول بأنه ليس بإثم فى شريعة الطبيعة : ويحرض على مشاركة الرجال فى النساء .

أما المرأة فقد أفردت لها الماسونية مخططاً خطيراً : يهدف إلى اجتذابها وإخراجها من الدين والأسرة ودفعها إلى المراقص والاجتماعات المختلفة وذلك بفتح المحافل الإنثوية : تقول نشراتهم :

« إن النساء من أقوى العوامل للفوز ونسف الدين ونشر الفساد .

و « لسنا بمنتصرين على الخرافات (الدين) إلا يوم تشاركنا فيها المرأة بالعمل » « والمرأة رسول لمبادئنا الحرة يخلصها من نفوذ الكهنوت » ومن تعاليم فلسفتهم : دفع الأبناء إلى نبذ السلطة الوالدية ، وقد كتب ديدرو فى هذا فى الانسكلوبيديا داعياً إلى إلغاء خضوع البنين لوالديهم وقال دالمر : ليست معرفة الجميل واجباً لازماً على البنين لوالديهم وليست السلطة الأبوية تدوم .

ودعا فولتير فى قاموسه الفلسفى عماد الفكر الماسونى : إلى الكذب وقال « لا يكون الكذب رذيلة إلا إذا أضر بصاحبه أما إذا أفاده فهو فضيلة » .

وقد عمد الماسون إلى توفير أسباب الفساد : واستطاعوا عن طريق نفوذهم نفي اسم الله وخلود الروح من كتب التعليم في المدارس ، كما عمدوا إلى نشر عديد من روايات المجون والصور الخالعة والأغاني المكشوفة وهم أصحاب القول بأن العفة المطلقة مرذولة لأنها ضد ميل الطبيعة ، وهم الذين حملوا لواء الدعوة إلى جعل المدارس علمانية وحرضوا بشدة على إخراج الأبناء من رعاية الآباء[1] .

وتقول النشرة الماسونية : إن تهذيب الأحداث حجر زاوية بنائنا الحر فيقتضى أن ننفي من لائحته كل تعليم ديني وأن لا يهتم التعليم بالديانة ونفي كل تعليم ديني .

وقد حققوا ذلك في المدارس الجديدة من حيث إلغاء مادة الدين فيها ونشر الفساد والخلاعة ، والإلحاح الشديد على اقتلاع العفة من عقول الفتيات[2] .

وكانت أهم دعواتهم : الدعوة إلى الزواج المدني العقيم الذي يهدف إلى استنزاف قوة الأمة : ومن ذلك دعوتهم إلى تحديد النسل ومنعه في البلاد التي يريدون السيطرة فيها .

وقال دالمار : إن الماسونية بنشرها أسباب الفساد والخلاعة قد أضرت بفرنسا أكثر من الحرب السبعينية وأفقدتها عدداً وافراً من الرجال ، هذا بالإضافة إلى التعليم اللاديني الذي يفسد قلوب الشباب ويقوض كل مقومات الخلق والفضيلة .

---

(١) نشرة الماسونية ١٨٦٦ م١٣ ص٧٥٨ المشرق .

(٢) م ١٣ المشرق .

وبالإضافة إلى ذلك أذاعوا المضاربات والمقامرة وألعاب البورصة والقتل والسرقة والانتحار والخرافات الباطلة[١] .

٤ – التركيز على ما سمى بالفكر الحر واعلاء شأن التحرر من كل قيود القيم والعقائد .

واباحة النظر فى الأديان ونقدها ونقد النصوص المقدسة واعتبارها أدباً وفناً[٢] وذلك باسم حرية البحث : ويقولون : ان العلم هو الأساس الوحيد لكل معتقد فهم يرفضون كل عقيدة تثبت على أساس الوحى .

وما زلنا نذكر كيف قال طه حسين لتلاميذه عندما أخرج من الجامعة : [عهد بيننا أن يكون العلم وحده هو رائدنا] وقد سار فى هذا الطريق أمين الريحانى وكثيرون .

وكانت دعوتهم فى الأدب الى الأدب العلمانى La Morale Laique أى الخالى من كل دين المحرر من الاعتقاد بوجود الله ، والذى يقوم على اعتبار أن الإنسان سيد نفسه .

ويقوم الفكر الحـــر على المادية والإلحاد : يقول الأب لويس شيخو اليسوعى : ان أول ضربة سعت الماسونية بأن توقعها بالهيئة الاجتماعية هى نشرها المبادىء الفاسدة بخصوص أصل العمران البشرى وتجعل الماسونية « المادة » أبدية تترقى من تلقاء نفسها بمرور الدهور كآلة عمياء الى أن يتمخض جمادها فيلد النبات ويتحول النبات الى حيوان ويتسال الحيوان انساناً همجياً

---

(١) راجع م١٢ و١٣ سنة١٩٠٩ و سنة ١٩١٠ من مجلة المشرق .

(٢) وقد حمل لواء ذلك عندهم الدكتور طه حسين فى مصر منذ عام ١٩٢٦ عندما دعا إلى نقد القرآن والنظر فيه كأثر أدبى .

ذا عقل ضعيف يقوى بالتجربة والاحتكاك . والهدف هو اقناع أتباعهم بأن لا شيء يلزمه من الفرائض والواجبات نحو العمران والبشرية . وبذلك نصل الى القول بأنه ليست هناك شرائع وتعاليم تفرض على جميع البشر[1] .

٥ — التركيز على الشباب ومحاولة تطويقه بالفكر الوثنى البشرى المنحرف

حتى ليقول أحدهم : ان حرية الآباء لا تتفق مع مصالحنا وغاياتنا أبداً ، يجب تربية الأطفال وفق منهاج مقرر من قبل .

ومن هنا فإن السيطرة على الشباب من أولى غايات الماسونية وأهدافها ومن ذلك قولهم : دعوا الكهول والشيوخ جانباً وتفرغوا للشباب بل تفرغوا حتى للأطفال .

« لا بد من تربية الأطفال بعيداً عن الدين وان الماسونية تستعين بالفرق والأندية الرياضية والمجمعات الموسيقية والرحلات المشتركة لاستدامة نفوذها على أوساط الشبيبة » .

ومما يتصل بهذا دعواهم المحمومة التى يحملها رجالهم فى كل مكان الى صراع الأجيال والى القول بأن الشباب فوق التوجيه وأنه جيل لا أساتذة له ، وان وصاية الآباء قاسية وان الأب هو أسوأ شخص فى الأسرة وغير ذلك مما رتبته الماسونية لتلاميذ الأسرة واقامة الصراع بين الأجيال القديمة والجديدة .

ومن دعواهم الى تمزيق الروابط بين الأسر والمجتمعات ما يقسم به المتنورون وهم طلائع الماسونية الى قطع الروابط التى تجمع بين الماسونى وبين أى كان من البشر كالأب والأم والأخوة والزوج والأقارب والرؤساء .

---

(١) ص ٦٧٨ م ١٣ المشرق .

٦ تدمير القوى البشرية ومعنويات الأمم واستذلالها واستعبادها .

* * *

من خلال هذه النصوص المستقاة من المصادر الماسونية الأصيلة يثبت بوضوح أن كل الفلسفات المادية الحديثة انما قد استمدت أصولها من الفلسفة الماسونية أصلا وفى مقدمة ذلك الفرويدية والوجودية والمادية والتفسير المادى للتاريخ ونظريات دوركايم وسارتر .وكل ما تقدمه المدارس الاجتماعية والفلسفة والصحافة والثقافة فى بلادنا .

وقد لخص أحد الباحثين أثر الماسونية فى الحضارة الاوربية :

«دلت التجارب الاقتصادية والاجتماعية على أن البلاد التى ازدهر فيها الربا فقدت التعاطف والتراحم وحلت القسوة منها محل الحنان والعدل .

وقد صبغت الحضارة الأوربية بألوان البنفسج اليهودية ففشت فيها الأطماع المادية حتى صاروا ولا هم لهم إلا جمع المال .

وأشار إلى أبرز ما تعنى به اليهودية التلمودية: إقامة بوتقة تفكك الأخلاق بتسهيل سبل الشهوات وأشرطة الصور المتحركة والحث على الجرائم وعلى الشهوات واختراع الرقص الخليع بأنواعه ، ومسابقات الجمال واختيار ملكات المحاسن فى الغرب والشرق وعبادة المادة فى كل شىء ونشر صحف المجون والفسوق مثل جاذبية الجنس ونشر أشد الكتب المحظورة على أذهان الشبيبة ونشر الصحف الكاشفة عن القناع عن أسرار الجرائم تحت ستار التحقيق الجنائى وما هى إلا تحريض خفى لاقترافها بطريقة الإيحاء التى يجيد اليهود توجيهها نحو الجماعات .

الفصل الرابع

الثورة الفرنسية

كانت الثورة الفرنسية هي أول ثمار الفلسفة الماسونية والتخطيط الماسوني. وكانت مقدمة للثورة العالمية التي عمت أوربا جميعاً . واستهدفت في الأساس تحقيق غاية كبرى هي تحطيم الجدار الذي يفصل المسيحيين عن اليهود في أوربا وتقليص نفوذ الكنيسة وتحطيم المقررات التي فرضتها على عزلة اليهود في أحياء الجيتو وإقامة الدولة العلمانية التي ينفصل فيها الدين عن المجتمع ، وإلغاء المدارس الدينية وإقامة مدارس علمانية كمقدمة لاستيعاب أوربا والسيطرة عليها سيطرة كاملة .

وقد اختارت الماسونية فرنسا بالذات لإقامة أول حركة باعتبارها حصن الكاثوليكية الأكبر . وقد أشار أحد دهاقين الماسونية إلى هذا العمل فقال : أن الثورة الفرنسية ما هي إلا وليدة الماسونية .

* * *

وقد تكشفت في السنوات الأخيرة حقائق كثيرة تؤكد أن الثورة الفرنسية في مضمونها ومفاهيمها العلوم قامت على أساس الفلسفة الماسونية فضلا عن دور المحافل الماسونية البارز في تنفيذها :

١ ــ تقول الكاتبة نستا ويستر : في كتابها (لويس السادس عشر وماري

انتوانيت) وفيه تؤكد المؤلفة أن الثورة الفرنسية ترجع إلى جهود الجمعيات السرية الخفية ولا سيما محافل البناء الحر (الماسونية) وان هذه الهيئات السرية قد لعبت من وراء الستار دوراً عظيما لاضرام نارها .

وترى الكاتبة أن المساعى الخفيـــة التى قامت بها الجمعيات السرية وراء الستار كانت كالأسباب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية عاملا خطيراً فى نشوب الثورة الفرنسية .

٢ — وتؤكد مصادر متعددة أن الشعب الفرنسى سار خلال الثورة فى الطريق الذى رسمته له الماسونية لخدمة اليهودية العالمية . فقد يسر اليهود للفرنسيين الإنغماس فى حياة الترف والفجور وجعلوا باريس مدينة الأزياء وأصناف الخمور وملاهى الدعارة والانحلال والإباحة والوجود .

٣ — ويؤكد هذا المعنى الكونت دى طوجفتشى de Tougwitz أحد أعيان الماسونية الألمانية فى مقال كتبه عام ١٨٨٢ حين يقول[١] :

« قد تأكدت وعرفت حق المعرفة أن الماسونية العظيمة التى ابتدأت ١٧٨٨ و ١٧٨٩ مع قبل الملك (يريد لويس السادس عشر) و الفظائع التى رافقته انما كانت نتيجة أعمال المحافل (الماسونية) .

ولما جرت سيول الدماء بعد ذلك فى كل أنحاء فرنسا حتى صارت أرضها أشبه بمستنقع دم صرح رئيس الماسونية الألمانية فى خطاب أملاه ١٧٩٤ مهنئا فرنسا لسبقها بقية الأمم عن طريق الثورات والمشاغب .

وقال أن جماعتنا الماسونية قد أضرمت فى الشعوب الأوربية نار الفتن فهيهات أن يخبو لظاها قبل أجيال متعددة .

---

(١) م ١٣ المشرق — لويس شيخو .

وكان من نتيجة ذلك الشرائع الجديدة التي سنت في فرنسا منذ ١٨٨٠ ضد الدين والكنيسة، ونفى الرهبان وأبطال مدارسهم وفصل الكنيسة عن الحكومة كل ذلك قد سبقت الماسونية وقررته في حفلاتها السرية ثم أمرت النواب الماسون بأن يؤيدونه في تصويتهم بعــــد أن التجأت إلى كل الدسائس والمكائد .

وأشار لويس شيخو في كتابه السر المصون في شيعة الفرمسون :

ما كانت الثورة الفرنسية غير لهيب تلك النار الآكلة التي أججها الماسون في محافلهم ثم أضرموها في أنحاء أوربا حتى التهمت أقاصي البلاد .

٤ — ويقول القائد التركي جواد رفعت في كتابه : الخطر المحيط بالإسلام .

كان اليهود من وراء الثورة الفرنسية التي جاءت بالشعار الزائف : (حرية . مساواة . أخاء) ذلك الشعار الذي اخترعته الماسونية اليهودية لتخدع به العالم ويقضى على مقومات بقاء الدول والتحكم في مصائرها .

في العهد الذي قامت به الثورة الفرنسية ١٧٨٩ كان حكام الدول الأوربية وقادتها بما في ذلك روسيا وبولندا يتبادلون أنظمة التعليم العلماني وأفكار الإصلاح التي روج لها اليهود .

وحين قامت الثورة كان المحفل الماسوني الأكبر في باريس مركزا لتجمع قادة الثورة وقد وضعت القوانين والأنظمة للثورة الفرنسية في ذلك المحفل .

وتعترف دائرة المعارف الماسونية : أنه منذ القرن ١٦ والبناءون الأحرار في مقدمة القائمين بحركات اجتماعية سليمة كانت أو عنيفة قلبت الأوضاع

القديمة ووضعت الأسس الديمقراطية الحديثة وكانت الثورة الفرنسية فى مقدمة هذه الحركات الاصلاحية القوية العنيفة.

وتضيف دائرة المعارف الماسونية إلى اعترافها :

قال (لامرتين) أن اعتقادى ثابت بأن الماسونية أخرجت الأفكار العالية التى تأسست عليها الثورات الكبرى سنوات ١٧٨٩/١٨٣٠/١٨٤٨

وقال المؤرخ السياسى الاقتصادى لويس ربلان بأن الماسونية كانت معملا للثورة وكان أثرها فيها أعظم من أثر موسوعه الانسكلوبيديا.

وحقاً قال فقد مكثت الماسونية نحو نصف قرن تعد محافلها أفكار الشعب الفرنسى للقيام بثورته الكبرى ، ولا غرابة فى الأمر فالماسونية قد اتخذت لها شعار كلمات ثلاث : (حرية . إخاء . مساواة) .

« اتخذتها قبل أن تتخذها الثورة الفرنسية شعاراً » .

وتقول دائرة المعارف : حين اندلعت الثورة الفرنسية كان وجهها يهودياً توارنياً تلمودياً إذ لم يعرف التاريخ كالغوغاء الذين نظموا وتآمروا وثاروا ضد كل طبقة من الناس وكانت غايتهم تدمير النظام ومقوماته من الملك إلى النبلاء ورجال الدين وطمس القوانين وتغيير العملة وعلم البـــلاد والتقويم الرسمى .

ولوحظ أن الثورة لم يقم بها فرنسيون لحماية فرنسا وخيرها بل قام بها أجانب يستترون وراء قوة سرية ترمى إلى هدم كل شىء فى فرنسا .

ولم يكن أولئك الأجانب سوى اليهود الذين خططوا للثورة ومهدوا لها بخلق فراغ كبير بين الأسر الحاكمة وبين الشعب ثم بإثقال كاهل البلاد

بالديون اليهودية فظهر الملك الحاكم أمام شعبه مبذراً أنانياً طاغياً ، وسرعان ما شرع اليهود يزيفون التاريخ ويصورون الثورة الفرنسية بذلك العمل التاريخي الذي خدم الإنسانية وأعطى وثيقة حقوق الإنسان وهى اسمرى فرية يهودية انطلت على ملايين البشر الذين انخدعوا بالأكاذيب اليهودية كما انخدعوا بالتاريخ المزيف الذي كتبه اليهود . نقول (وما تزال فرنسا فى إطار التلمودية تحتفل بهذه الأكذوبة ولا تنكشف لها أبعادها) .

فالثورة الفرنسية غدت فى حقيقتها من أسباب شقاء العالم وإذلال الشعوب وتسخيرها لخدمة اليهودية العالمية التى خططت للثورة وموّلتها ونفذتها وجنت أرباحها ويكفى أن نذكر الحقيقة المرة وهى أن فرنسا منذ ثورتها اليهودية الماسونية ١٧٩٨ قد تحولت تدريجياً إلى مزرعة يهودية بمالها وثقافتها وعلمها وسياستها واقتصادها .

الثورة العالمية

وكانت الثورة الفرنسية مقدمة للثورة العالمية فى كل أنحاء أوربا حيث كانت الماسونية قد استهدفت تغيير الأسس الفكرية وفق فلسفتها التى تبنتها تمهيداً لتغيير الحكومات المسيحية الأوربية وإقامة حكومات علمانية لادينية مكانها ويعزى إلى الماسونية أغلب الثورات الأربية والحروب المختلفة منذ حرب السبعين الألمانية والفرنساوية إلى الإنقلاب العثمانى إلى الحرب الكبرى الأولى إلى ثورة الإنقلاب الروسى إلى الحرب العظمى الثانية .

يقول الأستاذ محمد عبد الله عنان : أن الثورة الفرنسية التى هى وثبة من أعظم وثبات الهدم فى العصر الحديث ترجع إلى نشاط هذه القوات الخفية ومهارتها فى استغلال سخط الجماعات أكثر مما ترجع إلى الأسباب والحوادث المادية التى ينسب إنفجارها إليها عادة .

وقال : أن اليعقوبيون أعظم دعاة الهدم فى الثورة الفرنسية كانوا ينتمون إلى جمعيات سرية كانت تعمل فى الخفاء لسحق الملكية الفرنسية .

والثـــورة الفرنسية أبادت نظم الإقطاع ، وحطمت الملكية ، وسحقت سلطان الكنيسة : هذه الروح الهادمة تجلت فى الثورة الروسية .

ثم يقول : يقولون أن الثورة العالمية والخطر اليهودى اسمان لمسمى واحد وان دعاه الثورة العالمية هم دعاة السيادة اليهودية العالمية وأن الفكرة اليهودية القديمة فى سحق المدنية الحاضرة هى التى تحكم وراء الثورة العالمية .

وأكد الباحث « كون اليهودية تقصد بالهدم والمحو كل النظم الحاضرة وتقصد بالأخص إلى هـدم التعاليم الدينية والأخلاقية نصرانية كانت أو إسلامية ، وقال أن هذا أمر لا ريب فيه[١] .

خلاصـــة

ما نريد أن نصل إليه أن الفلسفة الماسونية هى جماع الفكر البشرى القديم انبعثت مرة أخرى بعد الإسلام فى قوة وأعادت تشكيل نفسها بأسلوب جديد ووفق روح العصر وأخذت تتحرك من جديد إلى مثل الغايات التى تحركت إليها القوى الخفية والدعوات الباطنية ودعوات المجوسية والمزدكية والمانوية قبل الإسلام وبعده .

وقد حققت هذه الفلسفة واستطاعت عن طريق القوى التى تساندها أن تسيطر فعلا على الفكر الغربى (الأوربى ثم العالمى كله) وأن تحوله من الإتجاه الذى سار عليه فى عصر النهضة ومن خلال المعطيات التى قدمتها الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى .

---

(١) السياسة الأسبوعية ١ مايو ١٩٢٦

وأن عصر التنوير كان مقدمة لسيطرة الفلسفة الماسونية واستيعابها للفكر الغربي وتطويقه واحتوائه على مراحل متصلة ظل فيها الصراع قائماً بين الفكر الغربي المرتبط بالمسيحية أو بالدين على وجه العموم وهو ما أطلق عليه بين بعد الفلسفة المثالية وبين الفكر الوثني الهليني الغنوصي الذى استمد إطاره وهدفه من اليهودية التلمودية وعمل لحسابها وهو ما أطلق عليه الفلسفة المادية .

وقد كانت أهداف اليهودية العالمية واضحة وراء هذا التحول على النحو الذى تحقق من بعد فى السيطرة الكاملة على جميع فروع الفلسفة والسيطرة على الفكر البشرى كله ومحاولة دفعه حثيثاً للسيطرة على الفكر الإنسانى الذى جاءت به الأديان المنزلة والفكر القرآنى .

الفصل الخامس

المفاهيم الصهيونية

لاريب أن الفكر الصهيونى مستمد من فكرة الصهيونية ذاتها ، محاولا إقرارها والدعوة إليها والدفاع عنها واستخدام كل أساليب البراعة فى سبيل الإقناع بها وكسر العقبات التى تقف أمام تحقيقها

وتقوم الفكرة الصهيونية على « نبوءة » وليست على حقيقة تاريخية وهذه النبوءة إن صحت فهى بالمفهوم الإنسانى والتاريخى ومن منطاق الأديان والأمم قد تحققت فعلا فى أبناء إبراهيم [وإسماعيل منهم] هذه النبوءة هى قيام الدولة الموعودة لإبراهيم وأبنائه وهى دولة توحيد الله الخالق ، وقد قامت فعلا من خلال الأديان التى حملها أبناءه وأحفاده : فانتشر دين المسيح عيسى بن مريم حتى عبر البحر الأبيض إلى الغرب وانتشر دين الإسلام فأقام دولة بين الصين وفرنسا .

غير أن اليهودية التلمودية ، من خلال تاريخها كله ترفض المسيحية كجزء من ميراث إبراهيم كما ترفض الإسلام ولا ترى أن التوراة إلا رسالة أمة خاصة : هى شعب الله المختار ، ولا ترى فى السيد المسيح: مسيح اليهود بل هى تنتظر مسيحاً آخر ، ولا ترى فى إسماعيل جد العرب والمسلمين جزءاً من بنوة إبراهيم عليه السلام وتقيم مفهوماً تاريخياً خاصاً يعزل مجرى التاريخ عن منبعه ويحاول أن يشكل تحدياً خطيراً لكل القيم والمقررات والحقائق التى لاسبيل إلى تجاوزها أو إنكارها فاليهود — استمداداً من مفاهيمهم الموروثة الخاصة — التى زيفوا

بها التوراة المنزلة، وأقاموا بها منهجاً أو دعوة التلمود قد رفضوا رفضاً تاماً منطلق التاريخ الممتد بالمسيحية ثم بالإسلام وبالتاريخ الذى عرفته البشرية وشادوا من خلال فلسفتهم اليهودية، والماسونية، ثم الصهيونية تاريخاً خاصاً، يريدون فرضه على الفكر البشرى كله وعلى فكر الأمم ومناهجها وآدابها ولا ريب أن فى هذا «رفض لحركة التاريخ بالإنسان منذ ماقبل المسيح إلى الآن على مدى ألفى سنة وللتطورات الهائلة التى حدثت فى العقليات والنفسيات والعلوم والحضارات. وقربت مابين الأجناس والألوان والأفكار».

ومن هنا تقوم الصهيونية على تزييف التاريخ فى جميع مصادره ودوائر معارفه وكتبه لتصور فلسطين وبيت المقدس وكأنما هى أرض يهودية خالصة وكأنما تاريخ العرب من قبل اليهود وتاريخ العرب والمسيحية والإسلام من بعد اليهود لم يكن شيئاً حقيقياً. وإن أرضاً استولى اليهود عليها بالغزو والاحتلال وأقاموا عليها دولة لم تمتد أكثر من سبعين عاماً وخرجوا منها منذ عام ٧٠ ميلادية وحتى اليوم، يراد أن يقال أنها قد ظلت يهودية أو ظلت ارثاً يحق لهم أن يعودوا إليه بعد ثمانمائة وألف عام تحت اسم مضلل هو «الحق التاريخى» فالفكر الصهيونى يقوم أساساً على محاولة تغيير التاريخ كله وتحريفه»[٢] فى حركة واسعة ضخمة والتشكيك فى المسيحية ثم محاولة إفساد الأمم وتدميرها أخلاقياً حتى تستسلم وتخضع لتحقيق هذه النبوءة: نبوءة إقامة الدولة الكبرى

وليست الفلسفة الصهيونية فى حاجة إلى استقصاء كثير، فإن البروتوكولات التى كتبها اليهود قد كشفت عن ذلك فى وضوح وحددت أبعاد الأيدلوجية الفكرية فى أدق تفاصيلها.

* * *

(١، ٢) عبد المنعم خلاف: بحثه عن الصهيونية.

وإذا كانت الماسونية هى الواجهة السرية العالمية للحركة اليهودية التلمودية منذ ظهرت حتى حققت أخطر نتائجهـــا فى أوربا بالثورة الفرنسية وإسقاط الحكومات العلمانية والقضاء على نفوذ الكنيسة بما أتاح لليهود القدرة للخروج من الجيتو والسيطرة على الحياة الاجتماعية والثقافية والأدبية فى أوربا ، فإن الحركة الصهيونية جاءت بعد أكثر من ألفى عام لتكون منطلقاً جديداً فى العلن دون السر إلى مرحلة جديدة فى السيطرة وتزييف الفكر الغربى انطلاقاً من نفس المؤثرات التى وضعها اليهود فى العهد القديم والمشنا والجمارة والتلمود وهى التى صيغت، فى الفلسفة الماسونية ثم تبلورت من جديد فى البروتوكولات .

وقد كتبت هذه البروتوكولات عام ١٨٩٧ وترجمت ونشرت فى العالم كله سنة ١٩١٠ ولم يطلع عليها العرب والمسلمون قبل عام ١٩٥٠ .

ومن ذلك التاريخ استطاعت اليهودية تحقيق خطوات ضخمة على هدفهـا الكبير فى الانقلاب العثمانى ١٩٠٨، الثورة الروسية ١٩١٧، قيام إسرائيل ١٩٤٨

(٢)

أن تزييف الحقيقة التاريخية التى جاء بها اليهود فى التوراة التلمودية اعتمد على مفهوم « العنصرية » التى هى سمة [اليهودية العالمية] وعليها قام التحريف الأساسى فى النصوص ، ومن أجلها جرت المحاولات المتعددة لتزييف التاريخ وفرض مفهوم يختلف عن الحقيقة والواقع .

وقد جاء القرآن بالمفهوم الأصيل القائم على الحق .

أراد اليهود إقامة مفهوم شعب مختار له نبوءة خاصة بالسيطرة وإقامة الدولة العالمية من خلال إعلاء للجنس والعنصر بينما أقام القرآن مفهوم الأمة الحنيفية التى بدأت بملة إبراهيم وامتدت فى أبنائه على نطاق العراق والشام والجزيرة

العربية ومصر وتشكلت فى دين موسى ودين عيسى ودين محمد وفى أبناء إبراهيم إسماعيل جد العرب والمسلمين وإسحق جد اليهود والنصارى .

ومن أجل تحريف هذا النص وإقامة المفهوم القائم على العنصرية فى مواجهة المفهوم القائم على الحنيفية العربية امتدت حركة اليهود التلمودية لتعارض مجرى التاريخ وتحاول أن تفسر منطلقه الطبيعى وذلك بفرض العنصرية فى مواجهة العروبة الحنيفية .

ويتمثل الوجه الحقيقى للصهيونية فى التعصب العنصرى وفرض نظرية الجنس المتفوق على جميع الشعوب واستغلال أساليب الخداع والمبالغة .

وقد أشار إلى هذا المعنى الدكتور الفاروقى حين أشار إلى أن « خلاصة ماتقوله التوراة هى العنصرية وقد ركزت التوراة هذه العنصرية فى اصطفاء يهوه لإبراهيم اصطفاء بدون سبب .

ومن ذلك ما تحاول به أيدى الصهيونيين من المؤرخين فرضه على دوائر المعارف العالمية من إنكار رحلة إبراهيم إلى الجزيرة العربية .

وإلى هذا يشير الدكتور الفاروقى : إن الأسفار الخمسة قدمت لنا هذا التاريخ من حيث راية العنصرية فجعلت لها فيه مركز الثقل ، أما القرآن الكريم وهو صوت الحق فقد رأى هذه الأحداث من حيث رايتها الحنيفية الأخلاقية العقلية العالمية فجعلت لهذه الفلسفة مركز الثقل فى التاريخ .

ويقول : كانت التوراة كتاباً إلهياً عزيزا إلا أن اليهود حرفوها وراغوا بها عن أهدافها الأصيلة ومراميها الأخلاقية العالمية فجعلوا منها كتاباً تعصبياً عنصرياً حتى اسم الإله فبدل أن يدعى باسم الحق وهو إله للعالمين ورب البشر جعلته العنصرية اليهودية (إله إبراهيم ويعقوب وإسرائيل) فحسب .

« أدخل عزرا الحقد والتشفى والكراهية والانتقام فأخذ يتغنى بأعمال العنف والقتل والتخريب بل ويختلق هذه القصص اختلاقاً لتمجيد العنصرية اليهودية »[1] .

(٣)

تهدف الصهيونية إلى بناء ركيزة تاريخية فى مخطط اليهودية العالمية ، تنطلق منها الحركة كلها بالقضاء على الحقوقات الجغرافية والتاريخية والثقافية الثابتة الممتدة خلال أربعة عشر قرناً فى أرض العرب وجوداً وفكراً .

ومن أجل تحقيق هذا الهدف تجرى المحاولات المتعددة :

(أولا) لتزييف التاريخ وفرض أكاذيب ووقائع غير صحيحة بما يتفق مع دعوى الحق التاريخى الباطل فى بيت المقدس وفلسطين ويمتد هذا حتى يصل إلى بعض المواقع التى أقام فيها اليهود قبل ألفى سنة فى بابل والجزيرة العربية .

(ثانياً) محاولة إثارة الشبهات حول الحقائق التاريخية الثابتة فى القرآن والتاريخ الإسلامى فى مساق هذه الخطة وذلك بتحريف القرآن ووضع كتب تاريخية ونصوص فى دوائر المعارف وغيرها .

(ثالثاً) محاولة التأثير فى مناهج التعليم لإفساد منطلقات المسلمين والعرب فى مفهوم الجهاد والمقاومة وإذاعة دعوات تحمل طابع السلام والوحدة العالمية وغيرها .

(رابعاً) محاولة التأثير فى أخلاق الأمم بطرح مفاهيم الإلحاد والإباحة والتحريض على اللذات والشهوات .

---

(١) أصول الصهيونية فى الدين اليهودى : لإسماعيل راجى الفاروقى .

(خامساً) التشكيك فى مفاهيم التوحيد والعدل والغيب والإيمان بالله .

(سادساً) اثارة الفرق والنحل القديمة وابتعاثها لخلق أجواء من الصراع والانقسام والتمزق .

(سابعاً) اثارة النعرات الإقليمية والدعوات العنصرية لخلق تضارب بين الأمة الواحدة التى جمعها القرآن والإسلام .

(ثامناً) خلق معوقات تحول دول استئناف المسلمين والعرب حياتهم الاجتماعية وفق مقررات الإسلام وإغراقهم بالمذاهب والمفاهيم السياسية والاجتماعية الوافدة .

(تاسعاً) القضاء على التنظيمات الدينية والأخلاقية من أجل السيادة على العالم وتسخيره وفقاً للقاعدة المقررة لديهم : إنه لابد من تخريب العالم أولا قبل السيطرة عليه .

(عاشراً) افساد الجوييم (غير اليهود) والتلاعب بقوانينهم والقضاء على إيمانهم بالله ، وإسقاطهم تحت سيطرة عوامل الضعف والملذات كالخمر وغيره .

(حادى عشر) سيطرة رأس المال اليهودى على الدول والأمم ووضع أسس الاقتصاد العالمى على أساس الذهب الذى يحتكره اليهود وإيقاع الأمم تحت سيطرة الإقراض بالربا واستنزاف الثروات وسيطرة رأس المال اليهودى على الدول والأمم وإحداث الأزمات الاقتصادية العالمية على الدوام .

(ثانى عشر) إلقاء بذور الخلاف والشغب والصراع بين مختلف الدول عن طريق الجمعيات السرية والدينية والمحافل الماسونية .

(ثالث عشر) وضع كل وسائل الطبع والنشر والصحافة والسينما والجامعات والمسارح فى أيدى اليهود .

(٤)

البروتوكولات هى الصياغة العصرية لأحكام التوراه المحرفة والتلمود ، وقد استهدفت فى نصوصها على اخضاع الشعوب المسيحية وغيرها فى العالم وتأسيس امبراطورية صهيون يرأسها ملك ليكون امبراطوراً للعالم كله على أساس القدرة بالسيطرة على الصحافة والذهب والإعلام .

والبروتوكولات هى منطلق الحركة الصهيونية ودستورها وهى فى مجموعها تستمد مقوماتها الأساسية من طبيعة اليهودية التلمودية .

ولذلك فان البروتوكولات تقوم على أساس واضح :

الدعوة إلى هدم الديانات فى محاولة للقول بأن الأديان لم تعد تسد حاجات العصر الحديث .

وإلى تشجيع الانحلال فى المجتمعات غير اليهودية ليعم الفساد والتمزق وتضعف الروابط الاجتماعية التى تعتبر أهم مقومات الشعوب مما يسهل السيطرة عليها وتوجيهها الوجهة المرجوة .

وإلى تذويب القوميات والعصبيات الوثنية والعنصرية والوطنية من أجل الدعوة إلى العالمية ونبذ التعصب القومى والدينى والى اعتبار الانسان بمثابة مواطن فى العالم كله وايجاد الصراع بين الدين والقومية وخلق المتناقضات بين الاسلام والعروبة .

وتدعو البروتوكولات إلى اشعال نيران ثورة عالمية بعد اخضاع العالم كله للسيطرة الصهيونية وتطالب بالاتجاه إلى التآمر والخداع والتضليل والتجسس والتسلل فى صفوف الجماعات .

(٥)

يحاول بعض الباحثين التقليل من شأن البروتوكولات ويتخذ في سبيل الشك فيها دليلا واحداً ذلك هو رفض اليهود لها واعلانهم برأتهم من صلتهم بها واتهامهم من يتخذها وثيقة ضدهم بأنه يحمل لواء العداء للسامية وليس أدل على صدق نسبه هذه البرتوكولات إلى الصهيونية العالمية من هـذا الدفاع والتشكيك .

غير أن الأسلوب الذى يكشف عن حقيقة صحة نسبة البروتوكولات إلى الصهيونية من عدمه إنما هو ماسجلته من نبوءات وتوقعات ومدى صدق هذه الاشارات وقد حفلت البرتوكولات بنوايا كثيرة صدقت وأبرز هذه النوايا تقسيم العالم إلى معسكرين متناحرين .

ويستطيع من يقرأ البرتوكولات ويكون على إلمام بمخططات اليهودية العالمية ومفاهيم التلمود وفلسفة الماسونية أن يجد ذلك واضحاً ومطابقاً لهـا تمام المطابقة .

وأبرز ماتحمله البرتوكولات من أهداف اليهودية العالمية هى محاربة الأديان والأخلاق والعمل على تدميرها وماصاحب ذلك من تصريحات متعددة لعشرات من الحاخامات فى حمله صاعقه على الأديان بعامةوعن المسيحية بخاصة .

وتضم البرتوكولات اشارات متعددة لهذا العداء الخطير حتى ليرد بعض الباحثين أصول الصهيونية كله إلى « الكره اليهودى للحضارة المسيحية مضطهدة الشعب المختار » أو القول بأن الصهيونية تحمل لواء مناهضة المسيحية والملايين من أتباع المسيح .

وتشير البروتوكولات إلى الآثار الخطيرة المترتبة على عملية تدمير القيم الأخلاقية فى المجتمعات :

«لقد أصبح الشعب المسيحى متبلد الذهن تحت تأثير الخمر كما أن الشباب قد انتابه العته لانغماسه فى الفسق المبكر الذى دفعه اليه أعواننا من المدرسين والخدم والنساء اللواتى يعملن فى أماكن اللهو ونساء المجتمع المزعومات اللواتى تقلدهن فى الفسق والترف » .

(٥)

تتركز أهداف الصهيونية كما ركزت عليها البروتوكولات على هدف واحد: هو تحطيم الأخلاق فهى تعتمد على إذاعة فلسفة أخلاقية تقوم على دفع البشرية كلها إلى التحرر من جميع الضوابط والتحلل من كل القيم والاستهانة بالمثل العليا ومبادىء الفضيلة وكرامة الإنسان .

ولقد شهدت نصوص البروتوكولات على أن النظريات والمذاهب التى طرحتها الصهيونية انما استهدفت إخراج أجيال يتصارع فيها الايمان والالحاد كخطوة الى تحطيم عناصر الايمان فى النفوس .

وان هذه النظريات والمذاهب قد فتحت الطريق إلى الالحاد واكتساح كل الأديان والعقائد الأخرى .

وقد وضع هذا المخطط تحت عنوان « حرية الأديان » وأعدت له أساليب فى طرح مفاهيم الأديان الوثنية القديمة وأعادت صياغتها من جديد وعرض مضامينها التى تعارض مفاهيم التوحيد والأخلاق والايمان بالغيب ويشير البروتوكول الثالث عشر إلى دعم هذا المخطط بنشر الأدب المكشوف الذى وصف بأنه «أدب مريض » تغشى له النفوس ويساعد على هدم الأسرة وتدمير جميع المقومات الأخلاقية للمجتمعات المعادية (للصهيونية) يقول النص :

« ومن هذا الأدب المريض القذر تنطلق الدعوة إلى الاباحية المطلقة لهدم الأسرة وتدمير الأخلاق فى المجتمع » .

ومن شأن هذا الاتجاه الايدلوجى الذى يروجون له فى عديد من المذاهب والدعوات أن يحطم مناعة الأمم فيفقدها قدرتها على المقاومة ويعجزها عن المواجهة .

وقد أشارت البروتوكولات إلى أن « الأدب والصحافة » هما فى طليعة القوى التوجيهية الهامة وحددت مهمتها فى عبارة تحتاج إلى تأمل طويل .

« يجب أن تكون الصحافة تافهة كاذبة بعيدة عن الحق ، تعمل لتحريض واثارة المشاعر » .

ويتصل هذا ما ركزت عليه البروتوكولات من أمر « الحط من كرامة رجال الدين عند الأميين فى أعين الناس » وذلك عملا على إزالة ماوصف بأنه عقبة كؤودا فى طريق الصهيونية .

وفى البروتوكولات أشارة واضحة إلى تبنى الصهيونية العالمية لبعض النظريات الفلسفية وإعلانها والاذاعة بها ودفعها لتكون مناهج علمية تدرس فى الجامعات والمعاهد .

وفى أحد البروتوكولات اشارة واضحة إلى هذا :

« لاحظوا أن نجاح دارون وماركس ونيتشه قد دبرناه من قبل وسيكون واضحاً على التأكيد الأثر الأخلاقى لاتجاهات هذه العلوم فى الفكر الأمى » .

وهناك ترجمة أخرى لهذا النص تقول :

نحن الذين هيأنا لنجاح دارون وماركس ونيتشة ولم يفتأ تقدير الآثار السيئة التى تركتها هذه النظريات فى أذهان غير اليهود .

* * *

ويتصل هذا الاتجاه بالعمل على تحطيم نظام الأسرة والقضاء على الروابط العائلية وقد وجهت نقدات كثيرة لهذا النظام ووصفه أحد فلاسفتهم بأنه مضاد للفطرة وقد عملت الصهيونية على دفع نظام الأسرة إلى التفكك وإلى تضارب أفراد الأسرة ووقوع الريبة بينهم وخلق أسباب الصراع .

وهناك اشارة واضحة إلى أن أكبر عوامل تدمير الأسرة بالرذيلة والترويج للحانات والملاهى .

وقد أشارت البروتوكولات إلى هذا الاتجاه :

« الصحافة والمسرح والمضاربة والعلم والشريعة يجب أن تكون تحت تصرف من فى قبضتهم كل ذهب الأرض ، وهو أقوى سلاح لإثارة الرأى العام ولإفساد أخلاق الشبيبة ولتهييج عمومى إلى الرذيلة لملاشاة كل ميل إلى التهذيب المسيحى ولتشييد عبادة المال والشهوة الكلبية للملاذ » .

* * *

وقد كشفت المذاهب الفلسفية التى صاغها اليهود على محاولة تركيز هذه الخطط ودعمها وتحويلها إلى آثار عملية فى المجتمعات وذلك بفرضها أولا فى قالب علمى براق زائف .

يقول بلاكنهيم : أن فرويد خلق الإباحية الحديثة على نمط الوثنية الاغريقية وبجد العزيزة ، بحيث أطلق عنان الشهوات البشرية ورخص للرجل والمرأة أن يفعلا بجسدهما ماشاء ، فالتهتك الجنسى لاحد له فى رأيه والولد يغار على أمه من أبيه .

كما برر (توماس مان) عشق الذكور فى قضية الموت فى البندقية .

الباب الثالث

بين الفكر الغربى والتلمودية

(١) بين الفكر الغربى المسيحى واليهودية التلمودية

(٢) بروتوكولات صهيون

(٣) معارضة الأديان

الفصل الأول

بين الفكر الغربى المسيحى واليهودية التلمودية

كان عصر التنوير بكل مقوماته مقدمة للصراع بين الفكر الغربى المسيحى الأصل واليهودية التلمودية. ذلك أن مقومات الفكر الغربى الحديث كان يقوم أساساً على المصادر الأخلاقية المسيحية .

فقد دخلت المسيحية إلى بيئة الحضارة الرومانية وهى مشكلة فعلا من آثار الفلسفة الهلينية الوثنية والقانون الرومانى بمفهومه العبودى .

واستطاعت المسيحية بالرغم مما أصابها من إنحراف لتفسير «بولس والمجامع لها ، أن تحمل معها طابع الدين المسيحى كعبادة وأخلاق فكان من أثرها أن هذبت كثيراً من طوابع الوثنية والهمجية التى عرفت عن قبائل الهون المتبربرة التى زحفت من الشمال وسيطرت على روما وما حولها .

وقد بدأت حركة النهضة من خلال أوربا المسيحية ، وكانت رسالة الإسلام هى الضوء الكاشف الذى فتح لأوربا مقاليد المنهج العلمى التجريبى وطرحت فكرة التوحيد تحديات خطيرة استهدفت إصلاح المسيحية كما ظهر ذلك واضحاً فى مختلف مفاهيم لوثر وكالفن غير أن عودة اليهود إلى أوربا مرة أخرى بعد خروجهم منها عاملا هاما فى تحويل هذا التيار عن سبيله الصحيح وقطع الطريق عليه وإعادة الفكر الأوربى إلى الوثنية اليونانية ودفع الحملة على المسيحية دفعاً شديداً ونقلها إلى مجال التحدى الخطير ومقاومتها مقاومة عنيفة بدفع عديد من مفكرى الماسونية إلى مكان الصدارة وإطلاق صيحات اللادينية وتأليه

الإنسان والعقل على الوجه الذى بلغ بذلك إلى حد إحتواء الفكر الغربى كله حتى لم يعد لصوت الفكر الغربى المسيحى أثر يذكر وان ظل يستعلن هنا أو هناك دون أن يكون له أثر عملى كبير بينما استطاع الفكر الغربى المستمد من مصادر التلمود أن يسيطر سيطرة كاملة .

وحين تراجع تاريخ أوربا نجد أن أوربا أخذت تخرج اليهود منها منذ القرن الثالث عشر بعد أن أصدرت الكنيسة الكاثوليكية قيودا ضخمة عليهم كانت الغاية منها كبح إحتكارهم التجارى فأخرجوا من انجلترا وفرنسا ثم أخرجوا من أسبانيا ١٤٩٢

« وما أن أهل عام ١٥٠٠ حتى كانت أوربا الغربية بأسرها باستثناء شمالى إيطاليا وأجزاء من ألمانيا قد تخلصت من الغزوة اليهودية وعاشت أوربا فترة من الزمن حرة من اليهود الذين لم يعودوا إليها بكثرة إلا عام ١٦٥٠

ويشير كثير من المؤرخين الى أن فترة ازدهار الثقافة والعلوم التى وصفت بعصر النهضة من ١٣٠٠ إلى ١٦٥٠ كانت أوربا خالية من اليهود ومن هنا فلما عادوا ، أخذوا يعدون حركة إستيعاب خطيرة للفكر الغربى سيطروا فيها على ما حققته أوربا وأطلقوا على هذا العصر : عصر التنوير ، وكان ذلك مقدمة لما حققوه عن طريق الثورة الفرنسية وثورات الدول الأوربية من بعدها . وقد حققت هذه الثورات هدفها باسقاط الحكومات المسيحية ، وإسقاط كل الأنظمة التى تحول بين اليهود وبين الاشتراك فى المجتمع الأوربى ، ومن ثم فقد أخذ اليهود يسيطرون سيطرة واضحة على مجالات الفكر والمجتمع والاقتصاد بينما تركوا للأوربيين المسيحين أغلب أمور السياسة .

ثم جرت عملية الإحتواء الفكرى عن طريق محافل الماسونية وفرض فلسفتها على من يغرونهم باعتناقها ثم يمهدون لهم الطريق لتسلم المواقع الهامة فى

الدول والحكومات والبرلمانات ومن ثم أخذوا ينفذون أهدافهم فى سرية وصمت فلما استوى هذا الاتجاه وأخذ مداه وحقق نتائجه طرحت اليهودية : فكرة الصهيونية وإستطاعت أن تجد لها من مختلف القوى السياسية الأوربية نصيرا ومؤيد حتى استطاعوا الحصول على وعد بلفور .

وفى خلال ذلك كان التركيز شديداً على الدولة العثمانية لازاحتها من طريق بناء أول أحجار الصهيونية العالمية بفتح طريق الهجرة إلى فلسطين .

وقد كان للماسونية دورها الضخم فى السيطرة على الحركة الاصلاحية التى ظهرت فى الدولة العثمانية باسم الاتحاديين واحتوائها وتحويلها نحو مفاهيم الماسونية والعمل لها بحيث استطاعت الصهيونية العالمية تحقيق هدفها فى نفس اللحظات الأولى لسيطـــرة الاتحاديين على الحكم فى الدولة العثمانية[1] عام ١٩٠٨

وهكذا إستطاعت اليهودية العالمية أن تحتوى الفكر الغربى كله وأن تسيطر عليه سيطرة كاملة عن طريق الفلسفة الماسونية ومحافلها كمرحلة الأولى لتحقيق هدف تحرير اليهود من قيود الكنيسة ثم كانت هذه الخطوة سبيلا إلى الخطوة الثانية وهى استعلان الحركة الصهيونية ، وكانت الحركة الثالثة هى إسقاط الدولة العثمانية لفتح الطريق إلى بيت المقدس وهو الهدف الكبير .

غير أن اليهودية العالمية فى سبيل تحقيق هذه الخطوات ومابعدها مما كشفته الوثائق عن الفلسفة الماسونية ومخططات الصهيونية من خلال بروتوكولاتها كانت تستهدف عملا أضخم بكثير مما وصلت إليه : ذلك هو إقامة الحكومة اليهودية العالمية .

---

(١) راجع ذلك بتوسع فى كتابنا : العروبة والاسلام .

ومن أجل هذا كان لا بد من أن يقع الصدام قويا بين الفكر الغربي المسيحى الذى كونته عوامل مختلفة من أهمها المسيحية والمنهج العلمى التجريبى الإسلامى، وبين الفكر اليهودى التلمودى الذى يتطلع إلى إزاحة جميع المناهج الإسلامية والمسيحية من عقائد وأخلاق وشرائع لفرض فكره وأيدلوجيته الوثنية الهدامة .

وان إلقاء نظرة إلى خطوط الفكرة « اليهودية التلمودية » لتكشف عن قدرة عجيبة على إستيعاب عصارة الفكر البشرى القديم من وثنى وهلينى وغنوصى ومن إباحى ووثنى ومن بقايا المجوسية والزرادشية بكل ما تضمه هذه المذاهب من هدم للتوحيد والأخلاق وإثارة لعوامل الجنس والغرائز وإفساد الأمم وإغراقها فى الشهوات وتدمير مقوماتها الأخلاقية والروحية والنفسية .

وبالجملة فان اليهودية العالمية حملتها كل الفلسفات الهدامة القديمة التى جاء الإسلام ناقضاً لها وقاضياً عليها — حملتها إلى العصر الحديث وابتعثتها فى أساليب عصرية حديثة وعلمية براقة وفرضتها بقوتها الذاتية حتى استوت علوما فرضت على الجامعات ودوائر الثقافة واستمدت منها الآداب والقصص والشعر والفنون مضامينها ومفاهيمها وطرحت من جديد كانما هى حقائق واقعـــة .

وقد حملت اليهودية العالمية النظريات ونقيضها وحمل بعضهم مع الأصل ونقيضه لتوسيع رقعة المباراة وشغل العالم بها ودفع الأفكار إلى درجة عالية من العراك والجدل .

وبذلك تستطيع اليهودية العالمية أن تستوعب كافة الاتجاهات وإرضاء كل النزعات ومن هنا ظهرت النظرية المادية وفى نفس الوقت ظهرت نظرية

الروحية الحديثة ، وجاءت دعوة الاقليمة الضيقة واعلاء الأجناس والعنصرية وجاءت فى نفس الوقت دعوة العالمية ووحدة البشرية وجاءت البهائية لتصهر الأديان كلها فى بوتقة واحدة وجاءت الثيوصوفية لإستيعاب دعاة وحدة الوجود والإتحاد والحلول .

وأحيا فلاسفة اليهود من سبينوزا وغيره : وحدة الوجود بهدف هدم الألوهية كما تهدمها دعوات الإلحاد والعدمية تماماً .

وقد مضى العقل اليهودى الهدام وراء كل الحدود فى محاولة للسيطرة على الفكر البشرى كله وإحتوائه وعزل الفكر الإنسانى الربانى الذى جاءت به الأديان وتوجيه أعنف الحملات عليه بالتشكيك والانتقاض وإثارة الشبهات وتحريف النصوص .

وقد اتخذت اليهودية العالمية أسلوب طرح المذاهب الاجتماعية والسياسية والفكرية والبيلوجية وسيلتها لهدم الأديان وعزلها .

وقد ظهر ذلك من خلال مذهب التطور والتفسير المادى للتاريخ والوجودية والسريالية .

وما أطلق عليه علوم النفس والإقتصاد السياسى والإجتماعى والأديان المقارنة وهدفهم الواضح من خلال هذه الدراسات هو إعادة إحياء الفكر السابق للأديان السماوية (التى أنزلت على الأنبياء عيسى وموسى ومحمد عليهم السلام) وذلك حتى تجد مفاهيم التوارة التلمودية طريقها إلى الشعوب والأمم.

وتحتوى هذه الفلسفات والنظريات زيف كثير وسوء نية وهدف واضح « يغطيه اليهود بالصبغة العلمية التى لا يفطن إليها إلا أهل العقول الراجحة » .

وقد اتخذت نظرية « الفكر الحر » عقيـــدة جديدة اعتنقها أولياء

الأيدلوجية اليهودية الصهيونية الماسونية بهدف تشكيك الناس فى الديانات عن طريق النقد الحر .

ومن الحق أن يقال إن « المتبع لحركات اليهودية العالمية (الصهيونية والماسونية) يدرك تمام الإدراك أن الصهيونية لا تخلق حركة اجتماعية على اطلاقها ولا قدرة لها على خلقها ولكنها ما تكاد ترى حركة تنبع إلا سارعت إلى استغلالها واحتوائها بما يخدم مصالحها » .

ومن هنا يجيء انتفاعهم غير المحدود بآراء نيتشة ونظرية دارون وقد سجلت البروتوكولات هذا المعنى : أما آراء نيتشة فقد اتجهوا بها إلى محاربة المسيحية من ناحية ومحاربة عقيدة الألوهية من ناحية أخرى ومن إبتعاث نظرية العنصرية من ناحية ثالثة وكثير مما يتصل بالإلحاد وتجديد الفكر البشرى القديم المتمثل فى آراء زرادشت والوثنية وغيرها .

أما نظرية دارون فقد انتفعت بها اليهوديه العالمية فى تشكيل النظرية المادية كلها واستغلت فكرة التطور البيولوجية لبناء نظرية فى التطور الاجتماعى التى أقامها سبنسر وغيره وبلغت غاية الغايات فى النفع للأيدلوجية الماسونية والصهيونية والفكر اليهودى التلمودى وكان من ثمارها : ماركس وفرويد ودوركايم .

* * *

ولقد سجل كثير من المفكرين والسياسيين العالمين دور اليهودية العالمية على نحو واضح وخاصة فيما أورده هنرى فورد فى كتابه اليهودى العالمى : فقد أشار إلى الأخطار التى ترتبت على سيطرة اليهود على الصحافة والمسرح والسينما بغية توجيه الذوق العام والتأثير فى الجماهير على النحو الذى حدث فعلا فى أوربا الغربية وفى الولايات المتحدة حتى ليقول أمريكانوس :

فى وسع الإنسان أن يقول بسهولة إن الثقافة الأمريكية فى مجموعها قد اتخذت صوراً يهودية معينة .

يقول هنرى فورد : لعـــل من الغريب أنك حيث التفت للتحرى عن الخطوط المؤدية للنفوس التى تسرى فى المجتمع تجد جماعة من اليهود خلفها . موارد الفساد فى لعبة الكرة جماعة من اليهود ، ووراء الاستغلال المالى ، جماعة من اليهود ،ووراء الدعاية للمشروبات الروحية جماعة من اليهود ، والسيطرة على السياسات القومية الحربية فى أيدى جماعة من اليهود والسيطرة على الصحافة عن طريق الضغط المالى والتجارى فى أيدى جماعة من اليهود ،وثمانون فى المائة من مستغلى الحروب هم من اليهود ومنظموا المعارضة الفعالة للقواعد والعادات المسيحية هم من اليهود والموسيقى الشعبية الرخيصة هى احتكار اليهود وليست موسيقى الجاز إلا احتكارية يهودية وليست هذه الحركات المثيرة بما فيها من قذارة والتى تتسق مع النغمات التى تبعث الغرائز إلا من عمل اليهود ، وفى هذا التعفن المسمى بالموسيقى الشعبية التى تجمع بين تفاهة التفكير وبين الفجور الجنسى ترى أن اليد العاملة هى اليد اليهودية » .

هذا فى أمريكا أما فى ألمانيا فأدولف هتلر يصور انطباعه فى كتابه «كفاحى» :

لقد اكتشفت مع الأيام أنه ما من فعل مغاير للأخلاق وما من جريمة بحق المجتمع إلا ولليهود فيها يد ، واستطعت أن أقيس مدى تأثير الشعب المختار فى تسميم أفكار الشعب وتخديره وشل حيويته بأثر نشاطه فى الصحف وفى ميادين الفنون والآداب والتمثيل ، فقد امتد الأخطبوط اليهودى إلى هذه الميادين جميعاً وفرض سيطرته عليها ووسمها بطابعه ، فمعظم المؤلفين يهود ومثلهم الناشرون والفنانون ، وهذا التغلغل فى كل ميدان من ميادين النشاط التوجيهى يشكل طاعوناً خلقياً أدهى من الطاعون الأسود وأشد فتكاً .

ذلك أن تسعة أعشار المؤلفات والنشرات والمسرحيات واللوحات الفنية التى تروج للإباحة المطلقة والماركسية من صنع اليهود . وقد طالعنى الشارع بحقائق لم تخطر لى على بال : منها الدور الذى يؤديه أبطاله بمهارة لم يتنبه إلى خطورته الشعب الألمانى إلا فى الحرب العالمية الكبرى » .

* * *

ولا شك أن دور اليهودية العالمية فى صناعة السينما واضحاً ومشروع هوليود الضخم المتصدر فى العالم كله يكاد يكون مشروعاً يهودياً بحتاً .

وهو يحرك جميع قضايا الإلحاد والإباحة والعنصرية وتدمير القيم الإنسانية .

ومن بين الاهتمامات البالغة الخطر ، تركيز الفكرة الصهيونية فى أذهان العالم كله والإلحاح عليها ، وتخرج هوليود فى كل عام عدداً من الأفلام للدعاية العنصرية ، الغاية منها « تهييج شعور الأقليات بتوجيهها إلى الاعتقاد بأنها مضطهدة ومهانة ، وهى دعاية سافرة لنشر الكره العنصرى موجه إلى الزنوج والمكسيكيين ، وسائر الأقليات » والقصد بها تعزيز دعوتهم العنصرية اليهودية الصهيونية .

ومن خلال السينما والمسرح والقصة والأدب والشعر تجدد اليهودية العالمية الفكر الوثنى القديم كله ، من الأفكار البالية التى هزمتها رسالة الأديان ومفاهيم التوحيد ، ودمرها الإسلام تدميراً ، فهناك عشرات من قصص عشتروت وقلقميش ، وتراث بابل وأشور والمجوسية وأساطير اليونان وفارس والهند ، وكل ما ضمه ركام الفكر البشرى الوثنى الإباحى القديم من قصص مغايرة للأخلاق أو معارضة للعقيدة الإلهية . واستغلال مختلف الجاهليات القديمة وانبعاثها عن طريق دراسة الأنثروبولوجيا والآثار وغيرها .

وتحويل ذلك كله إلى خطوط متصلة تخدم اليهودية العالمية وتحقق أهدافها ومن خلال ذلك يجرى إقناع الشعوب والأمم بالباطل بأن اليهودية منبع الأديان وقمة الحضارات والثقافات ، وترويج الزعم بأن كل ما تم من أعمال كبرى فى تاريخ كبناء الأهرام أو اختراع الاصطرلابات إنما كان بفضل رجالهم .

* * *

كما عملت اليهودية العالمية إلى « السيطرة على معامل الملابس والمساحيق والعطور وما سواها من مستلزمات (المودة)[1] . وهم بذلك يتوصلون إلى تحقيق الغرضين فيسيطرون على المال ويفسدون الدين والأخلاق . إنهم يعملون على بيع أكبر مقدار ممكن من الملابس ومنتجات الأزياء إلى نساء العالم ، فكلما غيروا الأنماط زادوا النساء شراء وإنفاقا وتسربت الأموال إلى جيوب اليهود وهم يحققون أيضاً قتل الأخلاق القومية للشعوب فيشيعون التفسخ وينشرون الشهوات .

وإن الملابس القصيرة ابتكار يهودى ، فقد رفعوا أزياء النساء فوق الركبة ليزول الحياء وتنتشر الرذيلة ويشيع الاختلاط غير البرىء بين الشبان والشابات وتضيع طهارة الفتاة وتنهزم الأسرة وتنتشر الأمراض الجنسية وينشأ جيل ضائع موبوء مريض » .

ويحاول بعض أدعياء التغريب وخدام الماسونية الادعاء بالفصل بين الأخلاق والملابس وهو عمل مضلل من حيث الرابطة القوية العميقة بينهما وأثر أحدهما فى الآخر .

---

(١) راجع كتاب عبد الله التل : خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية .

ويتصل بهذا العمل على إذاعة طوابع معينة فى الزينة وخاصة فيما يتعلق بتصفيف الشعر وإطالة السوالف ، وفى السيطرة على مودات الشعر للرجال والنساء ويستهدف تقليب هذه المودات وإطالتها وتقصيرها إلى تأكيد السيطرة اليهودية على الأزياء والملابس والزينات فى العالم كله ومن وراءها القدرة على تحريك المجموعات البشرية كلها نحو هدف واحد ، هو إزالة الفوارق بين الرجل والمرأة بما ينتهى إلى ترجيل المرأة وتأنيث الرجل .

* * *

الفصل الثانى

بروتوكولات صهيون

صور مترجم بروتوكولات صهيون مخططات اليهودية العالمية فى مجال الفكر والآداب فقال :

« حيثما ظهر مبدأ أودين أو مذهب علمى أو فلسفى هب اليهود ليكونوا من وراءه ويتصرفوا معه بما ينفعهم . وقد أفلحت الدعاية اليهودية فى طبع كثير من العقائد والنحل بما يحقق مصلحتها فنرى روح الولاء والتهليل لبنى إسرائيل ومقدساتهم تهيمن على بعض المقدسات المسيحية .

وما ظهر مذهب فكان مؤذناً إلى أن يسهم بالأذى لهم من قريب أو بعيد إلا قتلوه أو أولوه بما يفسده. وماكان مؤدياً إلى خير لهم روجوه فى كل أنحاء العالم .كذلك يروجون لكل قلم مادامت إثاره عن قصد أو غير قصد تساعد على إفساد الناس ورفع شأن اليهود كما فعلوا مع نيتشه الذى يتهجم على المسيحية وأخلاقها ويقسم الأخلاق قسمين : أخلاق سادة كالعنف والاستخفاف بالمبادىء وأخلاق عبيد كالرحمة والبر مما يتفق وروح اليهودية وتاريخها ، ويمهد لها فى الأذهان ويجعلها سابقة على نيتشه ، وكذلك روجوا لمذهب التطور وأولوه تأويلات ما خطرت لدارون واستخدموه فى القضاء على الأديان والقوميات والفنون باعتبار أن كل شىء بدأ ناقصاً شأنها يثير السخرية والاحتقار ، ثم تطور فلا قداسة إذن لدين ولا وطن ولا قانون ولافن ولا لمقدس من المقدسات وهم يعبثون بعلم الاقتصاد

والاجتماع وعلم مقارنة الأديان ويسخرونها لمصلحتهم وإفشاء الآداب والنظم والثقافات والعقول فى كل أنحاء العالم ويدسون فيها نظريات مبهرجة لا يفطن إلى زيفها إلا الموهوبون ذوو العقول المستقلة وهم وراء كل زى من أزياء الفكر والعقيدة والملابس والسلوك ما دام ينفعهم لا سيما إذا كان يفسد غيرهم إلى جانب ذلك[1] .

« ولن تفهم المدارس الحديثة فى أوربا ما تفهم هذه الحقيقة التى لا شك فيها وهى أن أصبعاً من الأصابع اليهودية كامنة وراء كل دعوة تستخف بالقيم الأخلاقية وترمى إلى هـــدم القواعد التى يقوم عليها مجتمع الإنسان فى جميع الأزمان[2] .

فاليهودى دوركيم وراء علم الاجتماع الذى يلحق نظام الأسرة بالأوضاع المصطنعة ويحاول أن يبطل آثارها فى تطور الفضائل والآداب واليهودى أو نصف اليهودى : « سارتر » وراء الوجودية التى نشأت معززة لكرامة الفرد فجنح بها إلى حيوانية تصيب الفرد والجماعة بآفات القنوط والانحلال .

« ومن الخير أن ندرس المذاهب الفكرية بل الأزياء الفكرية كلما شاع منها فى أوربا مذهب جديد ولكن من الشر أن تدرس بعناوينها وظواهرها دون ما وراءها من عوامل المصادفة العارفة ، أو التدبير المقصود . وقل مثل ذلك فى فرويد اليهودى الذى هو وراء علم النفس الذى يرجع كل الميول والآداب الدينية والخلقية والفنية والصوفية والأسرية إلى الغريزة الجنسية كى تبطل قداستها ويخجل الانسان منها ويزهده فيها ويسلب الانسان الايمان بسموها ما دامت راجعة إلى أدنى ما يرى فى نفسه . وبهذا تنحط فى نظره صلاته بأسرته ومجتمعه والكون وما وراءه .

---

(١) محمد خليفة التونسى .. (٢) عباس محمود العقاد .

« وقل مثل ذلك فى علم مقارنة الأديان التى يحاول اليهود بدراسة تطورها ومقارنة بعض أطوارها ببعض ومقارنة عملها فى غيرها أن تمحو قداستها وتظهر الأنبياء بمظهر الدجالين .

«وكذلك حركة الاستشراق التى تقوم على بعث الكتب القديمة فهى فى العربية تزحم مكاتبنا بأتفه الكتب التى لا تفيد علماً ولا تقوم خلقا ولا تهذب عقلا فكأنما تؤسس المكاتب لتكون متاحف لحفظ الموميات الخالية من الحياة والتى تغرى الإنسان لتفاهة محتوياتها وكثرتها وتفككها بالنفور منها إذا كان سليم الطبع والعقل أو التمسك بتفاهاتها فتورثه الغرور والعناء والكبرياء . وكذلك يروج اليهود لكل المعارف التافهة التى تتمثل فى المجلات والقصص والكتب التى تثير الشهوات وتهيج الجوانب السيئة من الغرائز وتحبب الرذائل وتنشر الانحلال »[1].

(٣)

يقول بارنت ليتفنتون فى كتابه [شعب غريب]: أن اليهود احتكروا تجارة الثقافة والأعلام وأنشأوا الصحف (نيويورك ورلد — نيويورك تيمس — واشنطون بوست) وزحفوا على المدارس والجامعات واحتكروا صناعة السينما (متروجولدين ماير ، وارنر ، براموت ، فوكس ، نيوفرسال ، كولومبيا) والتليفزيون .

ومن أهم صفات اليهود أنهم لايتركون هيئة أو مذهباً لايتسللون اليه ، ويتعصبون له كأنهم أصحابه . وهم الذين مزقوا ملابس الشباب تحت شعارات مختلفة : الوجودية ، الإباحة ، الحرية العارية وهم الذين يصدرون كل الصحف والمجلات العارية وهم الذين يسيطرون على تجارة الدعارة ويملكون ويديرون

---

(١) عباس محمود العقاد نقلا عن كتاب الخطر اليهودى للتونسى.

الكباريهات وهم الذين يسيطرون على تجارة النساء فى أمريكا وأوربا وهم الذين نشروا الخنافس فى أوربا وأمريكا وهم الذين اخترعوا ظاهرة الهيبز . والطبيب الذى أعاد تركيب حقن الهلوسة أستاذ جامعى يهودى وهو الذى أقام مستعمرات ومحطات لتدخين الحشيش وهم أصحاب القول : (من الذى قال أن أختك وأمك وابنتك حرام عليك) .

وقد اتجه اليهود بعد الحرب العالمية الثانية إلى كتابة تاريخ المسيحية وتأكيد أن الدين وليس التفكير الحر هو الذى جعل المسافة بين اليهود والمسيحيين عميقة . وظهرت أفلام تمجد اليهودى وكتباً ، وكثيرا مارأينا البطلة أو البطلة يقول :

لى الشرف أنى يهودية ، وكان الأدباء والشعراء أكثر وضوحا والحاحا فى المباهاة بأنهم يهود أمثال سالنجر ونورمان مايلر وبيلو وبالمود .

وعادت اليهودية إلى برج بابل مرة أخرى عدة ألوان وعقائد ومذاهب وتناقضات » .

(٤)

وأشار أحد الباحثين . . . إلى هذا المعنى فقال :

« ان جميع أنظمة الغرب التى كان لليهود أصبع فى وضعها أو تعديلها أو فى تفسيرها ونشرها . قد وضعت إما لمصلحة أصحاب رءوس الأموال أو لمصلحة طائفة أخرى من أهل القوة والتأثير أو الترويج لنزعة من النزعات التى يرتاح لها فريق ويسخط لها فريق . والنظام اليهودى قائم على تبادل المنفعة ، وافق هذا التبادل الفضيلة أم خالفها ، والحق عندهم هو الذى يمشى مع القانون ولاتعاقب عليه المحاكم ، أما النظام الاسلامى فهو قائم على مبدأ « الايثار المتقابل » .

(٥)

يكشف الفكر اليهودى : هدف اليهودية العالمية الماثل فى السيطرة على العالم عن طريق حصر المال والجنس والقوة والسياسة فى أيدى حفنة من اليهود وجعل هذه القوى الخاصة بين البشر وسائل تتحكم عن طريقهـــا الاجتماعية اليهودية من أجل تغيير تركيب العالم الاسلامى والاقتصادى والفكرى بما يتفق مع المخططات اليهودية .

ومن هنا كانت السيطرة على التراث الوثنى القديم والانطلاق منه إلى المذاهب المادية وقد استغل اليهود نقطة الاختلاف بين الحضارة الغربية وبين الديانة المسيحية فأوغلوا فيها ايغالا شديداً واتخذوها نقطة وثوب إلى غايتهم .

فأثاروا فكرة « الروح الأوربى » الوثنى الذى أفسدته المسيحية ورمته بالضعف حين دعت إلى الرحمة ، وجعلوا من سيطرة الكنيسة منطلقاً إلى الخروج عن الدين بعامة إلى المادية الخالصة ثم أنشأوا فكرة التعبد للرقى المادى :

ثم كانت الدعوة إلى كسر ضوابط الاخلاق ووصفه بالآداب القديمة ، ثم « أخذت الفضائل القديمة التى يؤيدها الدين تخلى مكانها بالتدريج للفضائل الغربية الجديدة التى تدعو إلى حرية فردية للجسد البشرى غير مقيدة »[١] .

* * *

(٦)

وهنا يبرز سؤال هام طالما شغل الباحثين : هل كان لليهود حضارة على مدى التاريخ وتجيب كل الدراسات المنصفة عن أن اليهود لم يكن لهم حضارة ولم يساهموا فى بناء الحضارات وإنما كانوا هادموها .

---

(١) عن نص العلامه محمد أسد

« وقد استغلوا دور الانحلال الذى تمر به الحضارة الأوربية فوجهوها لخدمة أغراضهم المعروفة فى السيطرة والتوسع » .

وأكدت مختلف المصادر على أن اليهود دخلوا هذه الحضارة عن طريق المال والربا والانحلال الخلقى وليس عن طريق المجهود العلمى بما يوصف بأنه « سرقة الحضارة الأوربية والسيطرة عليها » .

ولقد أثارت اليهودية العالمية عدداً من القضايا لخدمة أهدافها منها قضية العنصرية والأجناس .

والمعروف أن اليهود قد ساحوا فى الأرض منذ عام ٧٠ ميلادية بعد استقرار فى فلسطين لم يدم طويلا . ومنذ ذلك التاريخ إلى اليوم لم يبرز لهم فكر أو حضارة ، بل عاشوا فى صراع الزمن ، ومن وراء كل الدعوات الهدامة .

ولقد ارتبطت الحضارات كلها بالأديان وبالقيم الإنسانية العليا وبالأخلاق أما اليهود فقد عاشوا يحملون كل الفكر القديم المتصل بالتعصب والعنصرية ، والاباحة والسحر ، ليعيدوا صياغته من جديد ويطرحوه فى أفكار الأمم لتدميرها .

ومن أخطر مفاهيمهم أنه لاحياة أخرى بعد الموت ، « وليس فى تعاليمهم الدينية ولاشريعتهم ذكر للروح ولا اعتراف بحياة أخرى بعد الموت ، ولم يرد فى دينهم شىء عن الخلود وهم يؤمنون بالإله يهوه وهو إله خاص بهم وحدهم دون الآخرين . وهكذا تطغى المادية على عقيدتهم طغيانا عجيباً » [1].

وهم حملة الدعوة إلى المتعة واللذة فى حياة ليس بعدها جزاء ، يقولون :

---

(١) العربى — ١٠٩ (ديسمبر ١٩٦٧)

ليس للانسان خير من أيد يأكل ويشرب وليس من جزاء بعد أن مات ونسى ذكره ، أن من الجنون أن تضحى بالساعة الراهنة فى سبيل أوهام باطلة .

* * *

وإلى جوار الإباحة تأتى الدعوة إلى العلمانيـة واقصاء الدين عن السياسة والاجتماع والاقتصاد . ذلك لأن ربط الدين بالمجتمع يحطم هدفين من أهدافهم .

(الأول) : وضوح الفارق بين اليهود وغيرهم من الأمم ذات الأديان .

(الثانى) : اسقاط نظام الربا الذى هو عصب فكرهم وحياتهم .

ومن هنا كانت دعوتهم إلى اعلاء دعوة العنصرية والأجناس واحلال الجغرافيا والاقتصاد محل الدين فى تكوين الجماعات .

يقول دكتور الفاروقى : علينا أن نذكر أن تحرر اليهود لم يأت إلا نتيجة لنمو العلمانية فى التنظيم السياسى الاجتماعى إذ أن اقصاء الدين عن السياسة والاجتماع والاقتصاد أدى الى اعتبار المنفعة العامة والانتاج والخبرة والأهلية كأساس لجميع المعاملات والتنظيمات . ومن هنا جاء قبول اليهود على أساس كفاءتهم الشخصية وتماسك أفراد الأمة الواحدة بما فيهم اليهود لا على أساس الدين بل على أساس وجودهم فى الوطن .

* * *

ومعنى هذا أنهم حققوا ذلك التحول فى الفكر الأوربى من أجل أهدافهم فهم الذين فرضوا على الفكر الغربى إقامة حواجز عالية بين مفاهيمه وقيمه : ووضع دوائر بين المعاملة والأخلاق الشخصية والدين والاقتصاد والسياسة والاجتماع يؤلف كل منها على حد تعبير الدكتور الفاروقى « ملكوتا مستقلا » فالويل إذا سمح الغربى لمبادىء الدين أن تتعدى حدودها للتأثير فى الاقتصاد.

يقول الدكتور الفاروقى : الواقع أن العلمانية ليست سوى الاعتراف بأن ليس هناك مبدأ عام يشمل حياة الناس بكاملها كما هو الحال فى النظرة الدينية فأصبح لكل دائرة من دوائر الحياة ميدانه الخاص »[1] .

(٧)

تصدر لصياغة الفلسفة اليهودية التى عرفتها الآداب والدراسات الحديثة عدد من رجال المحافل الماسونية وفريق من كتاب اليهود : وأبرزهم ماركس وفرويد ودوركايم .

ماركس الذى قال أن الدين أفيون الشعوب وأنه مجموعة من الأساطير إبتدعها الاقطاعيون والرأسماليون لتخدير الجماهير الكادحة .

وفرويد الذى قال أن الدين ناشىء عن الكبت .

ودوركايم الذى قال أن الدين ليس فطرة .

ويرى كثير من الباحثين أنه كان من المستطاع أن تشق الفلسفة طريقها حتى تصل الى العلم من ناحية والى الدين من ناحية أخرى ، ولكن تداخلات الصهيونية واليهود منذ أسينوزا حالت دون ذلك وحولت دفة الفلسفة الى المادية والالحاد .

ويقول بوكهارت : أن الأدب العالمى قد يكون مدنيـــاً لبعض كتاب اليهود ولكن شرهم أكثر من نفعهم واثمهم أكثر من خيرهم ، فان (هينه) أفسد أخلاق باريس (ونوردو) حلل المبادىء والنظم التى تدعم المدنية وأكد فسادها وتعفنها و (اوزوالد) أنذرنا بقرب زوال الحضارة أما (فرويد) فقد خاق الاباحية الحديثة على نمط الوثنية الاغريقية ، وجد الغريزه بحيث

---

(١) الملل المعاصرة فى الدين اليهودى .

أطلق عنان الشهوات البشرية ورخص الرجل والمرأة أن يفعلا بجسدهما ماشاء الشبق الكامن فى حنايا ضلوعها . فالتهتك الجنسى لاحد له فى رأيه والولد يغار على أمه من أبيه ويود لو يموت الوالد ليحل محل مركب أوديب أما الأحلام فلا تفسير لها الا الاغتلام وعلاقة الجنس و (توماس مان) برد عشق الذكور فى روايته (الموت فى البندقية) ووصف مرضى الصدر حيوانات متعاشقة تتخذ من يأس الشفاء عذراً للتسافد مصحات الجبال مواخير للمرضى تحت مراقبة الأطباء الذين لا يملكون منعهم .

* * *

(٨)

وفى أحضان الماسونية ونفوذ الصهيونية نشأت مختلف الأعمال التى وجهت حركة الإلحاد باسم الفكر الحر وما انتشر على يد البارون دى هو لباخ فى كتابه (System of nature)

الذى أنكر فيه وجود الله وخلود الروح .

وقد أجمعت النظريات الفكرية التى قادها : ومارکس وفرويد ودوركايم وسارتر ولورنس على أن الإنسان حيوان وأنه لاغاية لوجوده ولاهدف ولذلك فلا معنى للحياة الإنسانية ولا المثل العليا الإنسانية . وأن الحياة تخبط خبط عشواء فى تطورها بما فى ذلك الإنسان وأن الحياة وهم باطل ليس فيها إلا المتاع والجنس .

ويشير كلمان دوبايكس : فى كتابه (حرب اليهود فى العالم) إلى دور اليهود فى العمل على « تفكك الأخلاق بتسهيل سبل الشهوات فى المصايف وملاعب القمار والملاهى وصنع أشرطة الصور المتحركة المحـــركة للشهوات المنحطة والحث على الجرائم واللذات البهيمة . واختراع أنواع الرقص الخليع بأنواعه .

الشارلستون والكاريوكا واعداد المغانى والغوانى والقيان والقنانى للراغبين وابداع مسابقات الجمال والإتجار بها واختيار ملكات المحاسن فى الشرق والغرب وعبادة المادة فى كل شىء ، ونشر صحف المجون والفسوق مثل جاذبية الجنسين ومالايجوز تلاوته إلا بين عاشقين .

وهم الذين نشروا المجلات العارية ومافيها من التصاوير التى هى أقبح وأخطر من الكتب المحظورة على أذهان الشبيبة ونشر الصحف الكاشفة القناع عن أسرار الجرائم تحت ستار التحقيق الجنائى وماهى إلا تحريض خفى لاقترانها بطريقة الإيحاء التى يجيد اليهود توجيهها نحو الجماعات والأفراد بفضل شيخ الطريقة المضللة : فرويد »

ويقول : دلت التجارب الإقتصادية والإجتماعية على أن البلاد التى ازدهر فيها الربا فقدت التعاطف والتراحم من بينها وحلت القسوة منها محل الحنان والعدل . ويرى أن الحضارة الأوربية قد صيغت بألوان النفسية اليهودية ففشت فيها الأطماع المادية حتى صاروا لا هم لهم إلا جمع المال .

الفصل الثالث

معارضة الأديان

تعد ظاهرة « معارضة الأديان » من أبرز ظواهر الفكر خلال مرحلة التطور الخطيرة التى بدأت بعصر التنوير والتى امتدت إلى العصر الحاضر وفرضت وجودها على التيارات المختلفة للاجتماع والسياسة والأخلاق والتربية والاقتصاد .

وقد انطلقت ظاهرة معارضة الأديان من موقف الكنيسة والمسيحية الغربية إزاء النهضة وإزاء الكشوف العلمية ، غير أن هذا الاتجاه إنما كان فى مصدره الحقيقى راجع إلى عبور الفكر الإسلامى إلى أوربا والغرب ، هذا الفكر الذى صنع حركة الإصلاح الدينى وقدم المنهج العلمى التجريبى الذى قامت على أساسه النهضة العلمية .

ولقد كان فى الإمكان أن يتحرر الفكر الأوربى من جموده وانحرافه لو أنه سار فى طريقه الصحيح ، ملتمساً الضوء الكاشف من الإسلام ، غير أن محاولات ضخمة وبعيدة المدى قامت من أجل الحيلولة بين الفكر الغربى المسيحى وبين هذا الاتجاه ورده مرة أخرى إلى الفكر اليونانى الوثنى ودفعه إلى معارضة الدين المسيحى معارضة شديدة ، والتنكر للمنطلق الإسلامى للفكر الغربى وإقامة المنهج العلمى على أساس الفصل الكامل بين المقررات العلمية المحضة وبين الأصول الأخلاقية والفكرية التى ترتبط معها .

وبذلك تحرر الفكر الغربى من الانتماء الإسلامى ثم مضى يعارض

الدين معارضة كاملة ، ويعلى من شأن الطبيعـــة وقدرة العقل وعظمة الإنســان .

ومن الحق أن يقال أن دور الكنيسة والمسيحية الغربية كان بعيد الأثر فى خلق هذه المعارضة وأن الحملات التى وجهت إلى «الدين» التى كانت تستهدف ديناً واحداً ، ليس هو الدين السماوى المنزل على المسيح عيسى بن مريم ولكنها المسيحية الغربية التى صاغها بولس وأعطتها الكنيسة ذلك الطابع الواضح من الأسرار والقداسة .

ولقد كان هدف اليهودية العالمية بتحريك هذه القضية على هذا النحو هو معارضة المسيحيـــة وإقصائها من مكان النفوذ والسيطرة فى مجالات السياسة والاجتماع وإفساح الطريق أمام مفاهيم الوثنية واليونانية والغنوصية الشرقية وكل مفاهيم بابل وأشور والمجوسيـة والمزدكية والمانوية واحيائها من جديد وصياغتها على نحو أو آخر بما يمهد لسيطرة الفكر اليهودى الذى رسمته الفلسفة الماسونية والصهيونية .

ثم نقلت هذه المفاهيم فى معارضة الأديان ونقدها إلى اللغة العربية لضرب الفكر الإسلامى وإثارة الشبهات فيه ، بحسبانه ديناً ، وقد استطاعت هـذه الشبهات أن تؤثر فى الكثيرين ممن كانوا قد غفلوا عن حقيقة الإسلام الذى يختلف فى أصالة مصادره وفى تكامل مفاهيمه ديناً ، ومنهجاً حياة عن ذلك النموذج الذى عرفته أوروبا والغرب عن المسيحية فكان مصدراً من مصادر الحملة على الأديان عامة (فضلا عن أن هذه الحملة على الأديان من أبرز أهـداف الصهيونية العالمية) ذلك أن المفاهيم التى طرحتها المسيحية الغربية عن التثليث وعن العزوف عن الدنيا والرهبانية وماضمته الكتب المقدسة من معلومات عن الجغرافيا والتاريخ واختلفت فيه عما كشفت عنه العلوم ، كل هذا كان فى الحق مصدر هذه الحملة الضارية التى شنها أمثال نيتشه ، ورينان وإن كانت تشوبها فى الحقيقة

ريح تحامل تغرى إلى مخططات اليهودية العالمية ، التى تعارض المسيحية معارضة شديدة وتكشف عن ضغنها بعبارات قاسية (راجع بروتوكولات صهيون) .

آراء نيتشه

فقد دعا نيتشه إلى « نقض المسيحية، لأنها تقول بالرحمة والتعاون والإخاء البشرى وحماية الضعيف ووصفها بالسلبية وقال إن أخلاق المسيحية تعارض بقاء الأقوياء والصقور ، وتصدم عن حقهم الذى تنطق به الطبيعة ، وهو أن الصقر يجب أن يأكل العصفور ، وأن على الإنسان ألا يتقيد بالأخلاق المسيحية لأنها أخلاق الأذلاء . وأن المسيحية حين جاءت استبدلت بالرجولة والبطولة ضعفاً مزرياً نرى نتائجه فى شعوب أوربا الحاضرة » .

* * *

ويصور نيشه مفاهيمه على هذا النحو :

كانت الآداب فى أوربا قبل المسيحية ناشئة عن غرائز طبقة الأقوياء فجاءت المسيحية وقلبتها وجندت الضعف بجميع ضروبه ، والمسيحية نشأت بين اليهود فعبرت عن غريزة البقاء فيهم ومثلت أنانيتهم ، وهم إذ ذاك أمة ضعيفة مقهورة مغصوبة مهانة فكان حتما على النبى الذى يظهر بينها أن يجند كل ما من شأنه أن يعين أفرادها على الحياة والبقاء .

« لقد جعلوا من العجز وعدم استطاعة أخذ الثأر حياة فاضلة وجعلوا من الذلة والخور تواضعاً ومن الخضوع لأولئك الذين يكرههم الإنسان طاعة ووضعوا هذا الكلام على لسان الله . فأصبح حتى الضعيف وقناعته وجبنه ووقوفه على الأبواب ذليلا — كل ذلك فضائل — والعجز عن الثأر يسمى عندهم تسامحاً .

« قال البعض أن اليهود ثأروا من أوربا المسيحية وقد صدق فى ذلك فان المسيحية وهى من بنات أفكارهم قد حمتهم من ظلم الحكام وجور الأحكام حتى انتشروا فى جميع البلدان المسيحية وتسودوا عليها وملكوا ناصيتها وقبضوا أموالها ، ولو بقيت الآداب الرومانية أو اليونانية عائشة للآن تعمل على إبادة الضعف ونشر آداب العظامين والأقوياء لفنى اليهود من العالم .

« فالمسيحية أفادت اليهود ولكنها أضرت الأوربيين ولا عبرة بالاضطهادات والمذابح المنقطعة التى كان يفاجئهم بها المسيحيون من وقت لآخر فانها صغيرة تافهة لا أهمية لها بجانب الاضطهاد الصحيح المتواصل الذى تفعله الآداب المغايرة المنافية لمصلحة أمة من الأمم فان الأوربيين أفنوا بآدابهم سكان الهند الأصلية » .

* * *

ويصور ياسبرز فى كتابه عن نيتشه موقفه من المسيحية فيقول :

يرى نيتشه أن المسيحية عدو العلم إذ أنها تركز على الواقع الذى يصدر العلم عنه ويرى أن الإيمان المسيحى معارض للعالم خاصة لعلمى التفسير والطب اللذين يمكن بواسطتهما القضاء على كل الخرافات فى النصوص الدينية .

ويقول نيتشه : إن المسيحية استخدمت فى سبيل دعوتها وسائل غواية أكثر منها وسائل لنشر الدعوة « إذ أنها ترفض كل ما يمكن أن يثير المقاومة مثل العقل والفلسفة والحكمة والشك وتصر إصراراً عنيداً على أن العقيدة من عند الله ، وأنه لا مجال إذن للنقد أو للفحص ، بل للتسليم والاعتقاد وتثبيت روح التعصب والغرور لدى الفقراء وتصفهم بأنهم (حس الأرض وملحها) على ما يقول الإنجيل وتتعامل مع المتناقضات وكل ما يثير الغربة والدهشة وتمجد الاضطهاد وخدمة الآخرين . والعجيب أن الأقوياء قد تمثلوا أيضاً هذه القيم لأنها تصلح لكل مظاهر الجبن ولكل مظاهر الغرور على السواء ، يجد فيها الضعيف التعويض والسكينة ويجد فيها القوى الغلبة والسلطان وبه يصارعها

الضعيف إن أرادت الإبقاء على حالته ويصارعها القوى إذا أرادت الحد من قوته » .

ومن هذه النصوص وغيرها يكشف نيتشه عن طابع الأوربى الوثنى العريق الذى رأى فى الأخلاق المسيحية معارضة لمزاج أمته . وهذا هو الخط الذى ركزت عليه اليهودية العالمية فى الحملة على المسيحية ومنه جاءت منطلقات العنصرية وإعلاء الجنس الأبيض وإعلاء الجنس الآرى .

ويتسم فكر نيتشة بكل مقومات الفكر الإغريقى الوثنى من الفردية والأنانية والعبودية وانكار القيم الأخلاقية التى جاءت بها الأديان عامة .

وقد اختار فليسوفاً وثنياً غالياً هو زرادشت فتحدث باسمه ومن خلال مفاهيمه . ومن مفاهيمه عمق ذلك التيار الذى غذته اليهودية العالمية من بعد .

يقول الدكتور أحمد زكى : أن نيتشه نظر فى أسباب الجمود والهمود فعلم أنه جمود قديم منذ كانت المسيحية وإن قيم الأشياء التى سنتها المسيحية هى السبب فى وقف التقدم ، ورأى أن معانى المسيحية فى مجال الخير والحق والجمال سبباً للضعف والضعف ليس سبيل الرقى وقال أنها معان كواذب لا تمت الى طبيعة الإنسان بسبب . وقال (أى نيتشه) أن معايير المسيحية معايير يهودية أوجدها اليهود لما ضعفوا .

والرأى عند نيتشه أنها هذه (اليهودية السامية) هى التى نشرها الدين المسيحى فى الأرض وقام عليها قساوسته بالدعاية كما يقوم دعاة السياسة ، فساد الضعف والخذلان وتراجع الإنسان عن غايته الكبرى .

وقال أحمد زكى : أن نيتشة استمد فلسفته من الإغريق وفق المبدأ الدروينى الحديث .

* * *

ويقف نيتشه على رأس المنطلق الجديد الذى اتجه اليه الفكر الغربى فى ردته الى الإغريقية وانفصاله عن المسيحية ومقاومته للدين بعامة .

ولعلى أقسى ما سجلته الأبحاث عن نيتشه هو قوله بموت الاله غير أن حملة نيتشه فى جملتها كانت موجهة الى مفاهيم واضحة : هى مفاهيم المسيحية التى شوهها الغرب عن أصلها الأصيل وأن الحملة على الرهبنة والبعد عن الدنيا هو حملة على أشياء أضيفت الى الدين الحق . ولم تكن منه أصلا .

وأن هـذا هو مادفع نيتشه وغيره الى الانتقال الى مفاهيم المجوسية وغيرها .

آراء رينان

ويمضى أرنست رينان فى نفس الطريق : ويشير تاريخ حياته الى أن الشك اشتد فى نفسه للمسيحية نتيجة عناصر ثلاث : الأخلاق واللاهوت (العقيدة وأسرار المسيحية) والعنصر التاريخى فى نشأة المسيح وحياته ومن ثم دعا الى إله جديد : هو العلم .

وقد آثر مذهب الدهريين : وقدس الطبيعة فى جميع مظاهرها . كما آمن بوحدة الوجود .

ويعرض كامل محمود حبيب مصوراً أثر كتابه عن حياة المسيح فيقول :

ظهر كتابه فأجج ثورة جامحة كانت هى حدثاً من الأحداث التاريخية فى عالم الأدب والفلسفة فى القرن الثامن عشر فقد رأى صدى خبره فى أرجاء العالم المسيحى .

لأن المفكرين من ذوى العقول الحرة الجريئة كانوا قد راحوا يتهدمون على رجال الكنيسة ويدفعون سيلا جارفاً من النقد الصارم على ما كان يحترمه

رجال الدين فى ذلك الوقت ودوت المسيحية من كل مكان فانقلب رينان من كرسيه فى كوليج دى فرانس بتهمة الإلحاد والكفر .

وقال: ان أبحاثه مازالت تتصل بسبب المأساة الروحية التى نزعته من العقيدة الكاثوليكية وبمذهب الدهريين الذى صبا اليه بما يكتب عن تاريخ الاسرائيليين والمسيحيين .

آراء فولتــــير

أما فولتير فقد كانت مفاهيمه ترجمة كاملة لمفاهيم الماسونية وفلسفتها ، فقد كان يقول إن الديانات عدوة للإنسانية لأنها سبب الاضطهاد وسفك الدماء وإنها مخالفة للعقل لأن فيها أسراراً لا يستطيع العقل أن يفهمها ، وثالثاً لأن الديانات عنده ديمقراطيــــة وهى من خصائص الطبقات المنحطة ولا تتصل بالطبقات العليا .

(٢)

قام الصراع بين المسيحية واليهودية فى أوربا وكان الفكر الغربى مسرح هذا الصراع . وهو صراع بين نقيضين . فالمسيحية تدعو إلى الأخلاق الرهبانية واليهودية تدعو إلى إزالة كل قيد على الحرية البشرية وتدعو إلى حب الحياة والاستمتاع بها ، والمسيحية تحرم الربا واليهود يقومون بتجارة المال والمسيحية تدعو إلى الزهد واليهود يدعون إلى امتلاك مطامع الدنيا .

وقد حملت اليهودية حملات صارخة على المسيحية فى محاولة للسيطرة عليها من طريق طرح المذهب المادى كأساس للفكر الغربى ، ومنه انطلقت الدعوات المختلفة والأيدلوجيات المتعددة كاللبرالية والاشتراكية فى الاجتماع والفرويدية والوجودية فى الأخلاق والنفس والعلمانية فى الفصل بين الدين والتربية ، واستهدفت هذه المذاهب جميعاً تحويل الفكر الغربى والمجتمع الغربى عن طابعه المسيحى والقضاء على الجوانب الروحية والأخلاقية التى شكلتها المسيحية والحضارة الغربية .

وكذلك شجب مفاهيم الإخاء الإنسانى بخلق مفهوم العنصرية والقوميات والأقليات المتصارعة .

وقد بلغ ذلك غايته على نحو وصفه دكتور أمير بقطر فى دقة حين قال :

« ضاعت من نفوس الكثيرين الثقة بما يسمونه فى أوربا وأمريكا الخلق المسيحى فقد انهار هذا الخلق فى كثير من البلدان » .

وحتى قال دكتور وليم سليمان : إن الدين فى نظر الغربيين لم تعد له قيمة فى ذاته وإنه شىء يمكن الاستفادة منه لتحقيق الأهداف الدنيوية التى ينشدها الغرب فى شتى أنحاء العالم . وقال : فى الغرب استطاع اليهود أن يحرفوا المسيحية، وانتشر تيار فكرى يجعل نقطة بدايته « موت الإله » وينادى بمسيحية لا دين فيها ، وينادى بهذه الأفكار (بنهوفر وبلمان والأسقف الانجليزى جون روبنسون) ويصف هذا الاتجاه بقوله : « المسيحية انتحرت فى أوربا » نتيجة انضواء رجال الكهنوت تحت راية الصهيونية وتسابق شتى الكنائس لإرضاء إسرائيل وتملق اليهود[1] .

ويقول الدكتور اسحق موسى الحسينى . لقـــد آزرت المسيحية الغربية (ولا سيما طوائف البروتستانت والفرق المسيحية المشهورة كالسبتيين وشهود يهوا) إسرائيل مؤازرة المستميت .

* * *

ومن الحق أن يقال أن اليهودية العالمية عملت على تحطيم المسيحية أولا وآخراً . أولا عن طريق هدم المسيحية من الداخل على يد القديس بولس والثانية عن طريق بناء الحضـــارة والفكر على أساس لا دينى ، على أساس حيوانية الإنسان وفصل الدين عن كل عناصر الفكر والحيـاة وتمثل

---

(١) كتاب وليم سليمان :

بروتوكولات صهيون موقف العداء الصريح لليهود من الحضارة المسيحية الغربية وكيفية احتوائها .

ويقول إميل الخورى فى كتابه مؤامرة اليهود على المسيحية : إن اليهودية قد وجهت عنايتها إلى القدح والذم وتلطيخ المسيحية بأقبح الصور ثم أخذت تحارب المسيحية بالمذاهب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التى تهدم الروح المسيحية والمبادىء القومية وتقوض أركان الدول المسيحية فيتحقق لها غرضها بصورة غير مباشرة دون أن تصطدم بها وجهاً لوجه ، وقد نجحت اليهودية بهذه الخطة إلى حد بعيد .

نقـــد التوراة

وفى الوجه المقابل : اتجه الباحثون المسيحيون إلى نقد التوراة التى هى المصدر القائم لديانة اليهود وكشف الكثيرون عن التعارض الواضح بين العهد القديم والعهد الجديد ، وكيف أن النصوص تدل بوضوح عن إلهين مختلفين : إله اليهود إله الحرب "وإله النصارى (الآب والإبن والروح القدس) كما تكشف عن طابع العهد القديم فى العنصرية الغالبة ، كما كشف الكثيرون عن دخائل العهد الجديد بعد تسلط بولس والفلسفة اليونانية على المسيحية .

ولقد استطاعت اليهودية العالمية أن تكسب كثيراً من مفكرى المسيحيين إلى صف العهد القديم وإلى مجال فكرها وخاصة رجال إرساليات التبشير البروتستانتى ، ومن أبرز هؤلاء دكتور أنيس فريحه الذى عقد مقارنة بين الإله فى اليهودية والمسيحية .

وقد دمغ الكتاب المسيحيون العهد القديم (التوراة) الموجودة فى الأيدى الآن بأنه لا يعرف من كتبها أول مرة ولا الزمن الذى كتبت فيه .

كما اتجه النظر فى القرنين الأخيرين إلى اعتبارها نصاً أدبياً يجرى نقده نقداً لفظياً كما قام رجال اللاهوت والدين المقارن بنقدها نقداً معنوياً ، وقد

أثبت النقد اكتشاف كثير من الأغلاط والتغيير والتحريف كما تبين أن هوامش المعلقين كانت تحشر أحياناً فى المتن .

يقول الدكتور فريحه : إنه نتيجة للدراسات النقدية للتوراة أن أخذ الإنسان فى اعادة النظر فى الدين . وإن التوراة لم تعد فى نظرهم كتاب علم وتشريع ، بل ترك العلم والتشريع للإنسان فتخلص الإنسان من تقديس الحرف وقد جاء هذا الانصراف عن التوراة ونقدها نتيجة « التناقض الواضح بين ما أثبته العلم وما جاء فى التوراة » .

ذلك أنه عندما اتجهت أنظار الأوربيين إلى الأدب الإغريقى والرومانى ظهر رد فعل ضد الكنيسة وبالتالى ضد اليهود واليهودية على أساس أن المسيحية قامت على اليهودية .

ويقول إن الدراسات النقدية للتوراة : تقدمت للدفاع عن اليهود وتراثهم من ناحية ولدحضه وهدمه من ناحية أخرى .

وقال إن العوامل التى مهدت لدراسة التوراة هى تقدم العلوم وتطور أساليب النقد والعداء ضد اليهود وفلسفتهم .

وأشار إلى أن سفر نشيد الإنشاد هو قصة غرامية عنيفة بطلها راع يخطف فتاته لترسل إلى قصر الملك : وهو رمز لزواج يهوه من شعبه إسرائيل ، وعند ظهور المسيحية غيروا الرمز إلى زواج المسيح من كنيسته .

أما المزامير فهى مجموعة من الشعر الدينى العميق العاطفة ينسبونها إلى داود وقد اعتبرت دراسات كثيرة ، التوراة كتاب أدب ، وإنها دراما بطلها يهوه .

وقد أذاع اليهود فى العالم كله دراسات تقول إن التوراة كانت مستوحى كتاب العالم وإن توماس مان وملتون وجوته وكبلنج وفكتور هيجو قد تأثروا بالتوراة .

(٣)

ولعل أخطر ما يتصل بخطة اليهودية العالمية نحو التوراة هو ما ركزت عليه منذ القرن الماضى فى ترجمتها إلى مختلف لغات العالم وخاصة ترجمتها إلى اللغة العربية.

وقد أعلن عام ١٩٠٨ أن التوراة ترجمت إلى أربعمائة لغة ويعدون النسخ التى وزعت فى نحو ٣٠ مليون نسخة .

وقد جرى ترجمتها إلى العربية من مصدرين: مصدر الإرساليات الأمريكية واليسوعية .

وقد كونت التوراة مدرسة فى الأدب العربى قام على رأسها ميخائيل نعيمه وجبران خليل جبران ، وقد حاولا نقل نصوص فى كتاباتهما من المزامير وسفر الجامعة وسفر أيوب ونشيد الإنشاد .

وقد حاول إبراهيم اليازجى أن يضع الترجمة العربية فى أسلوب عربى فصيح ، فعارضه رجال الإرساليات الذين حرصوا على وضع الترجمة فى أسلوب عامى .

ولم يكن للتوراة أثر فى الأدب العربى ، فقد غلبت عليها لغة القرآن وطوابعه فلم تلبث هذه المحاولة أن انطوت .

خاتمــة

ثلاث أخطار تواجه أصالة الفكر الإسلامي المستمد من القرآن :

١ — تفسيره فلسفياً .

٢ — تفسيره صوفياً .

٣ — تفسيره عقلياً .

ذلك إن للإسلام منطلقه الخاص، وذاتيته المطبوعة بطابع الفطرة والتوحيد المستمد من القرآن الكريم أساساً ومنهجاً وأسلوباً للعرض والتفسير ، فإذا أريد إخضاعه لمنهج آخر غير منهجه فقد ذاتيته ، وقد جرت محاولات كثيرة لإخضاعه ولكنه كان قادراً دائماً - على مقاومة التبعية والتماس الأصالة والعودة إلى المنابع .

ولا ريب أن أبرز الأخطاء التي يقع فيها الباحثون هو الخلط بين مفهوم الفكر البشري وبين مفهوم الإسلام أو الجمع بينهما .

وكل المحاولات التي جرت للمزج بينهما أو الموائمة محاولة باطلة أساساً ولم تستطع أن تحقق على أيدي الجهابذة أي نتيجة ما ، وكل محاولة اليوم للربط بين الفكر البشري وبين الإسلام باطلة وخاطئة ولا تحقق شيئاً إلا مزيداً من الوقوف في التيه والاضطراب زمناً آخر .

ذلك إن عناصر الفكر البشري ومداخله وأصوله تختلف اختلافاً واضحاً عن عناصر الإسلام ومداخله وأصوله . ولذلك فإن محاولة إجراء التركيب بينها عسير ومستحيل وليس علمياً على الاطلاق .

والمعروف أن عمليات التركيب والموائمة انما تكون بين عنصرين من أصل واحد ، أو بين نوعين يلتقيان فى جذر واحد ، أما اذا كانا مختلفين متباينين فإن أحدهما لا بد أن يسقط ضحية الآخر ويفنى فيه ، ويخضع له خضوعاً كاملا ، ومن ثم تزول عنه ملامحه وطوابعه وذاتيته ثم يندمج اندماجاً كلياً وينصهر انصهاراً كاملا .

أما الإسلام فإنه من المستحيل أن يندمج أو ينصهر ، فإن طبيعة تركيبه وذاتيته الخاصة وطوابعه المميزة وأصالته من حيث ارتباطه بالفطرة والتماسه للمعنى الإنسانى وارتباطه بالله الواحد الأحد ، كل ذلك يجعل من الطبيعى على الفكر البشرى الذى صنعه الإنسان أن يذعن له اذا شاء التماس الحقيقة .

وما يزال الفكر البشرى منذ أن انفصل عن الحقائق الأصيلة التى جاءت بها أديان السماء يتخبط ويضطرب ويذهب المذاهب وينشىء الأيدلوجيات محاولا إيجاد بدائل من صناعة العقل البشرى وهو فى العصر الحديث وفى خلال أربعة قرون ومن خلال محاولات عديدة ، قد بدا عاجزاً عن تحقيق شىء ما بل يمكن القول أنه انحرف عن الغاية انحرافاً كبيراً ، وإنه اتجه تحت ضغط قوى ذات نفوذ قد اتجه وجهة مادية تكاد تسيطر على كل مفاهيمه ودوافعه وتحيله فكراً وثنياً خالصاً بعيداً كل البعد عن مفاهيم الفطرة والانسانية والتى تقوم أساساً على الايمان بالله .

* * *

وقد كشفت هذه الدراسة موقف الاسلام وتفسيره للفكر البشرى فى مرحلة ما قبل الاسلام وما بعده حتى استشرقت العصر الحديث الذى كان لا بد أن تقوم عليه دراسة خاصة تتناول الفلسفات والأيدلوجيات والمذاهب والدعوات الحديثة وتعرض لها فى ضوء الاسلام .

وهذا هو موضوع الحلقه التاليه : باذن الله ؟

أنور الجندى

آفاق البحث

صفحة

مدخل إلى البحث ٣

الكتاب الأول : ما قبل الاسلام :

الباب الأول : ما قبل الإسلام ١٩

الباب الثانى : الفكر اليهودى ٣١

(١) أصول الفكر اليهودى ٣٣

(٢) تزييف التوراة ٣٥

(٣) عناصر التحريف ٤٣

الباب الثالث : الفلسفة اليونانية ٥١

الفصل الأول : أصول الفلسفة اليونانية . . . ٥١

الفصل الثانى : محاذير الترجمة وأخطارها . . . ٥٥

الفصل الثالث : حقيقة دور اليونان ٦٣

الفصل الرابع : المدرسة الفلسفية الإسلامية . . ٦٥

الفصل الخامس : مواجهة الفلسفة اليونانية . . . ٧٠

الفصل السادس : وجوه التعارض بين الفلسفة والفكر الإسلامى ٨١

الفصل السابع : منطلق الفكر الإسلامى . . . ٨٥

الفصل الثامن : المسلمين ميتافيزيقاهم . . . ٨٨

الفصل التاسع : منهج البحث الإسلامى التجريبى . . ٩٠

الفصل العاشر : ما قدمه الاسلام : الحكمة وليس الفلسفة . ٩٥

الفصل الحادى عشر : بين الاسلام والهلينية . . . ٩٨

الفصل الثانى عشر : كلمة الفصل فى الفلسفة اليونانية . . ١٠١

الباب الرابع : الفلسفة الغنوصية ١٠٩

الفصل الأول : أصول الفلسفة الغنوصية . . . ١٠٩

الفصل الثانى : أثر الغنوصية فى العقيدة والشريعة . . ١٧٦

(١) الباطنية ١١٦

(٢) اخوان الصفا ١٢٠

(٣) القرامطة ١٢٨

الفصل الثالث : أثر الغنوصية فى التصوف . . ١٣٠

(١) وحدة الوجود ١٣٣

(٢) الاتحاد ١٣٦

صفحة

(٣) الحلول ١٣٧
(٤) الاشراق ١٣٩
الفصل الرابع : مواجهة الفلسفة الغنوصية . . ١٤١
الفصل الخامس : حركة الانتقاض والمؤامرة على الاسلام . ١٥٢
لحق (١) الغنوص فى العقيدة والشريعة ١٦٣
(٢) فى التصوف ١٦٧
(٣) مصادر الغنوصية ١٧٣
الباب الخامس : الفلسفه الغربية المسيحية ١٧٧
الفصل الأول : أصولها ١٧٧
الفصل الثانى : مسيحية بولس ١٨٠
الفصل الثالث : المسيحية والدولة الرومانية . . ١٨٧
الفصل الرابع : تداخل المفاهيم وانحراف التفسيرات . ١٩٣
الفصل الخامس : الأناجيل ٢٠١
الفصل السادس : الكنيسة ٢٠٦
الفصل السابع : الرهبانية ٢١٢
الباب السادس : الوثنية العربية ٢١٩
الكتاب الثانى : ما بعد الاسلام . . . . . .
الباب الأول : ما بعد الإسلام :
الفصل الأول : ما بعد الاسلام ٢٣١
الفصل الثانى : اليهودية فى إطار الفلسفات . . . ٢٤١
الفصل الثالث : عصر النهضة ٢٤٥
الفصل الرابع : ضوء الاسلام فى الفكر الغربى . . ٢٥١
الباب الثانى : عصر التنوير :
الفصل الأول : عصر التنوير : ٢٥٧
الفصل الثانى : المفاهيم الماسونية ثمرة عصر التنوير . ٢٦٦
الفصل الثالث : أصول الماسونية ٢٧١
الفصل الرابع : الثورة الفرنسية ٢٨١
الفصل الخامس : المفاهيم الصهيونية ٢٨٨
الباب الثالث : بين الفكر الغربى والتلمودية :
الفصل الأول : بين الفكر المسيحى واليهودية . . ٣٠١
الفصل الثانى : بروتوكولات صهيون ٣١١
الفصل الثالث : معارضة الأديان ٣٢١